



﴿ مسموم الاسنة والسهام ﴾

«في الرد على من شوشوا الأفكار بدعوى تنوير الافهام

(أصاب بها صدور سفهاء المبشرين (محمد الجنبيهي المسكين

﴿ وبذيله السؤال العجيب - في الرد على أهل الصلب ﴾

لناظمه الراجي شفاعة خير البريه « أحمد على المليجي

الشهير بالكتبية الازهري »

ذروني بالعتاب وبالملام * اعاني صدع افئدة اللئام

فعباد الصليب وقد اطالوا * بنيهم القول في خير الانام

أساؤنا فجئناهم سراعاً * بمسموم الاسنة والسهام

﴿ مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾

«حضرة الشيخ احمد علي المليجي الكتبي قريباً من الجامع الازهر بمصر»

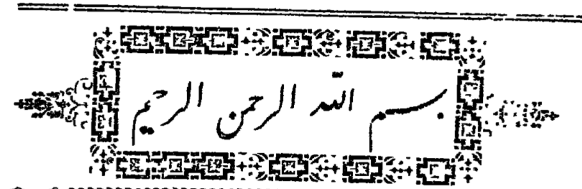
(حقوق الطبع محفوظة للمنشي وللملتزم المذكورين)

(طبع بمطبعة الاصلاح بشارع درب الجماميز بمصر)

مقدمة الكتاب

لقد عاش المسيحيون والمسلمون دهراً طويلاً من عهد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى الآن والكل تكتنفهم حيطة الأمن وكلاءة حفظ السلام متى كانوا في حوزة مليك واحد متحابين لا يقتتل قلوبهم عن الوفاق في الأمن والراحة وحفظ الجوار اختلافهم في الدين الى أن ظهرت في هذا الزمن الشرذمة الضالة من كل ملة واعتدى بعض افرادها من أهل اللسانة والجدل على الاديان والمتدينين وأثاروا الفتن وأهاجوا نيران الحقد والحسد في قلوب الأمم بالداخل بين كل أمتين متفقتين وبين المتدينين حتى غرسوا أصول العداوة والبغضاء في قلوب العامة والخاصة وجعلوا التمدن الواسطة العظمى لهم في فساد الاعتقادات وتباين في الارادات والمرادات حتى علا في الناس صوت الاعتداء وصالت سيوف البغي وكان البادىء بذلك سفهاء المسيحيين فنهضوا على الدين الاسلامي نهضة الاحمق المجول يحاولون استئصال أصوله بكل ما في قدرتهم ولكن الله سبحانه وتعالى جعل بينه وبينهم سداً فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً كل ذلك والمسلمون سكوت لا ينطقون رجاء خزي الزائغين عن الغي والبغي حتى طال تطاولهم وسطت سطوات السفهاء

وأصبحوا لا خجلين ولا خائفين . وكان من تفننهم في الضلال والاضلال أن جاؤا بالمبلات سموها كتباً بعضها كاللقيط الذي لا يعرف له أب والبعض وضعوا عليه أسماء يجهل المسلمون مسمياتها وما كانت الا خدعة ليقع المسلمون في أعراضهم فيكون ذلك سبباً للتخاصم فلما طال على المسلمين الأمد قام الاستاذ الجليل المعروف بالفضل والمعروف خادم الدين . وتابع العلماء العاملين . حضرة الشيخ «أحمد المليجي» الكتبي الشهير فيما بين أفراد تلك الشرذمة ناصحاً فما قبلوا نصحه ولما توغلوا في طغيانهم سألهم سؤالا عجيباً فما أجابوه الا بالطعن والسب في خاتم النبيين الذي تعالى وتقدس مجده عن السب والطعن وكان قد دعاني الى الرد عليهم واذا بكتاب جاءنا منهم موسوماً باسم تنوير الافهام معزواً لاسم لا نعرف مسماه . انا نتبرأ الى مسمى هذا الاسم من كل خطأ أو غلط أو زجر أو توبيخ تأتي به قرائن الأحوال فانا لا نقصد بذلك الا من نقلت عنهم تلك الاباطيل والقوم الذين يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطعنون في كتاب الله ودينه القويم ولذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل



الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه وارزقنا ببركته نصراً على الملحدين وتأييدا ولقد قال القائل

أللياني من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبة

واقول

ذ عبيد نصيب ء و رسولا * ذا كتاب ازال كل مريبه

خاصمونا سفاهة في حمانا * واستطالوا وانها لمصيبه

يا آله عباد بأخذ قوض * لايحابي من استحق العقوبه

ايد الحق يا مهيمن وامنح * كل باغ من العقاب نصيبه

وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

ايها الناس ألا هل من متعجب يتعجب من هذا العجب . الا هل من مخلص ينفي كل ذي وقاحة يسيء الادب . الا هل من زاجر يزجر كلاب خنزيرة يذودهم عن عرش الطهارة وقد حاولوا ان يدنسوه بأفواههم الملوثة (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

(ثم اقول)

يقولون ان العلم نور لأهله * ولكنهم لم يعلموا ماهو العلم

وما العلم الا أن يرى المرء نفسه * على حدها اذ كل حرلها خصم

وأن يفقه الرشد الذي في اتباعه * نجاة أولي الالباب ان هلك القوم
وذوالجهل من يرضي بأحكام نفسه * وبينهما مهما أرادت به سلم
وذوالعقل من أضحى الرشاد شعاره * وان خالفته سامها ماهو السم
وهل من رشاد غير ماتم نوره * ببعثة من لم يرد أخلاقه اليتم
فقل لأناس قد أطاشت عقولهم * عقار غرور مزجها الزور والظلم
دعوا يانسا ابليس دعواكمو التي * اليها على بطلانها ينتهي الاثم
وكفوا أذاكم واقلعوا عن شروركم * والا يصبكم من أكنتنا سهم
فما عاقنا ياقوم الا احتقاركم * وانكمو عمى وآذانكم صم
اذا قيل جل الله قلتم مع ابنه * مقيم وفي يوم الميعاد له الحكم
وجئتم بدعوى العلم تؤذون ربكم * وكم تنطحوا نطحاً كأنكم البهم
وما كل من آخا الاسانة عالم * ولا كل سباب لأهل الحجا خصم
وسيان ان كان السفيه محقرا * لدى العقلاء المدح من فيه والذم

اعلم وفقني الله واياك أيها المسلم السليم القلب والذوق أن هذه الحياة طريق يعبرها الانسان الى دار القرار وهي باعتبار اختلاف أحوال السائرين بها لها غايتان متقابلتان اذ الانسان لا ينفك عن أحد وصفين اما أن يكون سعيدا أو شقياً ولا معنى للسعادة الا حسن الخلق والانسلاك في سلك المتقين الذين يخافون الانحراف عن سبيل الاستقامة التي نهايتها القرب من الله في مكان التكريم والرضوان. ولا معنى للشقاء الا اتباع الهوى وراء الشيطان في طريق الغرور والافتتان. التي غايتها البعد والهوان والطرد والحرمان

فأما الطريق الاولى فقد نصب الله لها أعلاماً وحدد لها حدوداً وشرع لها آداباً سماها ديناً وأرسل لعباده رسلا لارشاد من اجتباهم الى

تلك معدة وتعليمهم الوقوف عند تلك الحدود لينأوا بذلك ...
التي لا يصفو لعبد اقرب من سيده الا اذ تحقق بها وأما طريق الاستدراج
فانها واسعة الفضاء . كثيرة التعب والأودية يسلكها الغبي والنبيه والأحمق
والشرير وكل ذي خلق سيئ ذميم وترى أكثر سالكيها النساء وجهلة
الشبان ومضحيس الشيوخ ولا يتوغل فيها الا كل زنديق من أهل الوقاحة
والفجور وكل من كان هذا وصفه لا مجال له في طريق السعادة لانها ضيقة
المجال لا تسع الا الشرفاء المتأدبين الذين اذا مروا باللغو مروا كراما
وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز (وقليل من عبادي الشكور)
وأما الفريق الثاني فهم المشار اليهم بقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الى آخر الآية الشريفة
فلذلك لا ترى الغالب من الناس في هذا الزمن الا عباداً لاهوائهم وأسراء
لشهواتهم قد ركبوا مركب الغرور في بحار الافتتان . فشتدت بهم عواصف
الفتن وأحاط بهم موج الملاهي من كل مكان وانها لظلمات بعضها
فوق بعض لا ينجو من مهالكها الا من أسلم وجهه لله وعمل صالحاً ونادى
ربه في ظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقد ... أسرار الفلاسفة متسابقين الى هدم قواعد الدين القويم وأمسى
... ... ورائهم من اللاحقين (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو
كره الكافرون) فطوبى لعبد أدركته في هذا الزمن عناية الحي القيوم
و... ... الصمدانية والتجأ الى حصن (لا اله الا الله محمد رسول الله)
و... ... ... ثبت قلبي على دينك والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم

فليعلم أولوا الألباب من أهل هذا الزمن ان الضال في أودية الجهالة عن معالم هذا الدين القويم الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (ان الدين عند الله الاسلام) لايهتدي اليها الآن الا اذا جاهد شيطانه وأجهد نفسه في قطع عشر عقبات سنذكرها ان شاء الله سبحانه وتعالى تذكرة لأولي الألباب وارشاد العامة من المؤمنين الذين اضطربت قلوبهم وقلقل ثبات يقينهم انتشار القوم الذين سعوا في البلاد . وأكثروا فيها الفساد . فعسى ان يصب عليهم ربك سوط عذاب (ان ربك لبالمرصاد) وما سميناها بعقبات الالانها الآن هي مجال الشك الذي أدخله دخلاء الدين أهل الضلال في عقائد القوم الذين ارتابت قلوبهم من العوام ومن شبان المدارس وسفهاء طلبة العلم الذين زحزحهم زخرف القول من أهل السفسطة والجدل عن مراكز اليقين الصحيح فأصبحوا لأنفسهم وأهليهم ظالمين بما يلقونه اليهم من السفسطة الزيغية وصاروا أعوانا لسفهاء المسيحيين على نشر أعلام الكفر وتقوية دعائم الزندقة فلذلك بينا لمن يشاء الله ان يهديه تلك العقبات لكيلا يقع في شرك المحتالين فتزل به القدم الى مصارعهم التي أهلكهم الله بها من حيث لا يشعرون

(العقبة الاولى)

ماهو الدين الاسلامي هل هو الحضارة والتمدن كما زعم المبطلون أو هو أمر وراء ذلك (الثانية) هل الاحاطة بما جاء به القرآن من القصص علماً شرط في صحة الدين وصدق الايمان فيكون الجهل به كفراً لانها من قواعد الدين أم لا (الثالثة) هل الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو دين عيسى وموسى وابراهيم وباقي النبيين أم غيره (الرابعة) هل جميع الانبياء والمرسلين جاؤا مبشرين ومنذرين بما بعد الموت من عقاب

والثواب بعد الحساب أم منهم من خالف وصادق الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين وان كانوا متفقين في البعث والنشور فهل اتفقوا في وصف ما بشروا به أو اختلفوا (الخامسة) هل الاخلاق الكمالية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة وهل من نبي حرم على أمته التخلق بآداب من كان قبله من الرسل أم لا

(السادسة) هل ورود الانباء التي جاء بها القرآن عن الانبياء وأممهم وعن أعمال القيامة مضعفاً لقوة البراهين الدالة على صدق القرآن وصحة نسبته الى الله لان منها ما كان مسطرا في كتب الجاهلية قبل نزول القرآن أم لا يكون مضعفاً لقوة تلك البراهين (السابعة) هل كان في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يفقهون ويعقلون ويميزون الحق من الباطل أو كانوا بلهاً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت منهم معارضة في صدق الرسالة لشدة ريب خالط قلوبهم حتى تبينوا صدقها أم لم يكن ذلك (الثامنة) ما هي الاسباب الحاملة لسفهاء الفلاسفة من كل ملة على هدم قواعد الاديان مع دعواهم الحكمة وكمال العقل وعلمهم بأن كل دين من الاديان الصحيحة والباطلة لا يخلو من عبادات اتخذها رؤساء الاديان حواجز بين السفهاء وبين شهواتهم فيكون الدين الباطل أخف ضررا من لا دين

(التاسعة) اذا تحققنا ان الرسل قد سلكوا مسلكا دينياً وتبين أن عظماء الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعياً ومسلك الفلاسفة عقلياً فمن من الفريقين تجب متابعته ومن هو الاكمل حالا . والاحسن مقالا . والاقوم أعمالا (العاشرة) ما سبب انتشار

المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر سماوي أم عمل خيري ديني أم لغاية مقصودة واذا كان لغاية مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة أم لا ثمرة لها

ومتى أدرك المتدين الفوز من تلك العقبات من طريق الهداية الربانية وتبين الحق من الباطل نجا من ورطات الشبه وظلمات الزيغ وانكشفت له غوامض المشكلات وسلم من خدعة نساء ابليس اللاتي لا يلدن الا كفرا ونفاقا وكلما غالبه الباطل تمثل بقول صاحب يوسف اذ قال (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) (العقبة الأولى) ماهو الدين الاسلامي وعن ذلك نقول

ان الدين الذي سماه الله الاسلام واصطفاه لعباده الصالحين وارشدهم الى التحقق بحقيقته ما هو الا آداب كمالية موصلة الى فضائل روحية من تجمل بها ارتقى الى العالم العلوي بروحه واطلع على أسرار الملكوت وشاهد ما انطوت عليه بشريته من عجائب القدس وانفتح سمعه وبصره لدقائق الحكم ورقائق الاشارات التي أودعها الله مصنوعاته ليستدل بها السالكون. ويهتدي اليه بها المسترشدون. ولا قدرة لمخلوق ما على التجمل بتلك اللطائف الا اذا تحقق بحقائق هاتيك الآداب اذلا سبيل الى التحقق بها الا بعلم مخصوص وعمل مخصوص وحال مخصوص وما جاءت الرسل الا للارشاد الى معالم هذه الثلاثة وبيانها وتوصيل المنقطعين اليها لأن الشواغل الدنيوية التي خلق الانسان محتاجاً الى تعاطيها لا تترك في قلبه مجالا لغيرها ولا تمكنه من الالتفات لسواها من الشؤون الغيبية فلذلك أرسل الله الرسل تخليص من اصطفاهم من عباده من أوحال تلك الشواغل

.. شرعية من العلم مخصوص والعمل مخصوص والحال مخصوص وقد أطلقوا على هذه الثلاثة اسم الدين من باب اطلاق السبب على المسبب لانها هي السبب الاقوى لكل سالك الى ربه في التحقق بتلك الآداب الموصلة الى تلك المنازل وبقدر حسن آداب المتأدبين بها تكون مكانتهم في القرب من الله اذ منهم الخيار. ومنهم الأبرار. ومنهم المقربون فليس التقرب بالعلم كما زعم سفهاء الفلاسفة ولا بالعمل كما يدعي من لا عقل له ولا بالحال كما يظن أرباب الرياضات ولكن الادب هو ميدان الوصلة ومنهج القرب اذ العلم بلا أدب هو والجهل في الضرر سواء وعمل بغير أدب مجلبة المقت والغضب وحال بلا أدب أشبه شيء بحال المتوهين من شياطين الانس ولقد مثل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الناس هالكى الا العالمون والعالمون هالكي الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم)

بين ذلك ان صحيح الجهل هو والاموات سواء لانه اعمى وقد قال الله القدوس تبارك وتعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا) وليس مرادنا بالجهل هنا الجهل بالحرف والصنائع ولكننا نريد الجهل بالدين الذي هو الآداب ومقدماتها ومن علم ماهو الدين ولم يعمل كان علمه حجة عليه لانه لاعذر بعد البيان. ولا عصيان مع الايمان ومن قدر العمل بعد العلم فقد اساء الادب. واستوجب الغضب. لأنه كالبهيمة التي اذا امرت لا تأتمر واذا نهيت لا تنتهي

ومن علم وعمل وكان فاقد الادب فهذا هو الذي لا تنبيه له لانه مشغول مسبح على شره وجوع كلما اكثر شربا ازداد عطشا لان

دواعي الظمأ خبيثة لا يزول الا بزوالها فكذلك فقد الادب في أعماله كلما أكثر في العمل ازداد من الله بعدا لانه لا باعث له على العمل الا اغراض هي من اسباب الطرد والحرمان كما سيأتي بيانه ومن كان هذا حاله كان عمله وعلمه وبالا عليه ونكالا وكان الله بعباده خبيرا بصيرا وما كان عمله وبالا عليه الا لانه وضع الاشياء في غير مواضعها ودنس العمل الطاهر بنجاسة النية فأصبح من الظالمين

ومن كان عالما عاملا وكان ذا حال طاهر من النجاسات القلبية ولكنه غير مؤدب كان كالمرأة التي تتجمل بأنواع الزينة حليا وحللا حتى اذا جاءها زوجها وجدها عابسة الوجه ذات ملال واعراض

(مثل العلم بلا عمل ولا حال ولا أدب)

علم الفلاسفة من كل ملة اذ هم قوم علموا كل ما جاءت به الرسل ولكنهم تناولوا تلك المعلومات بحال حال فيه بينهم وبين الأدب حائل الغرور والطيش فاستنكفوا واستكبروا عن متابعة ذوي الرشاد والارشاد وغلبتهم أهواؤهم فحكموا عقولهم في الشرائع لفقدهم مزايا الادب فجاؤا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وما جزاء من يفعل ذلك الا خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ومن كان هذا حالهم يزعمون الامر بالمعروف وما عرفوه . وينهون عن المنكر وقد ارتكبوه ويدعون أن كل الذنوب كبائر وهم يأتون بالكبائر ويستصغرونها وما ذلك الا لقلة الأدب وفقد الحياء ويحسبون أنهم يحسنون صنعا

فذاك تراهم يزدرون العلماء . ويغتابون الاموات منهم والاحياء . ويسبون الاتقياء . ويتكبرون على الضعفاء . ويخالطون السفهاء . ويمقتون الاولياء

ويتكاسلون عن أداء الفرائض ثم يزعمون أن الذنوب لا صغائر فيها بل كلها كبائر فليت شعري ما هي الوجهة لهم في ارتكاب تلك الكبائر التي منشؤها الاعجاب بالنفس والتباهي والجهل بالآداب الدينية ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومن أسوأ حالا ممن أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه والله على كل شيء قدير

ومثال العلم والعمل بلا أدب حال بعض علماء النقوش وأمثالهم من المتدينين الذين يعملون عمل الاتقياء ولكنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة ويتباهون بأعمالهم ويظنون انهم أكمل الناس أحوالا. وأصلحهم عمالا. وان الناس في احتياج الى علمهم ولكنهم أحوج الناس الى معرفة آداب العبودية لأن من لم يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والعمل والحال ربما أحاطت به غوائل المكر والاستدراج وهو غافل ولذلك قال أحد رجال الطريق العارفين بالله وكان من الظرفاء من لم يتغافل في عمله هذا مات مصراً على الكبائر من حيث لا يشعر اذ من الناس من يرى نفسه فوق غيره بكثير ويظن أنه جاء بأعمال لم يسبقه اليها سابق وما ذلك الا لأنه راض عن نفسه جاهل بدسائسها وربما كان من الذين أشار الله اليهم بقوله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وهذه هي نهاية الغرور والافتتان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ومثل من جمع بين العلم والعمل والحال وفقد الادب كمثل المتعبدين من أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى لانهم تمسكوا بما لم يأمرهم الله بالتمسك به وأطاعوا الشياطين واتبعوا أهواءهم فمنهم من آمن بالله وكفر بأنبيائه كاليهود اذ كفروا بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فخسرت

عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله) ومنهم من أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وكفروا برسله فلعنوا كما لعن الذين من قبلهم مع طول الرياضات وكثرة التعبد والتحقق بأحوال العابدين ولكنهم حرموا مزايا الادب وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل الذي لا ينجو من الخزي الا من سلكه اذ لا يجوز لعبد أن يخالف أمر ربه وينقاد الى هوى نفسه ولو أن هؤلاء الطوائف رزقوا شيئاً من الادب لعلموا أن ملاك الدين هو الادب واتباع الاوامر الالهية لذاتها لا لعيسى ولا لموسى فلما اتبعوا أهواءهم لحكم سابقة الازل عليهم بالشقاء لمناسبة قوابلهم واستعداداتهم عموا عن الهدى وصموا عن داعي الرشاد وتوهموا الضلال حقاً وسيريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار

فمن كان من ذوي البصائر وتحقق الحق من خلال هذا البيان علم علم اليقين أن الدين الذي ارتضاه الله لعباده ماهو الا الآداب الكمالية التي جاء بها القرآن وتخلق بها رسول الله والله يقول الحق ويهدي السبيل

وأما الحضارة والتمدن فما هما من الدين في شيء بل هما والدين الحق على طرفي نقيض الا اذا جمع الله الدنيا والآخرة لمن يشاء من عباده ورزقه العناية والتأييد وكان الله على كل شيء مقتدرا ولا تكون حضارة ذلك الرجل الذي يجمع الله له بين الدنيا والآخرة وتمدنه كحضارة الامم وتمدنهم المعلوم الآن الذي كان سبباً قوياً لايقاع الفتن بين الدول واراقة الدماء في الممالك بغير حق ووسيلة لقهر الضعفاء . واذلال الامراء . وضياع الدين وهدم قواعده ونزعه من قلوب ضعفاء الايمان وذريعة لازدراء عباد الله الصالحين وما كان له من ثمرة في كل أمة مغلوبة الا تعالي الاسافل على

الأعلى ورفع أعلام الاسانة وقوة شوكة الجدل وكثرة الشح والمشاحنات وانتشار المحن وموت المروءة وصولة الباطل على الحق وظهور أهل الزيغ على أفضل الأغنياء مخفقين الى ما لا يحصى من الرذائل وكان الله بعباده خبيرا بصيرا .

وهذه هي أول عقبة من العشرة التي يجب على كل مسلم يرجو لنفسه النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة أن يجهد نفسه في مجاهدة شيطان الجهل وجنود الزيغ وزعماء الزندقة حتى يقطعها ومتى قطعها ثبت في قلبه ايمانه ومهدت له سبل الفوز لأنه متى علم علم اليقين أن الدين الاسلامي من عهد آدم الى انقراض الدنيا ماهو الا آداب كالية سنذكر منها ما يلهمنا الله ذكره بعد قليل تحقق حق اليقين أن مازعمه المبطلون من أن مصادر الدين الاسلامي هي خرافات قوم جهلاء الى آخر ما زعموا ما هو الا سفسطة أو بش منشؤها حقد وحسد وباعثها الجهل بحقائق الدين السماوي ولو أنهم كانوا عقلاء ما نادوا على أنفسهم بالجهل واستحبوا العمى على هدى وقد قال الله تعالى مشيرا لأسلافهم (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وقال في موضع آخر (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الثانيـة) هل العلم بالقصص الواردة في القرآن بأنباء الامم الماضية ورسلهم هو من قواعد الدين وأصوله أم لا وعن ذلك نقول ان كل دين من الاديان التي سمعنا بها باطلة كانت أو صحيحة ما كان لها مصدر الا اعتقاد في معبود أجمعت أمة من الامم على عبادته والركون اليه عند اشتداد الكروب ولكن الاديان الصحيحة ما كان لها من منشأ الا رسالة الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا

الناس الى عبادته وكل رسول جاء الى أمة من الامم وتعاصت عليه يعاملهم الله سبحانه وتعالى بأن يخوفهم مما وقع للامم قبلهم عند الطغيان والتعاصي على الرسل ولم تكن الحكمة في الاتيان بتلك الأنباء الا التخويف والانذار تكون عبرة وتذكارا لذوي البصائر وهكذا كانت أنباء التوراة والانجيل والقرآن العظيم وان كثيراً من اهل الكتاب لمن لا معرفة له بتلك الانباء وكذلك كثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا عناية لهم بحفظ أنباء الامم ولم يكن الجهل بذلك قادحاً في صحة ايمانهم لان العلم بها ليس من قواعد الدين وليس الدين سرد انباء ونقل اخبار وحفظ وقائع ولكنه عبادة لمعبود . وأدب بين يدي اله مقصود . بطريق مخصوص تأتي بها الرسل لأممها وما ورد أن رسولا من الرسل قال لقومه لا تتخلقوا بآداب من جاء قبلي من الرسل وما كان بينهم من خلاف الا في المعاملات التي هي تابعة لاحوال الامم وأما العبادات فهي متقاربة الاتحاد غير أن منها الكامل ولا كمل وأما الآداب التي هي رأس الدين وهيولاه فلا خلاف فيها. ولكنها تكملت في هذا النبي الاخير فما كان لسفيه جهول ان يقول أن تقرير العبادات والمعاملات في الشريعة التي جاء بها القرآن لا اصل لها لا عوائد الامم الجاهلية ولا أن يدعي أن تخلق بعض الامم التي لا رسول لها بعض ما جاء به القرآن من قبل نزوله قادح في صحة نسبته الى الله لان هذه الدعوى لا تصدر الا عن جهل بالحقائق اذ تعاقب الرسل والانبياء في الامم السابقة هو الذي اوجد بعض محاسن الاخلاق في أهل الفترة وما كان الله ليحرم خلقاً حسناً على أمة متدينة بسبب تخلق أمة جاهلة بذلك خلق ولا ليكتم الأنباء التي يتعظ بها المتعظون لان بعض المؤرخين

بها وتسطيرها في كتبهم فلو أن الذين ادعوا هذه الدعوى الباطلة عقلوا الدين معنى لما زعموا أن مصادره أنباء وخرافات اخترعها المتقدمون من اهل الجهل لانه ما من نبأ ورد به القرآن الا وهو مسطر في التوراة والانجيل وما لم يكن فيهما من الانباء ماجاء به الاجبريل وقد أقام الله سبحانه وتعالى على صدق كتابه وصحة نسبته اليه البراهين التي أقنعت كل معاند وسنذكر بعضها عند ذكر الفصول التي فصلها الملحدون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (الثالثة) هل الدين الاسلامي هو الذي كان عليه موسى وعيسى أم غيره فنقول . ان من المعلوم أن المسيح عليه السلام ما جاء بآداب تخالف الآداب التي جاء بها موسى وموسى لم يأت بآداب تخالف آداب من قبله ولقد جاء الانجيل قائلا أن عيسى سيجلس على كرسي داود ولم يكن لداود كرسي الا الخلافة التي لا تصح لمخلوق الا اذا تخلق بالآداب التي سنبين حقائقها فيما يأتي وانها هي الدين كما ذكرنا من قبل وقد علمتم يا اهل القرآن بما ورد في كتابكم وعلم اهل الكتاب بما هو مسطر في التوراة والانجيل الآن أن جميع انبياء بني اسرائيل هم من اولاد اسحق ولد ابراهيم عليهما السلام ولا يجوز عقلا أن الولد يخالف اباه في دينه ولو خالفه لهلك ان كان الأب على الحق وما جاءنا من نبأ صادق يفيد مخالفة بعضهم لبعض بل الذي وردت به الانباء الصادقة الصحيحة هو ان دين الاسلام هو دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين موسى وعيسى وابراهيم وجميع النبيين فلو أن قوم موسى عقلوا ماهو الدين وما مراد الله من ارسال الرسل لآمنوا بعيسى ومن بعده ولو أن قوم عيسى آمنوا برسالته وتحققوا مره على ما هو عليه وعلموا مراد الله من ارساله لما سموه الها و

بن اله ولما جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه وتعالى
ا ارسل الرسل متعاقبة الا لارشاد من اجتباهم من خلقه الى معالم الدين
لتي هجرها سفهاء الامم بعد موت انبيائهم وقسوة قلوبهم لطول الامد كما
رد ذلك في القرآن الحكيم ألا ترى ان جميع الكتب السماوية مشحونة
بما يفيد ان دين الله واحد وانه هو الاعتراف بالعبودية. والاقرار بالربوبية
والاستسلام لاحكام الالوهية ظاهرة كانت او باطنة وما مدح الله نبياً
ولا رسولا ولا امة بوصف اكمل من وصف الاستسلام له والتخلق بآداب
سرائمه وما امر نبيه الا بالاستقامة على هذه الخطة التي كان عليها النبيون
اذ لا طريق للفائز غيرها وما مدح الله ابراهيم عليه السلام الا لانه كان حنيفاً
مسلما اذ كان اكمل مظهر ظهرت فيه روح الدين الاسلامي عند ما قال له
جبريل وهو بين مخاليب المنايا وفي انياب المهالك ألك حاجة فحكم عليه
حاله الذي كان عليه ان لا يتخطى حدود المعرفة والادب فأجابه بقوله
اما اليك فلا وأما اليه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي وهذا الحال اشرف
حال يتخلق به العبد مع سيده الذي بيده ملكوت كل شيء فلذلك امر الله
نبيه بالاقتداء به لتكون امته على اكمل حال كانت عليه الرسل ومن
الأدلة على صحة ما ذكرنا قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين) ثم قال في موضع آخر (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ثم في موضع آخر
جاء بما حكاه عن يعقوب بقوله (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم

واسمعيل واسحق الهاً واحدا ونحن له مسلمون) فلو أنه كان للانبياء ديناً غير دين الاسلام لما كان منهم ماذكرناه ولو أن للاديان أصولا غير الرسالة الالهية التي تنادي بها الرسل على عباده باستعمال آداب العبودية لما تواصوا بها هؤلاء الانبياء فمن ذلك يعلم المتبصر أن أصول الدين الاسلامي ما هي الا دعوة الحق التي جاء بها النبيون وما تعاقبوا الا لتذكير الامم بها عند التناسي كما قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لاهل الكتاب (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)

اذاً فكل من يدعي أن للدين الاسلامي أصولا غير الاوامر الالهية فهو كافر جهول ما فقه من الآداب شيئاً ولا تحقق الا بما كان عليه المشركون في عهد النبوة الذين وصفهم الله بقوله (ان هم الا كالانعام بل هم اضل)

(العقبة الرابعة) هل جميع الانبياء جاؤا مبشرين ومنذرين بما بعد الموت أم منهم من لم يأت بذلك وهل اتفقوا في تلك الانباء الغيبية أم اختلفوا وعن ذلك نقول

ﻫ الناس في اعتقاد أمر الآخرة ينقسمون الى قسمين ليس إلا لان كل غاية [illegible] لبدايتها فالفريق الذي يعتقد أنه مخلوق لخالق قادر أوجده من العدم لا ينكر امر الآخرة لقوة ما اقامه الله من البراهين القاطعة على قدرته على ذلك ولكنما تتفاوت قوة يقينهم بتفاوت صدق ايمانهم وسلامة قلوبهم وكمال آدابهم وسعة معرفتهم بربهم

والفريق الذي لا يعتقد أنه مخلوق لخالق بل يظن انه وجد بطبعه ويرتم [illegible] لا [illegible] وقبور تبلى . هذا هوالذي ينكر

الحياة بعد الموت . ولولا ان الله سبحانه وتعالى ارسل رسله بالهدى ودين الحق لكان الناس امة واحدة في هذا الاعتقاد وماجاؤا مبشرين ومنذرين الا بما بعد الموت اذ التبشير والانذار لا يقعان الا على غائب لم يكن الذي أنذر به او بشر محيطاً به علما ولقد جعل الله للدنيا أبناء وجعل فيهم الميل اليها تبعاً لقوابلهم واستعداداتهم الازلية في مبدإ النظام التكويني وجعل منهم رؤساء ومرؤسين لحفظ روابط الامن ودفع الاعتداء كما يكون ذلك في الامم التي اشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم) فلو ان سائلا سأل اهل الالمام والخبرة بأحوال الوحوش او الطير كالنحل مثلا عن شؤنهم الأمنية لأخبره بما يدهش الفكر ولقد سمى الله سبحانه وتعالى رؤساء النوع الانساني ملوكاً ورعاة وتسمى احكامهم احكاماً سياسية

وجعل للآخرة أبناء وجعل لهم رؤساء وسماهم رسلا وحجر عليهم تجاوز الحدود التي قررها لهم ونهاهم عن متابعة الهوى وأمرهم باستعمال الآداب الكمالية التي سنذكر شيئاً منها بعد تمام هذا البيان وسماها ديناً كما سبق ايضاحه وأمر أولئك الرؤساء أن ينشروا أنباء الآخرة ويبلغوا ماعلموه منها لأبناء الدنيا والآخرة لتكون له الحجة البالغة على كل من بلغته الدعوى لكيلا يكون للطائع فضل في طاعته ولا للعاصي عذر في معصيته وانها لحكمة بالغة لا يعقلها الا العالمون الذين بشرهم الله بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

فمن فقه معنى ماذكرناه علم علم اليقين أن الانبياء عليهم الصلاة

والسلام ما جاؤا الا مبشرين ومنذرين بأمر الآخرة وما منهم من رسول الا ونادى في قومه بأنبائها اما مجملة او مفصلة وما من سمع كان كامل العقل الا وصدق بتلك الأنباء وأثر في حاله تصديقها ثم تروتها ألسنة فصحاء الأمم الذين لا دين لهم فكانت عندهم أخبارا تحتمل الصدق والكذب وليس الخبر كالعيان لأن الرسل ما أخبروا الا بما شاهدوه من طريق الكشف الرباني الذي أشار الى مبدئه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (فوجدت برد أنامله بين كتفي فعلمت علوم الاولين والآخرين)

اذاً فمن الجهل المهلك أن يقال ان مصدر تلك الانباء هي خرافات بعض المتكلمين من فصحاء الأمم الجاهلة لانه لا قدرة لانسان مهما وصلت درجته من الفصاحة والاسانة أن يتكلم بأمر غيبي لا تسعه الدنيا ولا تتعلق به علائق الحياة الدنيوة حسية كانت أو معنوية الا اذا أخبره به مخبر ممن لهم علم بأنباء الملكوت اذ لو كان للعقول مجال في الشؤن الغيبية لما كذب بها الفلاسفة الذين يزعمون أن دائرة العقول لا تسع سواهم فليعلم المسترشد أن أكمل رحمة رحم الله بها عباده هي الوقوف على حقيقة أمر الآخرة اما من طريق المكاشفة بالعلم النوري كما وقع للانبياء والاولياء واما من طريق شرح الصدور بالتصديق واليقين كما عليه عامة المؤمنين وما زعم الزاعمون المبطلون ما زعموه من قولهم ان القرآن استنبط تلك الانباء من تلك الخرافات الا لظلمة قلوبهم وحجبهم بما طبع عليها عن ادراك ما أدركه أولوا الأنوار. ونعم الاسرار (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(العقبة الخامسة)

هل الاخلاق الكمالية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة وهل حرم كل رسول على أمته التخلق بآداب من كان قبله من الرسل أم أباحها لهم وعن ذلك نقول

ان الباحث عن هذه الحقيقة لايصل الى العلم بها الا اذا علم ماهي الآداب الكمالية وانا وان لم نكن من أهل تلك الآداب ولكن ربما انحقق السامع الواعي. بالمطالع والداعى. فلذلك نقول

الآداب . الكمالية التي علمها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه وأمر الصالحين من عباده أن يتخلقوا بها لاقدرة لنا على حصرها الآن ولكن ربما توصل الباحث عنها الى معرفتها بمعرفة مصادرها من الانسان اذ جميع شؤنه في معاملة الخلق والخالق لامصدر لها منه الاثلاثةأشياء وهي العلم والحال والعمل ويشمل لفظ العمل القول وهذهالثلاثةهي مظاهر الآداب الكمالية. ومصادر الاخلاق البهيمية. وكلاهما يكون عليه الجزاء يوم القيامة في النشأة الاخرى من ثواب أو عقاب وما جاءت الرسل الا لبيان الطيب والخبيث منها وما أنزلت الكتب الا لنهي الانسان عن ارتكاب القبيح من تلك الاخلاق وبأمره بالاتيان بمحاسن الآداب منها ولا يكون الانسان انسانا كاملا الا اذا تحقق بمحاسن تلك الآداب الكمالية حتى يؤدي الأمانة على وجهها وهى التي أشار اليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) ولقد عرفناها في كتابنا المسمى (بنشر الاسرار البشرية من طوايا الاخلاق

المحمدية) بأنها هي اعطا كل ذي حق حقه من الحقوق التي أوجبها الله على الانسان لذاته المقدس ولرتبة الألوهية ولمرتبة الربوبية ولجميع المخلوقات على اختلاف طبقاتها ولنفس الانسان وهذا العمل لا قدرة لمخلوق على القيام به الا بارشاد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه مع اقتفاء آثار الرسل قدماً بقدم لانهم هم العلماء الادباء الذين علمهم العليم الخبير وأدبهم

فأما الحقوق الواجبة لله سبحانه وتعالى فقد يسهل الوصول الى معرفتها على أولي الالباب اذا تدبروا القرآن من طريق انه كان خاتماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا حقائق أسماء الله الحسنى التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان لله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولقد جاءت تلك الاسماء الجليلة باعتبارات ثلاث فباعتبار انه سبحانه وتعالى أحدي الذات وردت الاسماء الكمالية وباعتبار انه الاله الاعظم وردت الاسماء الجلالية وباعتبار انه الرب الرحيم وردت الاسماء الجمالية فمن نور الله قلبه وألقي عليه فهم حقائق هذه الاسماء تمكن من أداء مايجب عليه لربه ومن لم يكن كذلك كان قيامه بتلك الواجب في حكم المحال

وأما حقوق الخلق والنفس فما احصاها كاتب . ولا احاط بها في خطبة من الخطب مخاطب . لا من الرسل ولا من الانبياء ولا من ورثتهم ولكن كل مرشد منهم كان يذكر منها ما يستدعيه حال المسترشد ولقد جمعها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة في جوامع الكلم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز وفي أحاديث رسوله الذي كان لا ينطق عن الهوى وفي أعماله وأحواله ويشير الى الواجب الضروري منها على كل مسلم قوله صلى الله

عليه وسلم (الايمان بضع وسبعون شعبة أدناها اماطة الاذى عن الطريق وأعلاها لا اله الا الله) فالمؤمن الحق الخبير بدينه يعلم ان ما بين الأعلى والأدنى من الأعداد ماهو الا ماذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ويعلم ان من المأمور به ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ومنه ماهو واجب موسع فيه وما هو واجب مضيق ومن المنهي عنه ماهو نهي حظر وتحريم وما هو نهي كراهة فالعمل بذلك كله هو الايمان ثم من وراء ذلك آداب كثيرة منها مانقل عن سيد الأمة بل سيد الرسل وعن ورثته من طريق الوصية ومنها مانقل عنهم من طريق الحال والعمل وسنذكر طرفاً من ذلك في المقام المناسب لذكره من هذا الكتاب عند تيسير الله سبحانه وتعالى وتسهيله

وما كانت تلك الآداب قاصرة على هذه الأمة ورسولها ولكنها كانت في كل أمة تابعت أي رسول من الرسل غير أن هذا الرسول استكمل كل الآداب لانه خاتم الرسل وأدومهم ديناً لانه لا ينسخه ناسخ من بعده

فمن كان ذا بصيرة نيرة وفكر ثاقب وتأمل فيما ذكرناه بعين المطلع البصير يعلم على اليقين ان مصادر الدين الاسلامي الذي تدينت به جميع الرسل ماهي الا آيات الله سبحانه وتعالى وتعليماته وما من نبي تكامل دينه وجمع أطراف الآداب وأكنافها الا هذا النبي الكريم فمن ذلك تحقق أولوا الالباب أن ما زعمه الزائغون من أن أصول الدين خرافات أخبار وعوائد جهلاء أشرار ماهو الا ضلال مهلك وسفه بين وجهالة مشوهة غبية

وتعصب قوم عادين . وبغي أسافل طاغين . اذ كل عاقل يعلم علم اليقين أن جميع الرسل كانوا في الدعوة الى الله تعالى على وتيرة واحدة وهي التي أمر الله نبيه ان يدعو أهل الكتاب لها بقوله (قل ياأهـل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) وهـذا هو الدين لان من تخلق بذلك كما ينبغي فقد تحقق بمعنى لا اله الا الله التي من تحقق بمعناها فقد جمع شتات الاداب الكمالية التي لا يتم للانسان وصف العبودية الا اذا تكاملها وما كان لنبي من الانبياء أن ينهي أمته عن التخلق بتلك الاداب لان النهي عن ذلك من عمل الشياطين ولنذكر شيئاً من تلك الاداب ليقف المطالعون لها على حقيقة الدين وأصوله ويخجل المفسد الضال الذي افترى على الله الكذب وأتى من الحماقة والسفه وسوء الادب بما لم يأت به ابليس (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) فنقول

أما شعب الايمان التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف فأعلاها شهادة أن لا اله الا الله كما قال رسول الله . ومنها الشهادة بالرسالة وهي وأشهد أن محمـداً رسول الله . ومنها الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد عند الحاجة اليـه والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والامانة والنصيحة وطاعة أولي الامر الا فيما يغضب الله والذكر وكف الأذى ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار والازدراء وترك الغيبة وترك التجسس والاستئذان عند دخول البيوت وغض البصر عن المحرمات وسماع الأحسن من القول واتباعه والاعتبار عند رؤية ما يتذكر به ولما الانتساب منفوراً كان او محتوماً

والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول الا من ظلم والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة من الذنوب الصغائر والكبائر والتوكل على الله في كل ما يحتاج اليه الانسان من عمل او ترك لانه هو الملهم المسخر الميسر في جميع الاحوال فمن استعان به في كل أحواله فقد أعطى القوس باريها ومن ادعى الاستقلال في أي حال من أحواله فقد جاء بظلم عظيم وباء بغضب من الله ومنها الخشوع ولا يعلم حقيقته الا العلماء الذين تحققوا بآداب العبودية وذاقوا من أحوالهم حلاوة الاتصاف بأوصاف الممكن الاربع وهي العجز والذل والضعف والافتقار ومن لم يتحقق بتلك الاوصاف فلا قدرة له على الخشوع . ومنها ترك اللغو من الحديث قولاً وسماعاً لانه نبذة من الجنون وتأباه الاخلاق الكريمة . ومنها الاشتغال بما يعني وترك مالا يعني وحفظ العهود والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الاثم والعدوان ومعصية الرسول . ومنها التقوى وهي التي أمر الله بها في قوله (واتقوا الله حق تقاته) وليس لها معنى الا أن يرى الانسان ربه نصب عينيه بالمعنى التي أشار الله اليها بقوله (وهو معكم أينما كنتم) وبمعنى قوله (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) فمن تحقق بذلك كان تقيا ومن زعم التقوى بغير هذا التحقق فهو مدع كاذب ومنها بر الوالدين والقنوت لله والصدق وترك الكذب وما هو الا اختلاق مالم يخلقه الله ولم يأمر به . ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس المعروف ماعرفه سفهاء الفلاسفة ولكن المعروف ماوصف الله به المؤمنين في أوائل سورة المؤمنين وفي آخر سورة الفرقان

وفي كثير من آيات القرآن وما قلنا ذلك الا تحذيرا للأمة من متابعة قوم الذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض فتراهم مغتابين متكبرين معجبين متفاخرين تاركين للفرائض الدينية و يأمرون بشيء من المعروف كاتباع الحق في الاحكام وعدم الارتشاء ويحثون على مجارات أهل الدنيا في طلبها والتكالب عليها و يظنون بذلك أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر والله يشهد انهم لكاذبون. ومنها اصلاح ذات البين وترك افساد ذات البين وخفض الجناح للمؤمنين واللين وترك العقوق. ومنها الدعاء والرحمة بالخلق أعداء كانوا اوأحباء هواما كانوا اوطيورا وانعاما ويشمل لفظ الخلق كل ذي روح تتأذى وتتلذذ وتوقير الكبير ورحمة الصغير واقيام بحدود الله وترك دعوى الجاهلية ألا وهي الافتخار بالجاه أو المال او العلم او العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال (دعوها فانها منتنة). ومنها التودد الى عباد الله الصالحين بل وجميع من لا يضرك صحبته في دينك من الخلق ومنها الحب في الله والبغض في الله والحلم والتؤدة أي التأني في الامور قولا او عملا اقداما اواحجاما حتى يتبين المتأني حقيقة امره. ومنها العفاف والبذاذة وما هي الا التجمل بمحاسن الاحوال ظاهرا وباطنا وترك التدابر والتحاسد والتباغض والتشاحن. ومنها ترك شهادة الزور وترك قول الزور وترك الهمز واللمز ومنها حضور الجماعة وافشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف والتهادي لقوله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) وحسن الخلق وصيانة السر والنكاح والانكاح وحب الفال وحب آل البيت وترك التطاير وحب النساء بالخال التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحب شره وشهوة وحب الطيب وحب الانصار وتعظيم شعائر

الاسلام وتعظيم حرمات الله وترك الغش وترك حمل السلاح او الآلة الضاربة على المؤمن وتجهيز الميت والصلاة على الجنازة وعيادة المرضى وأن تحب لأخيك المؤمن ماتحب لنفسك وأن يكون الله ورسوله أحب اليك من كل محبوب وان تكره ان تكون كافرا من عباد الآلهة الباطلة او تكون يهوديا او نصرانيا وان تؤمن بجميع الرسل وماجاؤا به مما لم يلحقه تغيير ولا تبديل وان تؤمن بالملائكة وأن تميط الاذى عن الطريق ولقد أجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه لعلمه أن من تأدب بما ذكرناه لا يفوته البحث عن باقي الآداب في الكتاب والسنة واعمال الجماعة من السلف الصالح ولقد اشار الى شيء من آداب الاحوال الامام ابن العربي محيي الدين في بعض وصاياه اذ قال ان من الآداب ان تعامل من تصحبه او يصحبك بما تعطيه رتبته ومنزلته فتعامل الله سبحانه وتعالى بالوفاء بما عاهدته عليه من الاقرار بالربوبية وليس الاقرار بالربوبيـة هو مجرد الاعتراف باللسان ولكنه ملاحظة جميع النعم التي يسديها اليك ليلا ونهارا وظعنا وقرارا وحركة وسكونا حتى مد البصر بعد الغمض وتردد الانفاس الى غير ذلك من النعم فيشيعها العاقل بالشكر ويتلقاها ببشاشة التذكار. وهشاشة الرضا والافتقار. هذا هو معنى الوفاء بعهود الربوبية وعامل آيات الله بالنظر فيها لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومن لم تذكره آيات الله كان في حوزة الذين أشار الله اليهم بقوله (وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار وعامل الانبياء بالاقتداء بهم وعامل الملائكة بالطهارة البدنية والذكر لانهم يحبون ذلك وعامل الشيطان من انس وجنة

بالمخالفة وكل من تهاون بالفرائض الدينية فهو شيطان الانس مهما بلغت درجته من العلم والجاه وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم من قول وعمل لقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وعامل من هو اكبر منك بالتوقير ومن هو اصغر منك بالرحمة ومن هو كفوء لك بالانصاف والتجاوز عن الزلات والايثار على نفسك عند الحاجة وبأن تطالب نفسك بحقه عليك وبأن تترك حقك عليه لقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) وعامل العلماء بالتعظيم وان لم يكونوا عاملين اكراماً لوصف العلم الا أن يكونوا كفارا مضلين ضالين عن سبيل الهدى وسيرة السلف الصالح كما نراه من اهل الزيغ والزندقة في هذا الزمن وعامل السفهاء بالحلم وعامل الجهال بالسياسة وعامل الاشرار ببسط الوجه لقوله صلى الله عليه وسلم (انا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم) وعامل الحيوانات بالنظر فيما يحتاجون اليه لانهم خرس وقد سخرهم الله لك واوكل امرهم اليك وعامل الاشجار والاحجار بعدم الفضول اي لا تتغوط الا في محل التغوط وهي الاماكن التي ليست معدة لمرور المارين وعامل الارض بالصلاة عليها فان صلاة المؤمن على الارض وذكره فيها صدقة عليها وانها لتشهد له يوم القيامة وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساويهم وهذا مخالف لمذهب الفلاسفة الذين يسبون اموات العلماء العاملين . والفقهاء المحدثين . ويختلقون لهم عيوباً يذكرونها ليزدريهم ناقص العقل والدين ولا يقصدون بذلك الا صرف القلوب عن معتقداتها الدينية لعلمهم ان العوام متى انصرفت قلوبهم عن اعتقاد صدق السلف الصالح وحسن اعمالهم يضعف ايمانهم وتميل قلوبهم الى الفلسفة فيكونون اشد كفر

ونفاقاً من باقي الامم الذين لادين لهم ولا يحيق المكر السيء الا بأهله والله عزيز ذو انتقام وعامل الصوفية اهل الكشف والشهود بالتسليم لانك ان انتقدتهم أو اعترضتهم مع جهلك بما هم عليه فقد أنكرت على قدرة الله سبحانه وتعالى كمال اقتدارها لانك لو أحطت بشؤن الله القادر في خلقه علما لقاربت ان يكون لك حق في الالوهية وتعالت حكمة الله وقدرته أن يحيط الانسان بدقائق صنعها علماً وليس من الادب انكار مالا يسعه العقل بعد قوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وقوله (يختص برحمته من يشاء) وقوله في قصة موسي عليه السلام وفتاه (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) فالاولى للعبد مهما وصلت رتبته من التعالي وبلغ مابلغ من العلم أن لا ينكر على قدرة الله مالا يسعه عقله والا التحق بالفلاسفة وهلك كما هلكوا لانهم أعداء أحباب الله ومن عادى حبيبك فقد عاداك وعامل الاخوان في الله بالنظر في أحوالهم وتفقد حركاتهم وسكناتهم ان كنت ممن لهم قدرة على قضاء حوائج اخوانهم أو على اسداء النصائح لهم وعامل الاولاد بالاحسان وعامل الزوجة بحسن الخلق وعامل أهل البيت بالمودة وعامل الصلاة بالحضور لقوله صلى الله عليه وسلم (ليس للمرء من صلاته الا ماحضر منها)وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب لأن الصوم جنة أي وقاية من الاعمال المقربة الى النار والجنة بضم الجيم اذا لم تق من تدرع بها فلاخير فيها . وعامل مناسك الدين بذكر الله والتعظيم ولا معنى لتعظيم العبد ربه لا الخشية والرهبة وخيفة . وعامل الزكاة والصدقة بسرعة الاداء وعامل التوحيد بالاخلاص ولا معنى للاخلاص الا ان ترى الله قبل كل شيء وترى

الاشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة لانك لو تأملت أعظم عظيم من الناس لوجدته متصفاً بكل أوصافك مقهورا لمن أنت مقهور له محتاجاً لما تحتاج اليه من أكل وبراز ونوم وغير ذلك ومن كانت هذه أوصافه لايملك لنفسه ضرا ولا نفعاً وهكذا يكون اخلاص الموحدين وما عداذلك هو من الشرك الخفي الذى استعاذ منه أولوا الالباب وعامل الأسماء الالهية بما تعطيه حقيقة كل اسم والى ذلك الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم (تخلقوا بأخلاق الله) فالاسماء الكمالية اذا تخلقت بها تلزمك أن تترفع عن كل ما يشينك من دناءة الاخلاق ومن الظلم ومن كل ما فيه نقص كما قال الشاذلي رضى الله تعالى عنه في دعائه ياألله يامالك ياوهاب هب لنا من نعماك . ماعلمت لنا فيه رضاك . واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن في جميع عطاياك . وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصاً مما استأثرت به في علمك عمن سواك . يريد من سر أسمائك التي استأثرت به في علم الغيب ولم يعلمه أحد غيرك والاسماء الجلالية اذا تخلقت بها تلزمك أن تكون غيورا على انتهاك جميع المحارم وعلامة ذلك أن تكون غيورا على نفسك أن تقع في ما يغضب الله كما تكون غيورا على غيرك والاسماء الجمالية يلزمك التخلق بها ان تكون بالمؤمنين رؤفاً رحيما من طريق الوراثة المحمدية حتى تعم رحمتك جميع المخلوقات كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقوله (ان تحرص على هداهم فان الله يهدي من يشاء) وقوله (فلا تحزن عليهم) اذ لولا انه كان كله رحمة لما وقع منه ذلك على أعدائه الذين آذوه ولكن اغضبه غضب على انفسهم . وعامل الدنيا بالرغبة عنها اتباعاً لقوله تعالى

(وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) وقوله (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر) الى آخر الآية الشريفة ولقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا جيفة وطلابها كلاب) وعامل الآخرة بالرغبة فيها والعمل لها لان الرسل قد أجمعوا على أن الدنيا والآخرة ضرتان متباعدتان وبقدر ما يقرب المرء من احداهما يبعد عن الاخرى وعامل النساء بالحذر من فتنتهن . وعامل المال بقرضه لربك لقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم) وعامل النار بالتقوى والخوف منها ومن العمل الذي يقرب لها وعامل الجنة بالرغبة فيها ومحبة الاعمال الموصلة اليها وعامل أولياءك بما يزيد في ولائهم أقاربا كانوا او اصدقاء وعامل الاعداء بما يكف عنك أذاهم وعامل قارئ القرآن بالانصات له وعامل القرآن بتدبر معناه ان كنت قارئاً او سامعاً وعامل الحديث النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الاصول فما وافقها فخذ به وان لم يصح الطريق اليه فان الاصل يعضده واذا ناقض الاصول فلا تأخذ به وان صح طريقه مالم تعلم أن له وجهاً فان طريق الآحاد لا تفيد الا غلبة الظن وعليك بالسنة المتواترة وكتاب الله فانهما خير مصحوب ولا تتبع في الاخذ بكتاب الله والفهم عنه الا الاتقياء الامناء واياك والمأولين من الفلاسفة الذين يأولونه ليضلوا الناس عن سبيل الله (والله لا يحب المعتدين) واياك والخوض فيما شجر بين الصحابة وعامل بيتك بالصلاة فيه وعامل مجلسك بذكر الله وبالاستغفار عند مفارقته وعامل الجنب صاحبك بالصفح

قوله تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) وعامل بصرك بالغض عن محارم الله وسمعك بالاستماع لاحسن القول ولسانك بالصمت عن سيء القول وان كان حقاً وعامل مافرط من الذنوب بالخوف وعامل الحسنات برجاء القبول وتوجه وعامل الدعاء بالاضطرار وعامل نداء الحق بالتلبية لما تدعى اليه من عمل او ترك بمعنى انه اذا اعترضك أمر من أمور البر مثل اغاثة ملهوف واطعام جائع او ازالة منكر او جاء وقت الصلاة او اي عمل من الاعمال التي اوجبها الله تعالى على عباده فاعلم أن الله يناديك اليها فلبه وأسرع الى امضائها وان اعترضك أمر منهي عنه فاعلم ان الله يناديك ان لا تفعل فتجنبه وهذا هو حال من فتح الله أسماعهم وأبصارهم من المؤمنين وان من وراء هذه الآداب لآداباً قد تحقق بها أصفياء الله في احوالهم ويعلمها الراغب من مطالعة كتب أهل التحقيق الذين تمكنوا من الحقائق الدينية قلوباً وقالباً واقتفوا آثار النبوة علماً وعملا وحالا ومن طالع تلك المؤلفات ووقف على ما كان عليه أرباب المجاهدات علم مزايا الرجال ومتعهم مواهب الكبير المتعال

ثم من الآداب ماهو مسطور في الكتب الدينية من مؤلفات الواعظين ومستنبطات الائمة المجتهدين. وما كانت هذه الآداب التي ذكرناها وما لم نذكره مما علمناه منها وما لم نعلمه الا مستنبطة من كتاب الله وأحاديث رسول الله وأعماله واحواله وما كان ذلك كله الا تأديباً من الله وتعالى لنبيه بعد أن صفاه وصافاه. واختاره واجتباه. وانزل عليه الوحي وهذا هو الدين الاسلامي فأي جاهل او مفتون او احمق او كافر او منكر او زنديق او مجنون يسوغ له أن يتصور ان الدين الذي لا يكمل التدين

به لا اذا تكامل تلك الآداب أن مصادره خرافات أو عوائد أم جاهلية ان هذا لهو الضلال البعيد

(العقبة السادسة)

هل ورود الانباء التي جاء بها القرآن عن الانبياء وعن أممهم وعما يكون بعد الموت يجوز أن يكون مضعفاً لقوة براهين القرآن وصحة نسبته الى الله بسبب أن تلك الانباء اوردها اليهود قبل البعثة في كتبهم أم لا يكون مضعفاً لها وعن هذا نقول

قيل ان رجلين التقيا في قرية من القرى أحدهما شيطان من شياطين التبشير والآخر من مؤمني العوام فأخذ ذلك الشيطان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويخوض في آيات الله التي أنزلها على رسوله قائلا ان جميع القصص التي تزعمونها قرآنا منزلا قد كانت مسطرة في كتب اليهود قبل نزول القرآن فقال له المسلم العامي وهل تلك القصص واقعية أم مكذوبة فقال منها ما هو صحيح ومنها ما هو مكذوب فقال هل وردت في الكتب المنزلة مثل الانجيل والتوراة أم لا قال ان منها ما هو وارد في الاناجيل فقال له ماذا أيها الشيطان كان ورودها في الانجيل اذا كانت مسطرة في كتب قديمة قبل ظهور الانجيل أليس ذلك قادحاً في صحة الانجيل كما زعمت أنه قادح في صدق القرآن ثم قال له أيها الشيطان ألم تكن وقائع الأمم مع أنبيائهم مشهودة لاقوام كثيرة في أعصارهم وتناقلتها الأجيال حتى جاء بها الانجيل والقرآن فهل من آية في الانجيل او في القرآن دالة على أن تلك الوقائع لم يطلع عليها مخلوق الا الرسل حتى تكون تلك الأنباء حجة لك على القرآن أنه ليس بمنزل

فقال ذلك الشيطان أليس القرآن هو أساس دينكم وهو أصله الثابت عندكم . قال المسلم نعم . قال الشيطان أو لم يكن القرآن قصصاً كله . فقال له المسلم كذبت ان أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ بسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) هذا هو مبدأ الوحي السماوي وأما الفرائض فكان مبدؤها الاسرى وليس برهان صدق التنزيل هو ورود تلك الانباء فيه ولكن برهانه هو الاعجاز الذي ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله لنبيه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال في آية أخرى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ثم مما يؤيد قوة هذه البراهين ورود هذه الانباء في الكتب السماوية وفي كتب المؤرخين ولكنها لم تكن كما وردت في القرآن بتلك البلاغة وليس القرآن قاصرا على أنباء الرسل وأممهم بل هو حكم كله وهدى ورحمة وبيان وشفاء لصدور المؤمنين وما جاء الحق سبحانه وتعالى فيه بأنباء الرسل الا تثبيتاً لفؤاد نبيه وتذكاراً للمؤمنين فلو أن ورود تلك الانباء كان قادحاً في القرآن فبالأولى يكون مكذباً للاناجيل التي نرى أن أسلوب القصص فيها لا يتجاوز أساليب العوام في قصصهم بل من فصحاء العوام من يتحاشى بعض الالفاظ التي وردت في الاناجيل فخسأ ذلك الشيطان بما يريد ولذلك جئنا بهذه المحاورة لتكون مفازة للباحث في هذه المعتبة ثم عرمنا على بيان تلك التحريفات الواردة في ألفاظ الاناجيل بعد الفراغ من ذكر هذه المقبات تصديقاً لما ذكره ذلك المؤمن الذي

أنطقه الله بالحق بغير سابقة اطلاع ولا تعلم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(العقبة السابعة)

هل كان في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يفقهون ويعقلون ويميزون الحق من الباطل او كانوا بلهاً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت منهم معارضة في صدق الرسالة وخالطهم الشك حتي تبينوا صدقها أم لم يكن ذلك وعن هذا نقول

لقد أجمعت الامم على أن العرب أفصح الناس منطقاً وأسماهم هماً وأوسعهم في المعارف نطاقاً واشدهم عن الانقياد اباء واقوى الامم لدى المقاومة دفاعاً ثم اجمعوا على ان قريشاً هم اشرف العرب حسباً ونسباً وارفعهم لدى التفاخر رتبا. وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم الا في عصر كان لقريش فيه الصيت الشائع. والجاه الواسع. لان واقعة الفيل أرهبت قلوب الامم من قريش . ولقد تربى محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم يتيماً لا شوكة له ولا صولة غير انه كان على خلق عظيم من عهد التمييز الى أن صار نبياً يدعى بينهم الصادق الامين وكم من نزاع بينهم كان فيه هو الحكم العدل وكان حكمه مرضياً قبل نبوته فلما أسري به ليلا أصبح يحدث الناس ويبلغهم رسالة ربه فطلبوا منه الادلة والبراهين على صدقه فجاءهم بما به صدقوه ولكن قوة الاباء في نفوس الاقوياء منهم دافعتهم عن الانقياد له لان قوة تمسك المتدينين بعبادة آلهتهم تمنعهم عن طاعة من يخالف ما يعتقدونه الا بعد جهد جهيد فلذلك كان الاباء من البعض ولكن الحق ما زال يعلو ولا يعلى عليه بكثير من الآيات وبشائر النصر والفتح المبين حتي آمن منهم من كانت له سابقة سعادة أزلية ولا ببت

آيات قرآن مبينة ما وقع من اسلاف هؤلاء السفهاء وآبائهم من الجدل والمعارضة والمدافعة حتى دال الحال ثم اوضحت البراهين والدلالات التي صدتهم عن تلك المعارضة ولولا ان الله سبحانه وتعالى جعل في الناس سعداء واشقياء وسبقت كلمته على فريق منهم بالعذاب لآمن من في الارض كلهم جميعا وما كان امتناع المشركين عن الايمان بهذا النبي الكريم بعد ما شاهدوه من الآيات الا كامتناع اليهود عن متابعة عيسى عليه السلام بعد ما انزل المائدة واحيى الموتى باذن الله وكامتناع فرعون وملائه عن الايمان بموسى بعد ما جاءهم بتسع آيات مبينات وما كان كفر هؤلاء السفهاء الآن وانكارهم رسالة صاحب هذه الشريعة العظمى الا تعصبا ومتابعة لأشرار اسلافهم تحكم الغرور والطيش في افئدتهم ولولا ذلك لآمنوا اذ من المعلوم ان القوم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم كانوا هم اوفر الناس عقلا واكملهم اخلاقا واحسنهم عملا في الجاهلية والاسلام اذ كان من شرف اخلاق عمر بن الخطاب انه مازني في الجاهلية ولا في الاسلام الى غير ذلك من مكارم الاخلاق المعروفة في القوم الذين تابعوا هذا النبي الكريم فلو انهم رأوا فيه عيوبا او ارتابوا في امره لما تبعوه وكذلك اقول الخلف الذين اتبعوه في ذلك الزمن من ملوك وامراء وضعفاء واقوياء ما تبعوه الا من بعد ما تبين لهم الحق كما تشهد بذلك الانباء الصادقة وسيأتي بيان شرفه وعظم جاهه وعلو منزلته على الرسل والله على ما أقول وكيل

(العقبة الثامنة)

ما هي الاسباب الحاملة السفهاء الفلاسفة من كل دين على هدم قواعد الاديان مع دعواهم الحكمة وكمال العقل ومع علمهم ان الاديان

هي كالحاجز بين المتدينين على اختلاف طبقاتهم وبين شهواتهم فيكون الدين الباطل اخف ضررا من لا دين وفي ذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

لقد خلق الله الانسان على الصورة كما ورد في بعض الكتب السماوية والاحاديث النبوية . وسخر له ما في السموات وما في الارض واعطاه قوة الفكر وهيأه بباقي القوى لتنفيذ ما اراده به ومنه حالا ومآلا ولكن الله سبحانه وتعالى تعرف لبعض واحتجب عن بعض بحكم سابقة التقدير الازلي فلذلك اختلفت منهم المشارب والمآرب فمن كان منهم من اهل التعرف توجهت افكاره الى معرفة ربه وشهده في نفسه وفي غيره واستبشر برسالته فرحاً وهش لمتابعة رسوله ليفوز برضوانه فما فاتته الدقائق من تلك المتابعة وما تخير لنفسه عملا ولا حالا الا ما كانت عليه الرسل لعلمه انهم ما تلقوا علومهم الا عن الله فتيقن ان الخير كله في متابعتهم فسار وراءهم قدماً بقدم

وأما الفريق الآخر وهم المحجوبون فقد تشعبوا شعباً كل وراء ما احتجب به فمنهم من احتجب بالملاهي من الشهوات البهيمية وهؤلاء هم اخس الخلائق طبعاً وأخفضهم منزلة كما تراه في حال المتهتكين في محبة النساء وشرب الخمور وملازمة التهاوي ومواطن الملاهي ومنهم من احتجب بالتكالب على الدنيا فلم تتوجه افكاره الا الى جمع الاموال والكد في تحصيل متاعها القليل ومنهم من احتجب بالجاه ونفوذ الكلمة ولولا ما هو عليه من العجز والافتقار الخلقي لادعى الالوهية . ومنهم من احتجب بسعة الاطلاع ومطالعة الفنون الرياضية وانطلق فكره سارحاً في ميادين معلومات سابحاً في بحارها المظلمة حتى تعمق في عميق موجها المتلاطم فأركبه

الشيطان مركب الغرور حتى غلب على عقله الافتتان بنفسه . وتمكن منه الاحتجاب بحسه . فظن انه نصيباً من ذلك الملك المسخر له وتوهم أن له الحق في التصرف فيه فتصب لاصلاح ما ظنه فاسدا من شؤون الخلائق الذين يرونه ارفع منهم منزلة جهلهم بشأنه وشؤون أنفسهم وكان من امره أن جعله الله سبحانه وتعالى بوأ اي صورة مخوفة يظنها الاغبياء ضارة نافعة لكي يخوف الله به من لايخاف ولا يستحي من ربه ليصرف قلوبهم الغافلة عنه وذلك بأنهم قوم لا يفقهون

وهذا هو حال الفلاسفة فتراهم لشدة طغيانهم عموا عن متابعة الرسل مع علمهم بأنهم على الحق ولكنهم توهموا انهم لا يزيدون عنهم في سعة العقل درجة بل ظنوا انهم في درجة العقل سواء فألزمهم سوء الادب ان يتخذوا للناس مسلكاً غير مسالك الرسل تكون سبباً لاصلاح ما فسد من احوالهم ظناً منهم ان لكل زمن حكماء وانهم هم حكماء ازمانهم فتعالى بهم الطيش الى درجة توهموها فوق درجة النبوة وغرهم انقياد ضعفاء القلوب وانتماء السفهاء اليهم فما تفطنوا الى أن حكمة الله فوق كل حكمة وأن تدبيره اكمل تدبير وأنه هو المشرع وانه كان بعباده خبيرا بصيرا فلذلك ازدروا بالآداب الشرعية وانتحلوا للناس طريقاً غيرها فهلكوا وهلك من تابعهم وهم لا يشعرون

ألا ترى الناس الآن اعتنقوا الدنيا وهجروا الآخرة متابعين لسفهاء الفلاسفة من كل دين إذ قاموا خطباء فيما بينهم مرغبين في الدنيا ومنكرين أمر الآخرة ظانين ان مراد الله من هذا الوجود ماهو الا التقدم والغلبة وكمال الاستعدادات المحاربة وسفك الدماء الي غير ذلك مما تنزع

اليه الامر الآن وما ذلك الا ثمرة الطغيان والطيش والله على كل شيء قدير فطوبى لعبد شاهد دخان هذه الفتن المهلكة فاحتمى من لهيب نيرانها بالالتجاء الى ماتحفظ به السلف الصالح وتتبع آثارهم بالنظر في أخبارهم وتفقد مؤلفاتهم حتى يتبين له الحق قبل أن تهوى به الاهواء من جهنم في مكان سحيق

ألا يرى المسلم المتبصر في أمره الذي تعز عليه نفسه أن يسلمها الى أولئك الشياطين أن شياطين المبشرين الآن ليس لهم مستند يستندون اليه في اغوائهم ولا ركن يركنون اليه في جدلهم الا ماعليه الفلاسفة الآن من ازدراء الدين. واعابة الأئمة المجتهدين. وانها لفتنة عظمى وطامة كبرى ومحنة عامة لاملجأ منها ولا منجا الا سعة رحمة الله ولطفه بعباده وهو التواب الرحيم

(العقبة التاسعة)

اذا تحققنا أن الرسل قد سلكوا مسلكاً دينيا وتبين أن عظماء الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعيا ومسلك الفلاسفة عقليا فمن من الفريقين تجب متابعته ومن هو الاكمل حالا والأحسن مقالا. والأقوم أعمالا. فنقول

ان المتأمل البصير الذي له نصيب من العقل اذا تأمل في أحوال الأمة وأعمالها من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن بعين الناقد البصير يعلم الفرق بين خيار القرون وبين الفلاسفة ويعلم السبب الفارق بينهم بأدنى تأمل ويتحقق حق اليقين أنه لو سرت المتابعة على حقيقتها في التابعين وتابع التابعين وراء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الى الآن لكان الكل خيارا

ولقد أجمعت جميع الامم من فلاسفة وغير فلاسفة أن محمداً وأصحابه هم خير الامم وأكملهم حالا وأسرهم أعمالا . ثم كل عاقل يعلم علم اليقين أن السبب الاقوي في وجود المخالفة بين التابعين في كل قرن ماهو الا اتباع الهوى ولا يكون اتباع الهوى الا من دعوى العقل التي عليها الفلاسفة في كل زمن . وان الفرق بين أخلاق الفلاسفة وبين أخلاق الرسل لواضح كوضوح الفرق بين أعمال هؤلاء وهؤلاء وبين أحوالهم اذ أحوال الرسل أحوال تسليم وتفويض وأعمالهم تابعة لاحوالهم . وأما أحوال الفلاسفة فأحوال استبداد ودعوى استقلال بالرأى ثم ان أعمالهم تابعة لاحوالهم . فالفرق بين الطائفتين كالفرق بين العبد المستسلم لسيده المنقاد لاوامره وبين العبد اللئيم الذي لا يعمل الا ماطوعت له نفسه عمله وليست متابعة احدى الطائفتين طوع اختيار المخيرين ولكنما هي وراء الاستعدادات الازلية . والقوابل الفطرية . كما كانت عليه الناس في أيام الرسل فمن دعمه العناية الازلية وساعدته سابقة استعداده على سلوك سبيل السعادة انشرح صدره لمتابعة الرسل في كمال الآداب وأداء الفرائض ومن حقت عليه كلمة العذاب افتتن بما افتتن به أئمة الضلال والزيغ وأخذ بفكره عن الآداب الدينية جانبا وأحاط به الغرور حتى اذا جاءته آيات ربه القرآنية أولها الى مايلائم حاله كما قال الله تبارك وتعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) واذا اعترضته آيات الاعتبار أعرض عنها فلا تصغى أذنه الا الى مغويه من تلك الطائفة الخبيثة التي هي أضر خلق الله على عباد الله نسأل الله السلامة والحفظ من الغرور والدعوى وسوء الافتتان انه كان تواباً حكيماً

وليتجنب مسلم العاقل مواقف الزلل وليتحمل المؤمنون بصالح العمل ومن أراد النجاة فليتحفظ من ورطات الغرور وليتجنب زخرف القول فانه ما من مصيبة أضر على العالم وعلى من يقتدي به من زخرفة لقول يجري على ألسنة السلف الصالح سيما اذا جاء على صحة قوله بدليل قرائن الاحوال الحاضرة اذ كل سامع كان يجهل أمرا ثم طرق آذانه ذلك الامر بكلام مزخرف لا يدافعه عن تصديقه مدافع الا اذا تلا عليه ما هو خير منه قال ممن يكونون فوق المتكلم لاول درجة في أعين الناس ولقد اصبحت طائفة الفلاسفة في هذا الزمن أعظم الطوائف في أعين الناظرين وما ذلك الا لسببين الواحد منهما أن الوقت وقت فتنة وضلال عن الدين وانهماك في الدنيا واقبال عليها وكل مقبل على الدنيا لا يعظم في عينه الا من كان ذا بسطة في المال والجاه . الثاني أن النفوس الامارة لا تميل الا الى ما يلائم أغراضها والقلوب لا تقبل الا على ما كانت بينها وبينه مناسبة فلا يميل المغرور الا الى أهل الغرور ولا ينثني سليم القلب الا الى أهل التقوى وقليل ما هم في هذا الزمن ولذلك ترى الدين كأنه صار غريبا كما بدئ تصديقا لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

(العقبة العاشرة)

ما سبب انتشار المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر سياسي . أم هو عمل خيري ديني أم لغاية مقصودة . واذا كان لغاية مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة ام لا ثمرة لها

ونقول لقد امتدت أعناق البصائر وتطاولت اعناق الافكار الى معرفة اسباب هذا الانتشار . الذي اصبح اشبه شيء بالطاعون البقري والحمى

الدجاجية واختلفت فيه الاقوال فمن قال انه امر دولي سياسي يقصد به كسر شوكة الدين الاسلامي واضعاف الحمية الدينية التي كان عليها المسلمون في محبة دينهم بتسهيل تذليلهم واذلالهم على من اراد ذلك بهم عند الحاجة وهذا امر بعيد عن دائرة التصديق لان الدول لا تعلق لها بأمر الديانات الا ان يقال ان بعض الافراد من زعماء الاصلاح الموظفين ميالون لذلك ميلا طبيعيا بعد الايقان بأنه امر غير مجمع عليه

ومن قائل ان احدى الدول نظرت الى رؤساء الاديان بعين الاحتقار وتحاملت عليهم فما وجدوا ملجأ الا الديار المصرية لظنهم انها هي الآن مواطن المحقرين الأذلاء . ومن قائل انهما شرذمة قليلة كانوا فقراء وتظاهروا بدعوى التدين بين بسطاء المسيحيين الاغنياء . فأمدوهم بالاموال فاتخذوا ما تظاهروا به حرفة تجارية وتغالوا في ذلك حتى كان من امرهم ما كان واثبتوا في قلوب المسيحيين ان خوضهم في عرض محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله العزيز هو من قبيل الانتصار للمسيح عليه السلام فاقبلوا على معاونتهم واكثروا لهم من العطاء ما تركهم يجولون في الاقطار لهذا الغرض كما يجول المجنون في الفضاء الذي لا زاجر له فيه . الى كثير من الاقوال ولسنا ممن تتطاول افكارهم الى البحث في ذلك ولكننا نقول العلم الذي يميل الى الوقوف على الحقائق القول الحق الذي يراه ارباب البصائر مما يجب اعتقاده عند ترادف الفتن والله يقول الحق ويهدي السبيل

قال الله تعالى في كتابه العزيز (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ولفظ شيء يشمل كل شيء من عالم الخلق

بالأمر وقال في آية أخرى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يريد في الحال والمآل والى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم بما معناه (خزائن الخير والشر بيد الله مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر وويل لمن جعله الله مغلاقاً للخير مفتاحاً للشر) وان الخير والشر أو الهدى والضلال ليتداولان بحكم الاقدار الالهية في الازمان كما تتداول الايام بالدول فالزمن الذي يريد الله فيه غلبة الخير على الشر تكثر خياره . وتتأيد أنصاره . والزمن الذي يريد الله فيه غلبة الشر على الخير تكثر أشراره لان من سنة الله في خلقه ايقاف المسببات على اسبابها ومن تأمل في وقائع هذا الزمن وانتشار الفتن فيه وانقلاب أحوال الامة من ايمان ثابت ويقين صادق وحياء من الله وخوف منه ورغبة في الجنة وخوف من النار وتمسك بالدين واداء الفرائض وتودد في الله ومحبة وميل الى الطاعة وبغض في المعاصي الى ما نراه الآن من الفسق والفجور وشدة الجرأة والاقدام على الاعمال القبيحة وفقد الحياء والخوف وانتشار القبائح وفحش القول السيء من كل صغير وكبير وتكذيب ماجاءت به الرسل من الوعد بالجنة والوعيد بالنار وفساد الاعتقادات والميل الى الشبه الزيغية المضلة وقوة شوكة الفاسقة والجدل وانتشار المضلين الضالين في أقطار الارض وكل ذلك قد كان في زمن لا يتجاوز العشر سنين علم علم اليقين ان مراد الله من خلقه ما هم عليه الآن من سوء الحال . ونسيان المآل . والتكالب على الدنيا وهجر الدين ليكون لجهنم منهم اوفر نصيب ولذلك ترى أن البيت من بيوت المسلمين الآن ربما مضى عليه أيام عديدة لا تسمع فيه من يقول لا آله الا الله ولا ترى فيه مصليا وربما

جعت لعائلة برمتها على هجر المناسك الدينية حتى لا يكون بينهم وبين اهل الكفر فارق بل ربما كان الكافر المتمسك بعبادة صنمه فوقهم في أداء ما يعتقد وجوبه عليه ومن تحقق الامر كما ذكرنا وتيقن ان الاقدار الالهية هي القاضية بما نراه وراء الارادة العلية التي كما أوجدت الجنة وجعلت لها أهلاً كذلك خلقت النار وعينت لها ما يكفيها اذا قالت يوم القيامة هل من مزيد علم علم اليقين أن هذا السير السريع والانتقال الذي كان على عجل من حال الى حال. كما ذكرنا هو عمل مقدر الاقدار لا عمل الاغيار. ولولا ذلك لما اتفقت أغراض الفلاسفة وطوايا المبشرين على ايقاع الريب والشك في قلوب العوام بما ألقوه اليهم مشافهة وعلى ألسنة الصحف الزيغية المنتشرة من تقبيح أعمال المتمسكين بدينهم بدعوى أن الكتاب والسنة ما اوجبا ذلك الى ربما معناه حتى انتقل العوام من تذكار الدين ومحبته الى نسيان وضلال وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

وأما غاية أعمال المبشرين ومن عاونوهم فما هي الا خفض أعلام الدين المحمدي وأما ثمرة ذلك المأمولة لهم فما هي الا توسعة نطاق ثروتهم واطفاء ما كان في قلوبهم قبل هذه البدعة من حرارة الفقر المدقع وان هذه الفتن لا بد لها من نهاية يعود وبالها على اهل المكر السيء كما قال الله تبارك وتعالى (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) وان الباطل لا يعلو على الحق وان تطاول به الزمن وما شاد الدين أحد الا غلبه كما أخبر الصادق الامين وكما قال الله سبحانه وتعالى (ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) ومتى اشتد الكرب هان وكلما تعالى الباطل دنى انحطاطه وان الذين ظهروا الآن بمظاهر الزيغ سيطويهم الخفاء تحت نعال المصائب اذ هم كبغال مسخرين

لأحمال ثقيلة حتى اذا بلغت محلها حشرت البغال في اسطبل الدواب ونه لاسطبل ليس لها فيه طعام الا من زقوم كما قال الله جل شأنه (لا يسمن ولا يغني من جوع) والله بما يعملون محيط

فعلى كل عاقل أتقيت تلك العقبات أمامه أن يتبصر فيما ذكرناه ويتدبره بفكر سليم وقلب حاضر ونيـة صحيحة حتى اذا ثبت في حافظة تصوره هذا البيان البين لا يعمل فيه سحر الساحرين. ولا مكر الماكرين ولا تزحزحه عن دينه القويم خدعة مخادع ولا شبهة مبتدع. والحق أحق أن يتبع. والله لا يهدي كيد الخائنين

ثم نقول انه لما ألقت الينا تقلبات الايام وحوادث الليالي أقوال اهل الزيغ التي جمعها صاحب (تنوير الافهام في مصادر الاسلام) اعرضناها على كثير من العقلاء فأعرضوا عنها مقتاً وازدراء وقالوا انها أحاديث أحداث غير مميزين ولقد اضحكهم حال ذلك الكتاب عندما علموا عنوانه وقالوا ان بين اسمه ومسماه تضاد وتناقض وما كان لمؤلف عاقل أن يؤلف بينهما اذ المطلع البصير لا يرتاب في أن ما جاء به أولئك المبطلون ماهو الا تشويش أفهام. وتمويه اوهام. فالتمسنا لذلك المؤلف عذرا لأنه ما كان الا ناقلا جاهلا بما هو الدين فلهذا ما وجهنا اليه ملاما بل كل ما كان وما يكون منا من عتب او سب لا نقصد به الا من نقل عنهم ذلك الناقل لأنه لو علم أنها خمر ما حملها الى أحبائه واخوانه ولا تعرض للعنة الله حيث يلعن الله الحامل والمحمول والمحمولة اليه كما ورد في حديث الخمرة

ثم لما كان كل مطلع على هذا الكتاب يعلم علماً بديهياً أن المقصود منه ماهو الا تشويش افكار عوام المسلمين الذين يجهلون آداب الدين وأصوله

الجأه حب الخير وصدق الايمان والتعاون على البر والتقوى ان نأخذ بأيدي جهلة العوام من ورطات هذه السيئة التي يراها العلماء في اعينهم هزءاً مضحكاً ويراها الجاهل جدلا مسكتاً فصار من الواجب المحتم واللازم الضروري ان ننكش من نكش. ونلكش من لكش ونصرع المصارع. وننزع المنازع. ولهم في الآخرة عذاب مهين

الكلام الآن على الدين لا من حيث هو امر سماوي موصل الى سعادة ابدية كما سبق بيانه ولكننا الآن في ميدان الجدال نتكلم عليه من طريق انه حضارة وتمدن كما زعم الفلاسفة وسفهاء الزائغين لأنهم لا يعلمون الا ظاهرا من القول ولا يعتقدون الا طريق الاعتدال في المصالح الدنيوية ولقد عاب اصحاب هذا الكتاب دين الامة المحمدية. لزعمهم ان مصادره ليست سماوية. ولكنها خرافات اخبار كما زعموا فصار من الواجب الآن على كل مسلم وكل مسيحي بل وكل يهودي ان يبحث عن مصادر الديانات الثلاث ومواردها وما جاءت به وما عليه المتدينون منها حتى اذا ماتحقق الحق في واحد منها تدين به متى علم ان الله سبحانه وتعالى قد ارتضاه لعباده ثم بعد ان نتبين الحق نتكلم ان شاء الله تعالى عن الرسالة المحمدية من حيث انها سماوية وانها هي لباب دين الله وملاك امره وحقيقة حاله فلنبدأ بدين موسى عليه السلام فنقول

قام موسى عليه السلام يقاوم قوما من آل فرعون قبل أن يرسله الله اليهم مقتاً لما كانوا عليه من أحوال التوحش والاستبداد وبغضاً لفرعون الذي كان يدعي ماليس له فيه من حق وما كان ذلك المقت والبغض طاعة لأمر الله ولكنها فطرته التي كان عليها لان من سنة الله

في خلقه أن يهيأ لما يريد امضاءه من الاعمال المقدر وقوعها في كل زمن استعدادات وقوابل فيمن يريد اظهارها على أيديهم وأن يجعلها موارد أفكار قوم قبل ظهورها فلذلك أوجد الله في قلب موسى وقلوب شيعته بغض فرعون وملائه كما أحدث في قلوب قوم من قريش بغض الاصنام وسآمة عبادتها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بقليل كما ذكره صاحب تنوير الافهام وسيأتي بيانه فلما ائتمر القوم بموسى ليقتلوه خرج من بينهم خائفاً يترقب ولا يجهل متدين عناية الله به في زمن الطفولية اذ رباه في حجر عدوه على علم منه ثم في زمن الرجولية اذ آواه وزوجه ابنة شعيب بلا سابقة تعارف ولما آن أوان بعثته تعرف له الحق تبارك وتعالى في صورة حاجته ليلا اذ كان يحتاج لامرأته قبساً عند وضعها الحمل في حال السفر فأراه الله جل شأنه وتقدست أسماؤه من الشجرة ناراً فلما أتاها نودي ياموسى انني أنا الله ولم يكن هناك عليهما شاهد ثم أرسله الى فرعون وملائه بآيات بينات فكذبوه وقاموا في وجهه مجادلين ومحاورين ومعارضين وكلما ازداد الحق وضوحا ازداد القوم كفرا كما أنبأنا الله بذلك وكما ورد في العهد القديم من الاناجيل التي يدرسها الآن المسيحيون وما زالوا كفارا حتى أهلكهم الله الا من شاء الله هدايتهم ولما جاوز الله بموسى البحر ومن معه أكرمهم بما فضلهم به على العالمين في ذلك الزمن وما كان ذلك التفضيل الا الذي امتن على موسى به في قوله له (اني فضلتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فقام عليه السلام في قومه يتلو التوراة ويمضي . أحكامها وهم طورا يتلونون وطورا يستقيمون حتى قارب موسى الاجل كتب لهم التوراة وهو في غاية من

الاسف والحزن على ما وقع منهم من الاثم الذي لاينبغي أن يتخلق به من له أدنى احساس أو تمييز من مقابلة نعم الله بالبطر والكفر مع ما علمه منهم من نقض العهود باخبار الله سبحانه وتعالى له فجمع الراشدين منهم كما هو مسطر في العهد القديم وهذا نصه

(فعند ما كمل موسى كتابة كلمات التوراة في كتاب الى تمامها أمر موسى الاوابين حاملي تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم لاني انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وانا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا الي شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والارض لأني عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الايام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمالكم بأيديكم)

هذه هي شهادة موسى عليه السلام على أمته وأما شهادة الله سبحانه وتعالى عليهم فهي فيما ورد في ذلك العهد في الصحيفة التي قبل هذا وهذا نصه

(وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت أدع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه ولما وقفا هناك قال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الاجنبيين في الارض التي هو داخل اليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم واتركه واحجب وجهي عنه) الى آخر ما ذكر هناك

وذلك بعض مما جاءت به تلك الامة من المخالفات في حياة ذلك الرسول الكريم كما هو معلوم مما ورد عنها في كل الكتب السماوية ثم بعد موت موسى كان ما كان من بني اسرائيل من المخالفات وهجر الاحكام الشرعية وقتل الانبياء وقد انبأ القرآن عنهم بقول الله سبحانه وتعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) الى آخر الآية الشريفة

فالعقلاء يستنتجون بآرائهم مما ذكرناه اربع نتائج (الواحدة) ان مبدأ رسالة موسى عليه السلام خطاب الله سبحانه وتعالى من الشجرة ليلة وضع زوجته . (الثانية) ان موسى مات غير راض عن امته . (الثالثة) ان الله سبحانه وتعالى كان ساخطاً عليهم لانهم كفروا نعمه وخالفوا اوامره مرارا . (الرابعة) لم يحفظوا شريعة نبيهم بعد موته . ومن كان هذا حاله لا يقتدي به ولا يتبع ولا يصدق في أنبائه ولا يؤمن على كتاب الله الذي جاء به موسى وهذا هو ماينبغي لكل عاقل ان يعلمه من كلام العهد القديم كتاب المسيحيين ومن آيات القرآن المجيد الذي انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم لان اعمال تلك الامة كلها ماوافقت اعمال التمدن بوجه من الوجوه بل كانت اعمال توحش وهمجية كما شهد بذلك الرب جل شأنه في ذلك العهد بقوله (انهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم) ومن كانت هذه شهادة الله فيه لاخير فيه ولا يعتد بقوله ولا بعمله

واما عيسى عليه السلام فنحن بكل ادب واحترام نعتقد صدق رسالته وصحة دينه الذي كان عليه هو والحواريون من بعده ونعتقد ان دينه هو الدين الاسلامي الذي سبق بيانه قبل وقد كان دين كل نبي

ورسول وحكم تتحكم على الدين الذي اعتنقه قومه الآن من حيث انه حضارة وتمدن ومخترعات فلاسفة أقدمين تركوا آداب الدين الحقيقي وتفسوا في الظهور متظاهرين بالعلم والمعارف لا من طريق الاتباع. بل من طريق الابتداع. وراء مخيلاتهم. وتمويهات أوهامهم. فنقول

ج- في كتاب العهد الجديد في الاصحاح الاول أن ولادة المسيح كانت هكذا

(لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فتلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا)

و . . . عب فصحاء لامة في هذا الاصحاح من ركاكة الالفاظ وقلق . . . كن هو السبب الوحيد في فتنة اليهود وزعمهم أن المسيح هو ابن يوسف وذلك من وجوه

١ . . قوله وجدت حبلى من الروح القدس يفيد ان روح القدس الذي هو جبريل عليه السلام او اي ملك من الملائكة الروحانيين واقع مريم فحبلت منه وذلك ينافي انه كلمة الله بالمعنى الذي يزعمه المسيحيون لانهم يقولون ان المسيح كان ذاتاً موجودة كائنة قبل حصولها في بطن مريم

وان هذه الذات التي هي من الله هي جوهر الهي حل في احشاء مريم وقدس سرها وهو علة كيان المسيح بدون اب

فهم اصحاب هذه السخافة تلك الالفاظ انما تقولها الا قوم جهلاء باللغة العربية قد تفننوا في الجهل لأنه لو كان المسيح ذاتا موجودة قبل وجود مريم لقال الانجيل انما حلت الذات المقدسة الجوهرية التى هي ابن الله بطان مريم فظن يوسف زوجها أنها زانية فجاءه الملاك ببراءتها بدل ما تقدم ذكره

ثم تأكدوا جهل متصنعي هذا الاصحاح من ركاكة قولهم اذ قالوا ان ملاك الرب قال ليوسف لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس وطالما ضحك الفصحاء من قوله حبل به فيها لانهم فهموا أن الملاك الذي أتى ليوسف هذ القول تخيل أن بطن مريم قرية من القرى حبلت فيها حبلى بولد فقال الذي حبل به فيها هو من الروح القدس لانه لو تفطن لان مريم هي الحبلى لم يقل حبل به فيها فلهذه الركاكة أرجو انفسهم ان يتركوا دعوى التقديس والعهد الجديد ليتبينوا هل هم الكتاب المقدس الذي نزله الله ام غيره وسنذكر مايبدوا لابصارهم وبصائرهم بعد قليل

ثم جاء في ذلك العهد الجديد أن الملاك جاء ليوسف منامًا مرة ثانية بعد ولادة المسيح ليهرب به الى مصر قائلا له في الحلم خذ الصبي وأمه واهرب الى مصر كما في الاصحاح الثاني وقد هرب بهما ولما مات هيرودس جاءه الملك مناما ليرجع بهما فرجعوا الى ناصرة ولذلك كان يدعى عيسى الناصري ثم في الاصحاح الثالث ذكروا أن يوحنا عمده

والتعميد هو بمعنى الاغتسال لأن كل تائب على يد استاذ لابد أن يتطهر بالماء عند التوبة غير أن المسيحيين يزعمون أن ماء التعمد ماء خاص مبارك وهذه أيضاً احدثت في صدور العقلاء شيئاً من الشك في أمر المسيح من وجهين. الاول أن المسيح هو الاله وما كان لاله ان يعمده عبد من عبيده. الثاني أن القرآن المجيد قال فيما حكاه عن المسيح انه قال لقومه عند ما أشارت اليه ان يتكلم (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) ومن كان نبياً وموصي من قبل الله لا يسمح له الادب مع الله أن ينتمي الى عبد من عبيده ليطهره بالتعميد فلذلك اجمع جماعة من العقلاء وهم الفصحاء الذين أشرنا اليهم قبل أن يتصفحوا صحف العهدين ليفحصوا حقيقة الحال بدقة التأمل فيتبينوا مصادر الدين المسيحي فلما وقفوا في الاصحاح الرابع على ما كان بينه وبين ابليس وقوله ان ابليس أخذه الى المدينة المقدسة وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك وقوله له مرة أخرى أسجد لي وأنا أعطيك كذا علموا أن هـذه خرافات محدثين لعلمهم ان المسيح عليه السلام محفوظ بحفظ الهي لا قدرة لابليس ان يأخذه ويقف به هـذه المواقف لأنه ليس له سلطان الا على الذين يتولونه ولقد سأل الله سبحانه وتعالى أن يأذن له في لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأذن له وحفت الملائكة حول سيد الرسل ووقف ابليس على بعد قائلاً يا محمد خلقت للهداية وليس بيدك منها شيء وخلقت للغواية وليس بيدي منها شيء وما كان له من بغية في القاء هذا القول الا أن يقع عند النبي صلى الله عليه وسلم موقع القبول فيكون له عليه فضل التعليم فقال له صلى الله عليه وسلم مامعناه الحقائق معلومة

وقولك مردود عليك فخجل اللعين وذهب من حيث أتى

اذاً فالقول بأن اللعين أخذ المسيح ووقف به تلك المواقف قول مستهجن لا يصدقه الا من لا عقل له ولا دين لأنه من الثابت الصحيح أنه لم يصل اليه وهو طفل فكيف يصل اليه وهو نبي ورسول ثم ذكر في هذا الاصحاح أن يوحنا مات في ذلك الزمن ولما سمع المسيح بذلك قام يكرز و يقول للناس توبوا فلما وقف العقلاء على هذا الموقف علموا أن مصدر الدين المسيحي هو تعميد يوحنا لعيسى عليه السلام وأنه تلميذه وأن مبدأ دعوته ليس عن أمر سماوي ولكنه عمل من عمل الاتقياء كما يعمل تلميذ أحد مشايخ الطرق اذا مات شيخه يكون خلفاً له في طريق الارشاد الى الله سبحانه وتعالى وماهكذا كان امر المسيح الذي يعلمه المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبباً لقوة الشك في قلوب هؤلاء العقلاء في احتمال الصدق والكذب من امر هذا الكتاب ولكنهم تثبتوا حتى يتيقنوا الامر على ما هو عليه وسارت بهم نجب الاطلاع في ميدان المطالعة الى أن وصلوا في الاصحاح الخامس الى قول المسيح لتلامذته (فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات)

فعلموا ان المسيحيين لجهلهم باللغة العربية عند ما عربوا الانجيل ظنوا أن اسم الرب الذي هو بمعنى المربي ينطبق على الاب بمعنى الوالد وأن المربوب اذا كان محبوباً مجتبى يطلق عليه اسم الابن فلذلك جاء في هذا الاصحاح قوله ويمجدوا أباكم الذي في السماء فليس الله أباً للمسيح فقط ولكنه أب لكل بار كما يقول المسلمون النبي جد كل تقي وكما قال الله تعالى (النبي أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فليس هو بأمهات ولادة ولكنهن أمهات بر وحنان وتكريم وعلموا ان ذلك اجهل من المسيحيين هو السبب الاقوى في فساد اعتقاداتهم وزعمهم ان المسيح ابن الله لأنهم ما تدبروا معنى ما أنزل اليهم

ثم لما وصلوا الى قوله في هذا الاصحاح لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ماجئت لأنقض بل جئت لأكمل فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السموات والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس فتيقنوا ان الناموس الذي جاء به موسى وابراهيم وجميع النبيين الذي هو الدين الاسلامي ولكنهم لما طالعوا قوله بعد ذلك في هذا الاصحاح أيضا قد سمعتم أنه قال للقدماء قبلكم لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما انا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ثم قال لهم بعد ذلك انه قيل للقدماء لا تزني وأما انا فأقول لكم ان كل من نظر الى امرأة يشتهيها فقد زنى بها في قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك الى أن قال وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها حار العقلاء في معنى ذلك القول لانه لو كان هذا تكميلا للناموس الالهي وكان من اوامر الله كان شرعاً معمولا به ومن لم يعمل به فهو فاسق فلو ان المسيحيين عملوا بهذا لأصبحوا وما منهم من ليس بأعور أو اعمى او اقطع والا كانوا فاسقين سيما القسس الذين كنا نسمع عنهم انهم كانوا فيما يزنون بنساء الاقباط في القرى بدعوى حمل الخطايا والتعميد سرا ثم الذين كانوا يتناولون الرشاوي بأيديهم الى غير ذلك من انواع الفجور فان كان ماجاء في هذا الاصحاح هو كلام الاله المسيح من

نفسه على سبيل الوعظ كما يأتي به الوعاظ من التشديد في زجر الفجرة ولم يكن من الناموس الالهي فلا ينبغي ان يكون محبوباً ومكتوباً في الكتاب المقدس الذي يقال له تنزيل الهي

وكذلك عند ما وصلوا الى قوله سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا فهموا ان ذكر ماجاء في الناموس الالهي والاضراب عنه بعد ذكره بذكر كلام يناقضه وينافيه لابد أن يكون ناقضاً له وقد تبرأ المسيح في كلامه من نقض الناموس بقوله ماجئت لأنقض الناموس وحينئذ ينطبق عليه أحد الاحتمالين السابقين بمعنى انه ان كان من عند الله كان ناسخاً لحكم الاول وناقضاً له وان كان من عند المسيح لم يكن انجيلا

ثم لما طالعوا بقية هذا الاصحاح من قوله قد سمعتم انه قيل لمن قبلكم تحب قريبك وتبغض عدوك وأما انا فأقول أحبوا أعداءكم الى ان قال فكونوا انتم كاملين كما أن اباكم الذي في السموات هو كامل فعند ذلك تعجب العقلاء من نسبة هذا الكلام للمسيح عليه السلام من وجهين الاول انه يعلم ان الكلام الذي يريد نقضه هو من عند الله وأن الله هو منزله وليس من الأدب ان يقول الله قال كذا وانا اقول كذا. الثاني انه يعلم ان العدل في القضاء هو الكمال الكامل ولو علم الله ان في ذلك الحكم ما ينافي الكمال ماشرعه وليس الولد بأعلم من ابيه ان قلنا كما تزعمون انه ابن الله ولو كان هو الاله كما يقول السفهاء منكم لكان الاولى له ان يقول انا قلت لمن قبلكم كذا واليوم اقول لكم كذا ومن هذا كله تحقق العقلاء

ان هذا الكلام ليس لعيسى ولا لأبيه ولكنه اما معرب محرف واما مصطنع عن جهل فلذلك التمسوا عذرا للمسيحي الحائر الذي عنون رسالته بقوله أين الانجيل الحقيقي وعلموا انه ماجاء مجادلا ولكنه يروم الوقوف على الحقيقة بارشاد المسلمين له ولكنه تستر بما جاء به في تلك الرسالة من الجدال والمحاورة مداراة لسفهاء قومه

ثم قال في الاصحاح السادس (احذروا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات فضحكوا كثيراً من سخافة هذا القول وركاكته لأن لفظ قدام لفظ يستعمله العوام فيما اذا تقدم رجل أخاه فيقولون مشي قدامه ثم ان لفظ لا تصنعوا بدل لا تعطوا صدقاتكم يعد لفظاً ركيكا ثم قاموا مقارنين بين هذه الالفاظ وبين ماورد في القرآن في هذا المعرض فقرأ أحدهم وكان ذا صوت رخيم وترتيل حسن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رآء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا) الى آخر الآيات الواردة في هذا المعرض

ثم تعجبوا من اعتراض الخاطئة صاحبة المنار الذي رددنا عليه ضمن كتابنا مثبت العقل والدين على قول الله سبحانه وتعالى (تلك عشرة كاملة) اذ قالت ان قوله (كاملة) لفظ زائد لا يناسب بلاغة القرآن ثم قالوا لماذا لم تتكلم هذه المشؤمة على مافي هذه الأناجيل من الالفاظ الفظيعة أما سمعت قول المسيح كيف تنظر القذى في عين أخيك ولا تنظر الخشبة في عينك فكان الاولى لها ان تتبع عوراة قدماء دينها بدل خوضها في آيات الله سبحانه

وتعالى بما لا ينطبق على أفهام العقلاء اذا الفرق بين بلاغة القرآن المجيد و بين ركاكة هذه الاناجيل لا ينكره منكر عالماً كان او جاهلا فان قلنا ان الانجيل كان من عند عيسى والقرآن من محمد كان محمد صلى الله عليه وسلم اعلم بمواقع الخطاب و ترتيل الكتاب. وارشاد الاصحاب. من عيسى كما نراه في كتابه. وأحاديثه وآدابه. ولا ريب في أن أعلم المرشدين وا كملهم أولى بالاتباع فلماذا لم تتبعه تلك الخاطئة وان قلنا ان عيسى ابن الله وكلامه كلام مقدس وأما محمد فمتصنع كاذب يقول القائل هل يظن عاقل او يتصور متصور أن الكاذب من العبيد يكون أحسن لهجة وأقدر على الجمع بين جميع محاسن الكلام في اقواله من خالقه ان هذا لهو الضلال المبين. وان قلنا ان الانجيل والقرآن كلاهما من الله يقول القائل هل كان الله سبحانه وتعالى في الزمن الذي أنزل فيه الانجيل على حال غير الحال التي كان عليها عند ما أنزل القرآن فيكون كانه لم يستكمل نهاية البلاغة والفصاحة الا في الزمن الاخير وهذا هو الكفر والجهل بعينه اذاً فيتعين أن يقال ان كلا الكتابين من عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى كما أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس على قدر عقولهم كذلك كانت سنته في خلقه ورسله فأنزل التوراة على أمة حمقى لا عقول لها كما شهد عليهم بذلك هو وموسى عليه السلام فلذلك كانت معاملته لهم في الخطاب والتعليمات والآيات على قدر عقولهم وأنزل الانجيل لبقايا تلك الامة فعربوه بما يليق بحالهم وحرفوه وغيروا و بدلوا فيه كما يشتهوا وكان منهم الدجالون الذين طال ما حذر المسيح الحواريين منهم . ثم انزل الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على أمة كانت خير أمة أخرجت للناس بشهادة

لله ورسوله كتاباً محفوظاً فحفظوه وقاموا بما يجب به من العلم والعمل والأدب الكامل وتلقوه بقبول حسن وتواصوا به الى أن أوصلوه الى سفهاء هذا الزمن فحملوه علماً وعملا وأصبح الكثير به كافرين وصرفوا قلوب ابنائهم عن التعلق به بما اشغلوهم به من الفنون التي تركتهم كفاراً من حيث لا يشعرون . ثم تداول العقلاء الكلام فيما كان من أهل هذا الزمن من الخسران وخيبة الآمال والمسارعة الى النار حتى بكي البعض والبعض تباكي أسفاً وحزناً على هذه الامة التي أفسد حالها فلاسفتها ودسوا لها السم في الدسم ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ثم قال في هذا الاصحاح (ومتى صليت فلا تكن كالمرائيين الى أن قال في آخره فلا تتشبهوا بهم لان أباكم يعلم ماتحتاجون اليه قبل أن تسألوه)

فتعجب القوم من سفاهة المسيحيين وقالوا كيف كان يتعاقب عليهم لفظ لأب في كل اصحاح عاماً لكل موعوظ من تلك الامة على لسان المسيح كما زعموا ومع ذلك يخطر ببالهم أنه يستلزم الابوة الحقيقية بالنسبة للمسيح وقالوا من أي طريق خطر هذا الخاطر المهلك لقلوب هؤلاء الضلال مع مشاهدتهم حال المسيح الذي لا ينطبق على شؤن الالوهية ومع علمهم بأن من أطاع الله مع الاستقامة يعمل كل عمل عمله كما نقلوه عنه فأي ضرورة الجأتهم للاشراك بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم لما وصلوا في هذا الاصحاح الى قوله . (لاتكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث

لا ينقب سارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك يكون هناك قلبك أيضاً) فقام احد العقلاء قائلا ان هذا الكلام يفيد حكمين احدهما تحريم الادخار تحريماً عاماً للمال وغيره بلا تفريق بين المزكي وغير المزكي والثاني تحريم ذلك لقيدين احدهما خوف السوس والصدا والثاني خوف السرقة فلو ان الكانز اتخذ الوقاية لماله من السوس والسرقة لا يحرم عليه الادخار ولو لم يتصدق ولا يزكي ماله . ولذلك قارنوا بين هذا القول وبين ماورد في القرآن من قوله تعالى . (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فتحققوا أن هذا الكلام هو الناموس الحقيقي وكذلك قوله في الحث على الصدقة (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) وقوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) ثم قام احدهم وفي يده كتاب اسمه المجالس للقطب الرباني . سيدي عبد القادر الجيلاني . فأسمع الحاضرين منه من المواعظ ما ينعش الالباب لجودة الالفاظ ورقة المعاني والاشارات ثم قال اليس هذا بأبلغ في الارشاد وأوسع في النصائح وأجمل في الآداب مما سمعتوه في هذه الاناجيل وقام آخر وبيده كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري وألقى منه على المسامع ما القاه فأنعش وأدهش وأجمع الكل على أنه انضج ثمار الحكمة بعد القرآن والحديث وصارت كلمات الاناجيل في أذواق القوم بعد ماسمعوه كذاق الحوامض بعد الحلوى أو كالقبلة بعد الجماع فقالوا لتالي الانجيل

تعجل النهاية كراً وفرا فقد سئمنا التطويل

فما بلغ القارئ النهاية حتى كادت نفوس العقلاء ان تزهق لما مر عليهم من الاقوال التي لاتميل اليها المسامع ولا تتلقاها بالهشاشة الافهام الا اجلالا لمن نسبت اليه . فقال بعضهم لبعض اذا كان الكتاب كله روايات واخبار عن متى وحنا وبولس ويعقوب مثلا الى كثيرين ممن ذكروا باسم رسل ثم من تلك الاقوال ما هو منسوب للمسيح ومنها ماهو منسوب لآخرين فأين هو التنزيل الذي جاء من الله سبحانه وتعالى وبأي طريق ثبتت رسالة الرسل الذين زعموا أنهم رسل فان كانت مسميات هذه الاسماء هي ذوات الحواريين فلا يكونون الا صديقين كأبي بكر وعمر وغيرهما من اتقياء الصحابة العلماء وان كانت تلك المسميات غير الحواريين فأين برهان رسالتهم وكيف ساغ للمسيحيين التصديق بتلك الرسالات بلا برهان والتكذيب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي كلها براهين قواطع وحجج بالغات أليس هذا هو العمى أليس هذا هو الجهل المهلك أليس هذا هو العته الذي منشوءه الغباوة أليست هذه هي البساطة التي تولدت من حماقة آبائهم واسلافهم الذين شهد الله لهم بأنهم لاعقول لهم وجاء القرآن قائلا ومشيرا لهم بقوله(ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ثم قال أحد العقلاء لاصحابه اني لفي غاية من التعجب والاستغراب للرؤيا التي جاءت في آخر هذا العهد الذي سموه جديدا لطولها المخل وتشعب شؤنها ولا أدري بأي حال ومن اي طريق ينطبق عليها اسم الانجيل السماوي والكتاب المقدس وماهي الا رؤيا منامية . او دهشة رياضية . لان بعض المتريضين الذين يستعملون الرياضة بلا معلم ولا مربي ربما اعترضتهم

خيالات أوهام مدهشة يظنونها حقائق موجودات وما هي الا من عالم الخيال الذي تكونت أرضه من بقية طينة آدم عليه السلام ثم قال لقد أذكرتني هذه الرؤيا مناما مضحكا كنت أسمعه حال الطفولية من بعض المضحكين وما القيه اليكم من باب الازدراء لهذا الكتاب المقدس كما زعموا ولكني أسرده ترويحاً للقلوب التي ضاقت صدورها لما تناولته الآذان من هذه الاقوال الممرضة لقلوب أولى الاذواق

حكى أن رجلا من قراء تونس كان يتردد على بعض المصريين للضيافة فلما ثقل عليه ذلك الامر أوصى اهله بوضع شيء مسهل في طعامه ثم أغلق عليه الباب عند النوم من الخارج فلما جن عليه الليل استيقظ من نومه فوجد نفسه مثقلا بما في وعائه فسارع الى الباب فوجده مغلقاً ولم يستطع صبرا فما وسعه الا ان رفع أطراف الفراش من كل جهة ووضع في كل ناحية بعضاً مما اخرجه من دبره وما زال يفعل ذلك كلما غا ابه الغائط حتى أدركه الصباح وجاء رب الدار فما استقر به الجلوس حتى ناداه الضيف يا هذا اني رأيت الليلة مناماً مزعجاً فقال له خيرا رأيت فقال رأيت اني صعدت المنارة لتأدية وظيفة المؤذن فجاء ريح عاصف اسقطني من ذلك المكان العالي فصرت اهوى ساقطاً ساقطاً ساقطاً وما زال الضيف يردد قوله ساقطاً حتى مل صاحب الدار وقال ياهذا ان هذا المنام يخري فقال له وها انا خريت ورفع اطراف الفراش مشيرا الى كل خرية بقوله هاك وهاك فضحك رب الدار حتى اغمي عليه وخرج الضيف على عجل لخزيه وخجله

ثم تفاوض القوم الحديث في شأن الديانة المسيحية التي عليها الامة

المسيحية الآن ليعلمو مصادرها فقال احدهم اما تفطنتم ياقوم للعبادة التي امر بها المسيح قومه في العهد الجديد فقالوا وما هي قال الانجيل لهم ما نصه في الاصحاح السادس

(فصلوا انتم هكذا. ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذا على الارض خبزنا كفافنا اعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد آمين) ثم قال لهم (فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم زلاتكم ايضاً)

فما سكت ذلك الناقل لهذا الاصحاح الا والقوم رفعوا اصواتهم بالصلاة والتسليم على محمد صلى الله عليه وسلم قائلين . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد بحر انوارك . ومعدن اسرارك . ولسان حجتك . وعروس مملكتك . وامام حضرتك . وطراز ملكك وخزائن رحمتك . وطريق شريعتك . المتلذذ بتوحيدك انسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين اعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك . صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك . لا منتهى لها دون علمك صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين

ثم قالوا ان عيسى عليه السلام ما امر امته بهذه الصلاة الا لما علمه منهم من الجهل والجوع ولذلك طلبهم المائدة السماوية وما قال لهم ابوكم الذي في السماء الا لعلمه بان ايمانهم بالله ما هو الا كايمان الامة السوداء اذ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربك فاشارت الى السماء فقبل ايمانها لبساطتها ثم ان في قوله ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك

كما في انسي الى آخره بعد تحريف لان كمال الرسل ومحاسن آدابهم
يمنعهم من الاتيان بمثل هذه الالفاظ في جانب الله لان قدس الله ذاتي
فالأدب يقضي ان يقال تقدس اسمك او اسمك المقدس بصيغة تفيد
ان ذلك ذاتي له لا بصيغة الامر والاستقبال ثم قالوا اننا لم نفهم لقوله
ليأت ملكوتك معنى لانه لو كان المراد ان الذات الله ملكوتاً يطلب
الانسان الاطلاع عليه لكان ذلك الطلب هو طلب الرؤية بعينها وان كان
المراد بالملكوت هو المعنى المعروف عند العقلاء أولى البصائر لا يكون
لهذا الطلب معنى لانهم يعتقدون ان جميع العوالم تنحصر في قسمين عالم
الغيب وعالم الشهادة ويعلمون أن عالم الغيب هو المعبر عنه في القرآن
بالامر وعالم الشهادة بالخلق في قوله تعالى (ألا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين) فيسمى عالم الخلق ملكاً وعالم الامر ملكوتاً ولا فرق
بينهما لا مرتبة الحس والمشاهدة اذ الملكوت هو باطن الملك والملك
هو ظاهر الملكوت وبذلك قال الله تعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء واليه ترجعون) فان كان معنى قوله ليأت ملكوتك ليظهر
غيبك بمعنى اطلعنا يارب على ملكوتك يكون بينه وبين الفصاحة بون
بعيد . ثم قال احدهم قائلا اين هذه الصلاة وهذا الطلب مما نسمعه في
دعية الاولياء من امة محمد صلى الله عليه وسلم وأين هو من سورة الفاتحة
التي فرضت تحية العبد ربه عند الشروع في صلاته تالله ان الانوار لتتلألأ
لأولى الاسرار من خلال كلمات الفاتحة وحروفها وانها لمجمع الادب
وجامعة الاجمال في الطلب . ولكن اكثر الناس لا يفقهون

وقال آخر انه يعلم مما سمعناه من كتابي العهد القديم والجديد انه

دين المسيح عليه السلام الذي هو الدين الحقيقي مركب من عبادات ود ومعاملات موسى وما كانت الزيادات التي جاءت بها الاصحاحات التي سمعناها في العهد الجديد الا تكميلا للاخلاق لا للناموس الذي تقضي به بين الناس ومن هذا تتحقق أولوا الالباب ان المسيح لم يأت مشرعا ولكنه جاء متمماً لشريعة موسى وداود أي لتثبيت بني اسرائيل عليها لانه هو آخر أولاد اسحاق من الرسل وما جاء بعده من رسول الا خاتم الانبياء من ولد اسماعيل فلذلك لم يأت مشرعاً لما سبق في علم الله من شقاء بني اسرائيل واهمالهم الشرائع وعدم استعمالهم وقلة تحققهم بالآداب الدينية وكفرهم بنعم الله التي اشار الله اليها في القرآن بقوله (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم قام آخر قائلا ان هذه الصلاة التي أمر بها المسيح تشعر بأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب ويتجاوز عن الزلات من عباده ولقد سمعنا من كلام بعض المسيحيين في جوابه عن (السؤال العجيب . في الرد على أهل الصليب) نظم حضرة الاستاذ الفاضل . الذي هو عن الدين باقوى البراهين مناضل . من أطلب له دوام التوفيق من ربي . جناب الشيخ « احمد علي الليجي » الكتبي . ان الاله الذي يغفر الذنوب . لمن يرجع اليه ويتوب . لا يكون الا عبيا لان الاله عزيز الجناب لا يقبل أن يدنس حرمه فهل كان ذلك المسيحي كافرا بعيسى أو لم يفعل ما أمره به من هذه الصلاة أو لم يتل الانجيل اه والله في ضلال مبين

ثم بعد المسيحيون فكارهم في مجال العفو وانه رؤف حيث تقد

الله رجعوا الى أنفسهم مجمعين على مادوناه في كتاب مثبت العقل والدين من اتحاد الاديان وأن اختلاف العبادات والمعاملات لايوجب تباينا في الاديان ما دامت الآداب متحدة ثم ابقوا الكلام على دين محمد صلى الله عليه وسلم موجلا الى ان يطلعوا على الكتاب الملفق المسمى (بتنوير الافهام في مصادر الاسلام) ثم انصرفوا مأجورين لامأزورين

فلما صبح الصباح نادى المنادي . فاجتمع النادي . واستدعوا بهيولى الوقاحة والسفه الذي دونه زعماء الزندقة ثم قالوا لبعضهم ان قراءته فيما بيننا ربما أحدثت في القلوب غيظاً يغشي البصائر دخانه فلا نهتدي الى رأي سديد فالاولى ان تتداول مطالعة مافيه كل على حدته ثم بعد ذلك يبدي المطالعون ماتكنه صدورهم وتتصل اليه افكارهم من شأنه وكان ذلك الرأي هو المعمول به فيما بينهم فتناولوه متعاقبين وما من متناول الا وبعد قليل يلقيه من يده كما يلقي القذورات متناولها حيث ظنها هدية فوجدها رزية

(الكلام على الدليل الاول)

تلك الفصول فصول الزيغ ماانفصلت ... عن الضلال بأحوال تميزها
كنها وداجي الجهل حالكة ... صبح الرشاد الى الايضاح يعوزها

ثم قام من القوم خطيب فيما بينهم قائلا أتظنون ان هذا المؤلف المشؤم . تأليف صاحب الاسم المرقوم . على أول صحيفة منه لا والله ولكنه آراء شرذمة من الاشرار تحككوا في هذا الاسم حتى اذا طلبه طالب وجده كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وما كان ذلك منهم الا لاتقاء سوط القضاء اذا دهمهم التخاصم فقال القوم انا

الآن لم نبحث في ترجمة منشه ولا تاريخه وممن وجده في ذلك
لان من كان مثل هـذا الكلام كلامه لا ينبغي أن يعرف ولا أن يعتد
بقوله فانه قول ربمـا استقال الشيطان من نسبته اليه وكيف لا أبحث
عن صحة القول وفساده وكيف كان ولم كان سببا لذلك الا انه
بأن الناس الآن على علم بالاحوال الوقتية وما هو حولها ولا سيما من
ذلك الخطيب ومن أين جاءت تلاوة التي عليهم من ماذا
يكن في الناس أعيان ومن بين جميع الجهل الذي
المؤلف المطلع وأعصابه أما علمتم أن رد قول
لها الا أهل الريع الاغنيا الذين سمن بهم عقول وانهم لتسمن
تحجبكم أجسامهم وتطربكم أقوالهم لا يرون حركة لا هؤلا الاغنياء
الذين صرف الله قلوبهم الى مشارب سياسية ومن بركاته وما ذلك
الا لنفوذ حكم الوقت لدى ارادة الله لعباده اذا أراد قوله صلى
الله عليه وسلم (اذا أراد الله قوم ... الحال) ودل في
التي أتم من أعدادها لان من ليس من أهل الحال
من ترومهم من فلاسفة وأنا سقة وما يرى في استار والتاريخ حتى
صار الوقت طلابا والناس اماما وسرت به طاعة أعزتهم وامتلأت
القلوب هيبة وهم يدعون عيانا ولا ... على كل شئ قدير

ثم سكتوا قليلا ودا برجل ما أول على رم عليه سمة الوقار فتحركوا
للقيام للسائل فقال مكانكم لا يقام لي منكم من أحد فانا لا نجهل ما أنتم
عليه تعمرون ولا ما أنتم له تسعون ... عليكم ولا هم وذروا ...
قال له ... رم بعد امراق أم تم اتصل ... الآن في ... الناس

مبصرات الآماق

فقال ذلك الرجل أيها قوم المسلمون لقد اصبح اسلافكم لآفتين متنافتين بل بتحدهين تتمادتا أن زف ردائه الى مصارع حتفه أحدهما الجهل بسمائره ونسكه لغلبة حكم الوقت على احوال الامة والثاني انتشار الصحف بموبقات الاباطيل مزخرفة مزينة تسبه السم في الدسم فأصبح صغار الامة وكبارها معرضين عن الدين غير ملتفتين اليه ولا صاغين الى دعائه ونداءه وقد تشاغل الغني بجمع ما يدخره ويقتنيه وأمسى الفقير في عناء لفقد من يعينه على اتقاء حرارة الفقر ومآسيه. وذلك لما خالط قلوبهم من الريب في امر الالوهية وشؤن القدرة العلية . وما ذلك الا نتيجة ما غرسه المعتزلة والفلاسفة واهل الزيغ في قلوبهم من فروع الزندقة وأصولها، وقد لبسوا عليهم الحق بالباطل ودسوا لهم السم في الدسم وزينوا لهم ما زينه الشيطان لتبعيه بدعوى انه أمر خيري ولكن الشر في خلال ما يريد ومدخل ان شاء الله لهذا الموضوع مؤلفاً نسميه (ارشاد الامة المصريه الى طريقة محمد) ولا يسع المقام الآن تفصيل ما جملناه . فلدى الاستدراك نلمع الى فرار من الدين في اعواء هؤلاء العوام الجهلاء . أمر دينهم يردوهم عن دينهم ان استطاعوا وليست اعراض هؤلاء الصالين المضلين مقصورة على تفضيل الاديان على بعضها لغاية أخروية كما زعموا ولكنها نواحث مستترة في نفوس اهلها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ولكن من سنة الله في خلقه انهم يمكرون ويمكر بهم ثم ينادي (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) (وما ذلك على الله بعزيز) (وكان ذلك على الله يسيرا) ثم قال

ذلك الرجل ياقوم اني طالعت الكتاب الذي أنتم ناقمون عليه فوجدته لا يستحق النظر ولا الاهتمام لأن كل من نظر اليه قبل ان يتصفح صفحاته يعلم انه كلام مستهجن لا يعتد به لان الواضع له بعد ان سماه جاء بآية من القرآن ألا وهي قوله تعالى (واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وما كان لذكر هذه الآية الشريفة أدنى مناسبة تحت عنوان هذا الكتاب وقد كان الواجب على المؤلف ان يبين مقصده من ذكرها اذا كان الكتاب موضوعاً للنظر فيه ثم كان من جملة الهزي والهوس الذي جيء به في مبدئه دعواهم ان قوماً كانوا متمسكين بالدين الاسلامي تقليداً لآبائهم واجدادهم بدون تحقيق ولا بحث رفضوه سراً وجهرا وتمسكوا بمذاهب أخرى لانهم لم يجدوا من يستطيع ان يبرهن لهم على صدق الديانة الاسلامية بكيفية معقولة ولا مقبولة فلينظر الناظرون والمتأملون في حال من يدعي هذه الدعوى ثم يطمع في قبولها قضية مسلمة بغير برهان ولا دليل مع انه لم يذكر ممن ادعى كفرهم شخصاً واحدا رجلا كان او امرأة مع ان الجرائد في هذا الزمن مالها من شأن الا انها ترصد كل نبأ لتنشره لاسيما اذا انتقل متدين من دينه الى آخر هذا اذا كان الانتقال جهريا واما ان كان سريا فمن الذي اوصله الى مسامع الناقل وعل يخفى نبأ رجل يعتد به او امرأة لها قيمة بين الناس في هذا الزمن تنتقل من دين الى آخر كلا ولكن الذي يخفي نبأه لا يكون الا من اوباش الامة الذين لا دين لهم فما هذا القول ممن ادعاه الا تمويها قصد به تعرير العوام الضعفاء العقول واغواءهم ليكون لهم معه في جهنم اوفر نصيب

ثم ما وسع هؤلاء الضلال الا الاستشهاد بالزائغين ممن سبقوهم الى جهنم بمخالفتهم لاهل السنة ونحن نعلم علم اليقين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتي أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك فان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلهم في النار الا ماعليه أنا واصحابي) والذي كان عليه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه هو مذهب اهل السنة لا الشيعة ولا المعتزلة ولا الفلاسفة ولا ما شاء الله من تلك الطوائف الزائغة

ثم ان من نزغات هؤلاء الضلال وتمويهاتهم ماذكروه في اول فصل من فصول كتابهم من دعواهم ان الباعث لهم على تأليفه هو البحث والنظر في اقوال الملحدين والمعارضين لدين الاسلام للوقوف على الحقيقة وقالوا ان الواجب على كل مسلم ان يحقق الحق بأن يتأمل في براهين المعارضين حتى اذا وجد براهينها قاطعة اتبعها او اذا وجد عنده ما يدحضها وجد به كان قد خدم دينه وما كان غرضهم من هذا القول المزخرف الاسترشاد الى طريق الهدى ولا كان الباعث لهم عليه صدق العزيمة للوقوف على الحقائق بل الغاية المقصودة لهم ما هي الا خدعة ضعفاء العقول الذين لا يعرفون من الدين الا اسماً لا مسمى له كانا من المدارس وبعض طلبة العلم الذين ألقت بهم أمواج الفلسفة على شاطئ الزيغ والزندقة فما هؤلاء الذين فقهوا غير الحضارة والتمدن وقاموا يخادعونهم بتلك تمويهات جازمين بجهلهم وخيبة آمالهم ان كل من نظر في هذا المؤلف زاغ وحيث بصيرته واعتنق دينهم وأقبل على الصليب وسجد له ومسح وما كان ذلك الا

مصداق قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فلو ان هؤلاء الضلال عسوا من أنفسهم ما هم عليه من العمى والتضليل لما أسرعوا بأنفسهم الى جهنم ولما تنافسوا في الاعمال المقربة اليها ولكن الضالين في ضلال مبين

(الكلام على الفصل الثاني)

لكل رام مرام مد ناظره | في الرمي لا يتعدى حد مرماه
ومن وراء مداه كم مرمية | في مستتر البعد لم تدرك عراه
بل ربما اخطأ المرمى فاكمله | وقع السهم بما قد كان يحساه

المعنى المراد

ان الرامي يقصر مد نظره عن ادراك ما وراء مرماه لانها هي مطمح نظره وربما اخطأ مرماه فأصبح موقع سهمه ما كان يخشاه وكذلك سفهاء المبشرين ارادوا هدم قواعد الدين الاسلامي فما وقعت المعاول الا على دينهم فاصبحوا خاسرين

ثم قال ذلك الرجل لاحد الجالسين أدع لنا من شئت من المسلمين الجاهلين فيأتي الطارق لتوقفه على هذا الموقف حتى لا يعمل بعقول العوام فجاءه بشخص فدنا منه ذلك الرجل وجلسه بجانبه وسأله هل تعلمت من أمور دينك شيئا قال لا ولكني اعتقد ان الله هو رب السموات والارض وأن محمدا رسول الله وأرى المسلمين يسعون الى الصلاة في المساجد ويصومون ويحجون ويسرعون الى زيارة قبر هذا النبي الكريم فقال له بم علمت أن محمدا رسول الله فقال الشاب وهل يشك احد في رسالته وقد جاء بكتاب حكيم يتلى في جميع انحاء الارض وجاء بركته وقد سطعت

أنوار شريعته الغراء في جميع الاقطار الاسلامية وما في دولة من الدول من قانون الا وفيه احكام مقتبسة منها ثم قال أولا بس هذا الاجماع العام والشهرة التامة والتواتر الصحيح والمتابعة الصادقة من خيار أمته من أقوى البراهين على رسالته

فقال الشيخ للشاب خذ هذا المؤلف لتطلع على الفصل الثاني حتى اذا ما اتاك عما فيه أتيتنا بجواب متين مفيد فتناول الشاب الكتاب وطالع منه فصولا فقال له الشيخ ماذا ترى قال أيها الاستاذ ما أرى الا ضلالا مبينا قال وكيف ذلك قال ان مبتدع هذه الاقاويل الباطلة في هذا الفصل ما بناها الا على أصلين أحدهما ان الله سبحانه وتعالى كان يعبد في الامم السابقة وكانوا يعترفون له بالوحدانية وأيد ذلك بأن ولد اسماعيل كانوا يعبدونه على ملة ابراهيم وقال ان القرآن يصادق على ذلك واستدل بآيات من القرآن والاصل الثاني ان بعض آيات من القرآن ما كانت لا مقتبسة من أشعار العرب وجاء بما عزاه لامرئ القيس وغيره وما أظن هذين الاصلين الا كشجرة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار وذلك لأن الاصل الاول لا يكون حجة يحتج به الا اذا كان في هذا الدين من يدعي أن الله لم يعبده أحد ولا اعترف له مخلوق بالوحدانية قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون اذاً لذلك القول الحق في رفض هذه الدعوى ودحضها بما جاء به في هذا الفصل ولكنه لم يكن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من قال بذلك بل الذي جاءت به الاخبار الصحيحة عن علمائهم والمحدثين منهم ان الله سبحانه وتعالى نبأ مائتي الف وأربعة وعشرين الف نبي كانوا يعبدون الله ويدعون الناس الى عبادته اذاً فلا

معنى للاستدلال على بطلان الدين المحمدي بأن من العرب وغيرهم من كان يوحد الله ولا معنى لذكر اشعارهم الدالة على انهم كانوا يعلمون أن لهم الهاً معبوداً يدعونه بالله لانه ان كان سبوق الاعتراف لله بالوحدانية يبطل الرسالة لبطلت رسالة عيسى وموسى وداود وسليمان وباقي الرسل الذين جاوا بعد نوح مثلا او بعد ابراهيم واسحق وكان الاولى بالبطلان رسالة عيسى لانها ما كانت الا تابعة لشريعة موسى وعبادة داود عليه السلام فما كان لأولئك المسيحيين ان يحتجوا بسبوق الاعتراف لله بالوحدانية قبل رسالة محمد على بطلانها كما انه لا معنى لقولهم ان محمداً أخذ هذه العقيدة عن أسلافه لان هذه العقيدة هي العقيدة التي تواصى الرسل بها قبله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب فهل كان لمحمد ان يأتي بعقيدة غير هذه حتى يصدق رسالته الاغبياء من أهل الكتاب وأما قولهم ان الكعبة كانت محترمة في الزمن القديم وما أخذ محمد قواعد الحج الا من عادات أسلافه فما هو الا من قبيل السفسطة والزندقة لان محمد صلى الله عليه وسلم ما زعم أنه اخترع الكعبة والحج حتى يكون هذا القول مبطلا لدعواه الرسالة بل الذي جاء به القرآن المجيد ان الله أمر ابراهيم برفع قواعد البيت وأن يؤذن في الناس بالحج اليه ثم جاء في القرآن قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مقلداً لقومه في ذلك لما عاب الله اعمالهم فيما أنزله اليه بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) ثم ان مما جاء به أولئك المضلون من التمويهات قولهم وحاصل الكلام هو ان مصدر الديانة الاسلامية الاول كان تلك الرسوم الدينية

والعادات والمذاهب الاعتقادية. التي كانت متسلطة ومتداولة بين قبائل العرب الى آخر ما قالوا ولكنا لم نر رسوماً دينية . وعبادات ومذاهب اعتقادية. مذكورة في ذلك الفصل قبل هذا القول غير مسألة الختان وعدم زواج الاختين وتحريم الامهات والبنات وبعض مناسك الحج وليس هذا كله من مصادر الدين لأن مصدر الدين هو الوحي السماوي فان ثبت صدق نزوله ثبتت الرسالة وكان هو مصدر الدين وان لم يثبت لا تجد الرسالة منتا اصدقها ذا دعوى المدعي ان ما ذكره من الاشياء التي بتهويله جعلها رسوماً دينية. ومذاهب اعتقادية وعادات كانت هي من مصادر الاسلام ما هي الادعوى باطلة. وتمويهات عاطلة لا يصغى لها الا من لم يدر ما هو الدين

ألم يصل ادراك هؤلاء الاعبياء الى أن الانسان تنحصر سوءه في وصفين خير وشر ليس الا وان شئت قلت نقص وكمال فهل ينطبق على تصور الذوق السليم أن الكامل من الناس مثلا ذو رأي ناقص أعني شريراً أتى بعمل من أعمال الخير أو تخلق بخلق من الاخلاق الكريمة يجب عليه أن يترك ذلك الخلق لان ذلك الشرير تخلق به أو يقال ان ذلك الكامل ماجاء بذلك العمل او تخلق بذلك الخلق الا تقليداً لذلك الناقص أظن انه لا يتصور ذلك التصور الا كل غبي لاعقل له لان استعداد الانسان وقابليته لا نعلم الا من أعماله وما حجر الله اعمال الخير عن الجاهلين الذين لم يرسل لهم رسلا حتى ولا عن عباد الاوثان لان نظام الوجود يستلزم وجود الخصال الخيرية والشرية في كل زمن غير انها تتغالب حسبما يريد الله بخلقه في الازمان المتتابعة اذا فلا يكون اتيان محمد صلى الله عليه وسلم

عملا خيريا أو اعمالا كانت عليها قبله أقوام سابقون لرسالته ولا يقال انها هي مصدر الرسالة لان قومه و... قومه ... كانوا ... أن هذه الخصال او الاعمال كانت ... كان قبله من الجاهلية ... انها كانت مصدر رسالته ... صدقوه مع علمهم بحاله الذي كان عليه قبل الرسالة فما كان ... ولا ... ولا ... عصبة ولا ... ولا متداخلا في شؤون سياسية ولا منتسبا لذى سلطان ... وحيدا منفردا في شؤونه لا دنية لا يهمه الا ... كما ... التاريخ والسير المسطورة في الكتب

ثم قال ولقد لاحظت مما طالعته ملاحظة معقولة وهي أن مؤلف هذا الكتاب ليس بمسيحي وليس هو مسمى بهذا الاسم الذي نسب اليه ذلك الكتاب وذلك لأن قوله ان عبدة عباد الاوثان للاوثان لتقربهم الى الله تشابه زيارة الاولياء عند المسلمين لانهم لا يزورونهم الا ليقربوهم الى الله الى آخر ماجاء به وما كان هذا ... الا ... ما دونه سفراء الفلاسفة في الصحف المنتشرة والكتب المؤلفة من قولهم ... المتنادو المعقول من صورة هذا المؤلف ... أقوال فلسفية فلو ان قائلها كان رسيدا متدينا بأى دين لما صور المشابهة بين عبدة الاوثان ومن يزور وليا لله لأنه لا يقال ان الذي يطعم حمارا ليركبه كمن يطعم أباه ليرضى عنه مثلا وكذلك لا يقال ان من حك حجرا ليستخرج منه دواء لعينه مثلا لعلمه أن هذه من خصوصيات ذلك الحجر التى أودعها الله فيه كمن يقول ان هذا الحجر اله يعبد ألا ترى أن اعتقاد المسلمين في عيسى ليس كاعتقاد المسيحيين اذ المسلمون يعتقدون أنه عبد لله وأن الله أجرى على يديه كل ماجاء

به وأما المسيحيون فيعتقدون أنه آله فمال فأمثال هؤلاء هم الذين ينطبق حالهم على حال عبدة الاوثان وأما المسلمون فيعتقدون أن الاولياء هم أحباب الله وأنهم هم الذين أقاموا الدين واتبعوا الأوامر واجتنبوا المناهي فمن الواجب احترامهم وزيارة قبورهم واحياء ذكرهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم كما هي سنة كل أمة في أفاضلها ألا سحقا للقوم الضالين المضلين الذين اتخذوا الزندقة دينا والسفاهة ديدنا والدعوى جاهاً وساعدتهم ظلمة الوقت وجهل الامة بدينها وفساد أخلاق الامراء وخسة طبع المتدينين حتى علت أصواتهم . وانتشرت بدسائس الزيغ كتبهم . وان جهنم لموعدهم أجمعين

جاء ذلك الفيلسوف الزنديق الذي يخفي الكفر ويظهر الاسلام وينشر فلسفته باسم المسيحيين قائلا ان القرآن فيه ماهو مقتبس من كلام امرئ القيس وغيره ويحتج على صدقه في دعواه أنها معلقات أشعار وما سميت بذلك الا لانها كانت معلقة على الكعبة ويريد بذلك اثبات صدقه في دعواه انها سابقة القرآن وان محمدا صلى الله عليه وسلم اقتبس منها أقوالا الى آخر ما جاء به

فليتأمل المتأملون . في خيبة آمال هذا المفتون . الذي لايحسن مايقول لانه لو كان شيطانا كاملا في شيطنته لكان له شيء من الفكر يعلم به أن العقلاء اذا وقفوا على أقواله يسفهونه بقولهم اذا كان هذا المعتوه الاخرق داخله الريب وخالطته الظنون واختطف عقله الطيش حتى أفسد مخيلته فتوهم الكذب في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي عم نورها جميع الاقطار [illegible] رجالا ما كان هذا الاحمق يساوي نعالهم فبأي حال وقع

عنده نبأ هذه الاشعار موقع الصدق مع ان هذا الشعر لا يليق نسبته لذلك الرجل الذي هو اشعر اهل زمانه لان البيت الاول لا معنى له اذ لم يكن المراد منه ان نفور حبيبه منه اقام عليه القيامة التي من شرائطها انشقاق القمر واقتراب الساعة فان قلنا ان هذا هو المعنى المراد يقول القائل من الذي انبأ امرئ القيس بأن القمر سينشق وان انشقاقه من علامات الساعة حتى جاء بذلك في شعره اذاً فلا بد ان يكون عند امرئ القيس شعور بحصول ذلك بنبأ من انباء الكهنة او من التوراة او الانجيل

وان قلنا ان هذا المعنى ليس هو المراد يقول القائل انه اذاً كلام مستهجن اي لا معنى له لأ نا لو قلنا ان اقتراب الساعة معناه دنو الحبيب عن موعد في ساعة معلومة قد اقتربت فلا معنى لقوله وانشق القمر لانه لا يريد بالقمر الا طلعة الحبيب فما معنى انشقاقه كما انه لا يتوهم نفور بعد قرب عن موعد الا لعارض ولم يذكر الشاعر شيئاً يستلزم النفور فتكون ركاكة الكلام قضية ببعد نسبته لذلك الشاعر الشهير وكذلك قوله مر يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فعقر

لان سياق القول يفيد ان العقر بعد التعاطي والتعاطي بعد الرمي وهو معنى غير معقول . سيما وان العقر لا يكون للنوع الانساني ولا يرضى امرؤ القيس ان يشبه نفسه بناقة عقرها رام

والادهى من ذلك كله قوله

واذا ما غاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر

لان مبدأ الكلام يفيد ان ذلك الشاعر مارأى ذلك الحبيب الا حينما صاد قلبه ونفر منه وما شبهه بالغزال الا في النفور . وهذا البيت يفيد

انه كان ملازما له وان غاب عنه ساعة كانت أدهى وامر. فهل جن امرؤ القيس لشدة الحب حتى أضحى لا يحسن ما يقول كما جن هـذا المعترض الذي لم يذق للشعر طعماً . فهلا تفطن الا في الكلام من التكلف حتى كان يعلم انه لم يكن لذلك التكلف من داع الا ان هذا الشاعر الجاهل الزم نفسه اقتباس هذه الآيات من القرآن المجيد كما في قوله

بسهام من لحاظ فاتك فتركني كهشيم المحتضر

ألا سحقا لهذا الطابع الذي هشم البيت هشما لأن اصله والله اعلم

بسهام من لحاظ فتكات صيرتني كهشيم المحتضر

فويل للجاهل يدعي العلم فيفتضح حاله من مقاله كقوله

قلت اذ شق المذار خده دنت الساعة وانشق القمر

واصل البيت والله اعلم

قلت اذ شق عذار خده دنت الساعة وانشق القمر

فمن هذا التكلف الذي لا معنى له ولا فائدة فيه الا تحسين الشعر بمقتبسات الآيات القرآنية يعلم المتأمل البصير ان هـذا الشعر ما كان الا من مخترعات المتأخرين وما كانت نسبته لامرئ القيس الا بهتاناً وزورا يقصد به تقوية براهين المجادلين. والله لا يهدي القوم الفاسقين. ثم انظر الى ما جاء به هذا الفيلسوف الاحمق الذي يتحكك في المسيحيين لنشر خرافاته وتضليلاته من قوله فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن لأنه يتعذر على الانسان ان يصدق ابيات شاعر وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم ثم قال بعد قليل من قوله اني لا أرى مخرجاً ومنفذا لعلماء الاسلام من هـذا الاشكال

الى آخر ماقال وانا لنقول

ان الاسد اذا ربض في طريق قافلة ظن الجبان انه لا مرله من الافتراس وضاقت عليه الارض بما رحبت حتى اذا جاء الشجاع عدم الاسد الحياة

ولقد توهم ذلك الفيلسوف المختبي تحت أذيال المسيحيين انه أعلم من كل ذي علم وانه اذا وحل في ورطة من القذورات غرق فيها غيره فاستبعد على العلماء ادراك الحقائق لفرط جهله . فهل جاء هذا المسكين المفتون نبأ صادق أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب في اللوح المحفوظ غير القرآن وما يدريه لربما أن يكون اللوح حوى كل ما يبرزه الله سبحانه وتعالى في عالم الظهور . أولم يعلم ذلك الجاهل ان القرآن ما نزله الحق سبحانه وتعالى الا بلغة عربية التي هي لغة امرىء القيس وغيره من شعراء العرب وفصحائهم أليست هذه الكلمات التي أوردها هؤلاء الاغبياء من متقدمي أهل الزيغ ومتأخريهم كبقية الفاظ القرآن مثل يا أيها الناس ويا بني آدم ويا أيها الذين آمنوا ويا قوم ويا قومنا والعدس والبصل والفوم والقثاء وغير ذلك وهل ورد القرآن بحروف ، كلمات غير الكلمات المركبة من التسعة والعشرين حرفاً التي يتركب منها الكلام الذي هو مظهر الاسرار الملكوتية . والشؤن الغيبية . فاذا هو العيب اللاحق بالقرآن اذا جاء مطابقا لبعض كلمات من كلام العرب وما كان كله الا كلاما عربياً فهل ورد كتاب سماوي قبله لم يكن من جنس الكلام المتعارف بين القوم الذي نزل بلغتهم كلا والله ما كان ذلك ابدا

وهناك وجه آخر يعرفه القوم الذين اطلعهم الله على الاسرار الكونية وهو أن الله سبحانه وتعالى هو وراء خلق كل حق بمعنى انه هو المؤثر

لجميع الكائنات في أفئدة المتكلمين ولا يبرز في عالم الظهور الا ما ورد منها لان خلق الكلام في فئدة المتكلمين قبل ظهوره او في مخيلتهم كخلق الصور في الارحام وكاخراج النطف من الاصلاب من المحققة ومنها غير المخلقة لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ومن علم معنى ما ذكرناه تحقق ان الله هو الناطق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان كل ناطق فنطقه على لسان امرئ القيس يسمى أوردوه ان كان صادقا يسمى شعرا ونطقه به على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يسمى قرآنا ولا يكون الاتحاد في النوعية مستلزما الاتحاد المرتبة. ألا ترى النوع الانساني وقد تشابه في التركيب لم يتشابه في المزايا فمنه الرسول ومنه الولي. ومنه الشرير الشقي. ومنه السلطان ومنه الحمال فكذلك كان الكلام ولكنهم قوم يجهلون

ثم من أهم التمويهات عند هؤلاء الجهلاء قولهم في نهاية الفصل الذى فصلهم عن آداب الكمال والاصابة. ان عادات العرب القديمة ورسومهم وعقائدهم الدينية. هي من أهم مصادر الاسلام وعلوا هذا الزعم بأن ما ذكروه في هذا الفصل هو كاف وحده في تأييد دعواهم هذه

فهل جاءت الانباء الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام في قومه بغير وحي سماوي في مبدأ دعوته يقول لهم اختتنوا ولا تنكحوا أمهاتكم ولا بناتكم (لا) لم جاء قائلا لهم ياقوم اني اسري بي في هذه الليلة ورأيت من عجائب الملك والملكوت كذا وكذا وسألوه عن القافلة التي كانوا ينتظرونها وبين لهم جملة علامات أثبت بها صدقه عندهم ثم جاء الوحي بأوامر الله واحكام شريعته واختبروه وأثبتوا لهم عن صدقه بالدلالات

لو صحه ثم بعد ذلك يوردت عليه الانباء السماوية وما كانت آية تحريم الامهات والبنات التي هي قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم) الى آخر الآية الشريفة الا بعد ما لعبت دعوة حدها من اثبات والصدق والتصديق فلو ان العرب كانوا يحرمون ذلك من قبل ما جاءت هذه الآية ولا كان للاتيان بها محل من البيان ولا موقع من التصديق فيتأمل المتأملون في هذه الخزعبلات المزخرفة التي هي أشبه شيء بالشعبذة التي يتصنعها اللاعب المعروف بالحاوي ولكن الاولى بالمسلمين الآن أن يرجعوا الى أنفسهم بقولهم انكم أنتم الظالمون لانه لولا جهلهم بدينهم وعلبة تمويهات الفلاسفة على عقولهم لما طمع في اغوائهم الضالون المضلون فكان حالهم مع المسيحيين حال البهيمة التي اشار اليها القائل بقوله

قد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

الا سحقا للقوم الظالمين فعند ذلك قام القوم على اقدامهم معجبين بما جاء به ذلك الشاب من الارشاد البين والحجج البالغة وقال له الشيخ جزاك الله عن العامة خيرا فقد الزمت الناس تحسين الظنون بهم في أمر الدين وما كنا نتخيل ان من امثالك من يكون له هذا التصور والادراك فجزاك الله عن أمر دينك خيرا وانصرف الشاب مشكورا . وانقلب الشيخ الى همه مسرورا

(كلام على الفصل الثالث)

الا قبح الله المتوهمة انها تعيب بلا عيب حسان الكواعب
فتزعم ان الطرف حسن احوراره يعيب الغواني كاقتران الحواجب
وان دلال الآنسات تلاعب وان احمرار الخد غير محبب

وعلى ما تحوي الجبال الرواسب   محاسن ذاتك اليها والمراتب
واكثر ... كمال قدرا   وكم زراعا من مبادي المصائب
كل منها اعطى حتى حقاده   ... تدعى وما يدعي كل كاذب
... اهل ... عن ...   ... خيرهم بالمحاسن

ثم جس ... عليهم من الصلاة في مواقيتها ... يقولون في حديث ويمنا كون فيما بي من اصول ... نعمل لنا ات من هذا نوالف المسوّد قد بناه ... على معتقدات نسعيه وذلك لان ارباب النظر والاستدلال في الامم القديمة والحديثة حتى الآن قد انقسموا الى اقسام وفرق متفرقة فكان منهم المعترف لله سبحانه وتعالى المتسمي بالاسماء الحسنى الذي هو فوق كل فوق وتحت كل تحت ولا فوق له ولا تحت ولا يخلو منه خلا ولا ملا يهو منزه عن ان يحويه الخلا والملا ... عن تصميم ... بوحدانية وكذلك ... المطلق التصرف في ... يفعل ما يريد ... على ... الخبيث وان يجعل ... جامدا وعلى أن يجعل ... وانما ... ذلك من كمال التصرف المطلق لله ... ان النار صنعته ونها ... وجود ... تقادم عهد ايجادها وكذلك الماء وغير ذلك وكل ما كان موجودا عن موجد فلا عالم يعلم مادة وجوده غيره ولا يحكم الا بحقيقة ذاتية واجبة الوجود ... لان ذلك الحكم لا يحكم به لموجود الا الواجب الوجود الى غير ذلك من الاعتقادات الواجب يقنها على كل معترف لله بالوحدانية مما لا يسع المقام ذكره

ومنهم الجاحد لذلك كله كل الجحود لما غاب على فكره الضائع

وقلبه السقيم أن كل ما لا يدركه البصر لا يقبله التصور ولا تلزم باعتقاد صحته سانحات الفكر وهؤلاء هم الذين اتخذوا آلهة معبودة لهم طوع أهوائهم . ومنهم الفلاسفة الذين يعتقدون وجود اله موجود بطبعه كباقي المؤثرات ولكنه هو المؤثر الأعلى الذي ما فوقه مؤثر وكأنهم يظنونه الكوكب المسمى بزحل ثم يعتقدون أن كل مؤثر في الوجود له حقيقة ذاتية طبيعية لا قدرة لمؤثر ما على تحويلها عنه ولا تحويله عنها وهذا هو موضوع الخلاف بين الرسل وأتباعهم . وبين الفلاسفة وأشياعهم اذ الرسل ومن تابعهم يعلمون علم اليقين بما ثبت عندهم من التحقق من طريق العلم النوري أن الله مع كل شيء وأنه هو ظاهر كل شيء وباطن كل شيء وقائم على كل شيء والمدبر لكل شيء ولا يخرج عن دائرة ارادته شيء والفلاسفة على ضد ذلك فلذلك الجأتهم اعتقاداتهم الى تكذيب كل نبأ جاءت فيه معجزة او كرامة خارقة للعادة فان صفا لهم الوقت أنكروها وأنكروا حال من جاء بها نبياً كان او ولياً وان خافوا في ذلك لومة لائم جحدوها وأولوا كل نبأ جاء بها بتأويل موافق لاغراضهم الهوائية التي زعموها عقلا فلذلك جاء هذا الفيلسوف الذي ما حسن اسلامه يدعي أن غالب الانباء الواردة في القرآن ليست بصادقة وزعم أنها منقولة من خرافات المتقدمين وذلك بعد ما زعم ان كل القصص الواردة في الاحاديث النبوية وفي القرآن ما هي الا مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وزعم أيضاً أن فرائض الدين مأخوذة من طريقة الصابئين ثم جاء يذكر أن أمة السريان هي أقدم الامم . وانهم أخذوا مكارم اخلاقهم عن صحف شيث عليه السلام وأن الصابئين كانت

لهم سبع صلوات منها خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحي والسابعة في الساعة السادسة من الليل وزعم انهم كانوا يصلون على الميت وقوفا ويصومون ثلاثين يوما يراعون فيها الهلال وعند ظهوره يكون فطرهم كمل العدد أم نقص ثم قال بعد كلام طويل اننا لو قارنا بين التعاليم والاخبار الواردة في القرآن وفي الاحاديث النبوية وبين التعاليم والقصص والحكايات التي كانت متداولة بين اليهود في تلك الاعصر اتضح جليا أنه يوجد بينهما علاقة وارتباط ومشابهة عجيبة ثم جاء يستدل ببعض ما ورد في القرآن من الانباء بعد ذكر ما يوافقها من القصص القديمة بدعوى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعلم ذلك من اليهود وأخذ يسرد قصة قابيل وهابيل وقصة ابراهيم عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام مع أميرة سبأ وقصة هاروت وماروت وقصة بني اسرائيل وموسى وما وقع منهم من عبادة العجل وما وقع لهم من الحوادث التأديبية من الله سبحانه وتعالى ثم يضاهي كل قصة من القرآن بقصة من قصص اليهود وغيرهم ويدعي أنها خرافات جاء القرآن ناقلا لها مع مخالفته للتوراة في العهد القديم وذكر ان صيام المسلمين وافق صيام اليهود وان صلاتهم موافقة لصلاة الصابئين وكذلك اعتقادهم في اللوح المحفوظ موافق لاعتقاد المتقدمين . كما ان كلامهم على قوله سبحانه وتعالى (ق) التي هي اول سورتها موافق لكلام من كتب اليهود وكل هذا الذي ذكرناه ما جاء به الا مستدلا على ان مصادر الاسلام هي اخبار المتقدمين ومعتقداتهم الدينية الى آخر ما سطروه في ذلك الفصل من الاباطيل والاضاليل

فيجب علينا الآن ان نقول ان هذا الفيلسوف الاخرق الذي تحكك في ذلك المسيحي لذي ... صلاته أو ان هؤلاء الرجال الذين ... على ... ولا ... ولا ... النظر وما كان حالهم في ... في هذا ... الا كحال صبي معتوه رأى ... آخر في ... رأسه فقال له يا ... سارق ... ولم ... لأني رأيت تنبيهه على رجل ... فضحك ... وتأسف على سخافة عقله وقلة فهمه ... تصوره وقال ... على ... الشدائد في تعليمك ... رأيته ... او ... ذلك ... يابني في ضلال مبين

ومما ... العلماء المتدينون أن جميع الاديان ... البدأ والغاية ومن ربها واحد في معاملة ... من رسول لا وأمر قومه بالصلاة والصوم و... لانه والايمان رسالة ... الرسول وهكذا ... ومن قبلهم من الرسل فبأي علة وسبب لا يتساوى ... بقية الرسل هل جاء محمد صلى الله عليه وسلم في تلك العبادات بهيئة ناقصة أو اعمال مخلة حتى يقال أنه ... الا من ... وهل كان لو جب على محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يصوم ولا يصلي ولا ... الذين سبقوه كانوا يعملون ذلك أم كيف كان تصور هؤلاء المج...ين

اذاً والحالة هذه يتوقف الوقوف على الحقائق على معرفة أمرين (الواحد

مما ؟ هل المتكلم أو المـ... في هذا الموضوع أصحاب عقل ودين أم لا
(الثاني) هل الأقوام ... بعد ما لم كانوا متدينين أو غير متدينين
وإذا كانوا متدينين فهل ... المتكلم أو المتكلمون معترفون بصحة أديانهم
أم لا وعن هذا نقول ... من فحوى هذا الموقف أن واضعيه
لا عقل لهم ولا دين ... لو ... عقول ... جاؤا بعد ثلاثمائة وألف
سنة يردرون ... وتداركه الجبر من القرون السالفة وما
... تركوا قومهم المسيحيين ... بهم ... في ... الإلحاد ... يفسدوا عقائد الأمم
الأخرى

وكذا ... لو كان ... من الأديان ... دينهم ثم
قارن بين ... الدين ... وما سواه من الأديان لعلموا
... ي ... أكرم صحة في
دينه ... الى الله ... وصدق
أن ... الله ... عند
المقارنة ... بيان
فضل يهتدون

ثم ... لاحد ... لا تذكر يا فلان
اليوم الذي تتهذب فيه حفلة المسيحيين الذين اتصفوا وصف مبشرين
اذ قال لهم قائل أي العبادات أقرب لتهذيب النفوس وتطهير القلوب
وتنوير البصائر لمن أراد ... قلبه وقد تحقق أن المعبود واحد وهو
الله سبحانه وتعالى وأي الفرض أحق بالأداء ... أراد العبد أن يتعبد

ليتقرب الى ربه هل عبادة موسى أم عيسى أم محمد صلى الله عليه وسلم فقال له أحد المشرين هل يسوغ لعاقل أن ينصرف من دين الله الى دين غيره فقال له السائل وما هي العبادة التي أمر بها ابن الله وماذا كان يتعبد في خلواته وجلواته وهل صلى بقوم من أمته أم لم يصل بأحد وهل كان يعترف بصحة شريعة موسى ام لا

فأجابه ذلك الرجل بقوله أما الشرائع التي كانت قبله فلم ينكر عليها واما هو فما صلى بأحد بل كانت صلاته وحده واما الصلاة التي أمر بها فهي قوله لتلامذته عند ما سأله احدهم بعد ما فرغ من صلاته بقوله علمنا كيف نصلي كما علم يوحنا تلامذته فقال قولوا (ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لاننا نحن ايضاً نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير)

فقال له السائل وهل كانت هذه صلاته ايضاً أم صلاة غيرها فقال لم يطلع احد على صلاته فقال له السائل لماذا قال انه كان يصلي وحده . فقال له ولماذا انتم الآن تصلون بمزامير داود اما كانت هذه الصلاة التي امركم بها المسيح كافية في تهذيب نفوسكم فخجل ذلك المسؤول

فقال له السائل اذا كان المسيح معترفاً بصحة شريعة موسى فلماذا لم تتفقوا على حال واحد في العبادات فيكون صيامكم كصيامهم وصلاتكم كصلاتهم اذ كنتم كلكم اهل كتاب فاعرض الرجل عن ذلك السائل

سهو؟ ثم انصرفنا وتركناهم في طغيانهم يعمهون فقال له اخوه اني لأتذكر ذلك وأعلم ان القوم اذ ذاك قد احتقروهم ازدراء

ثم التفت الآخر الى اخوانه قائلا ان اولئك المتقولين الذين اخترعوا هذا المؤلف قد زعموا ان صلاة المسلمين كانت موافقة لصلاة الصابئين ولكنهم ما بينوا كيف كانت صلاتهم هل كانت بتكبيرة احرام وفاتحة وسورة وتحيات وركعات وسجدات كما هي صلاة المسلمين ام لا وما اظن ذلك يكون لأن الفاتحة و[illegible] في السور القرآنية ما انزلت الا على محمد صلى الله عليه وسلم اذاً ستكون هذه الدعوى فاقدة البيان والايضاح لا ينظر اليها ولا تسمع واما الصيام فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقد كان الصيام في كل شريعة من الشرائع على الحال الذي عليه المسلمون لا صيام المسيحيين فعلى العقلاء ان يبحثوا في حقيقة الصوم حتى يتبينوا اي الصيامين أفضل واقرب لتهذيب النفوس ليعلموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما جاء في شريعته الا بأكمل الاعمال التي كان عليها الرسل واممهم المهتدون ولكنه استكمل جميع آداب العبودية لانه بعث في امة كاملة ذات عقول وافرة وبصائر نيرة لم يطلبوا في مقام القرب خيرا كما كان الطالب المظنون ومن تحقق صحة ما ذكرناه علم ان دين محمد ما وافق الا اكمل الاخلاق والاعتقادات والعادات التي كان عليها الامم قبله التي هي آداب العبودية . والكمالات الانسانية . فهل لقائل ان يقول كان الاولى له ان يأتي بآداب واخلاق تخالف الكمالات البشرية حتى بذلك يكون قد برهن على صدق رسالته اذاً تكون درجة هذا

القائل فوق درجة مجنون لأن الجنون صنوف

فعند ذلك اداه حد الحاضرين قائلا وبعد كما في بيان من ان شرذمة المبشرين منهم الذين تجمعوا على جمع هذه الاقاويل ليقم بمساعدة فيلسوف زنديق لا يكن هو المسمى بالاسم الموضوع تحت عنوان هذا المؤلف ونعتقد نحن وجميع الامم اعتقادا جازما ان هؤلاء تم بينهم وبين فلاسفة هذا الزمن من كل ملة اتفاق فكري على تخريب اعلام كل دين ليكون الناس امة واحدة وقد مقتهم عقلاء الامم المتدينون لعلمهم ان هذا هو الكفر بعينه او يريد الكفر ثم انا نعلم علم اليقين ان كل مسلم مهما وصلت درجته من الجهل يعلم ان دينه اكمل الاديان وان رسوله أكرم الرسل ثم نعتقد ان الامة المصرية كلها عالمها وجاهلها صغيرها وكبيرها كل قد علم ما عليه هؤلاء السفهاء وتحقق مقاصدهم واستطلع نواياهم وما نظروهم لا بعين المقت والاحتقار لما تحققوه من ضعف عقولهم وخيبة ظنونهم وسيآت مقاصدهم ولكن نرى الآن انه لا بد من رد ما قالوه ونقض ما اسسوه من هذه الخزعبلات الخرافية والمذاهب الخيالية ليكون تبصرة وذكرى للطالبين على توالي الايام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال ذلك الرجل الذي افتتح باب الكلام على هذا الفصل الثالث أيها الاخ الخليل والصديق الجليل لقد تقول هؤلاء الضلال زخرفا من القول وزورا ابتدعوه من طريق السفسطة والزندقة على علم منهم بأنه مجرد تمويه وتضليل وقد علموا الحق وجحدوه وتبينوا الصواب وتجنبوه ومن كان هذا حاله لا يجاري ولا يماري فقال له صاحبه انا لا ننظر اليهم ولكننا نراعي

حال العلماء من هذه الامة التي تسلطت على عقولهم سفسطة السفهاء في هذا الدين اسهش والاولى أن نكشف الغطاء غطاء الزخرفة عما في هذه الاراء من الشناعة والفظاعة والله على كل شيء شهيد

فقام ذلك الرجل وقال زعم المبطلون أن الانباء التي جاءت في القرآن المجيد خرافية لا بينها وبين مسطره اليهود من مناسبة ثم تكلم على قوله تعالى (ق) بما تكلم به وعن ذلك نقول ان الوقوف على الحقائق في هذه الاراجيف المفترية يتوقف على أمرين احدهما صدق الرسالة والآخر معرفة القرآن هل هو الهي أم بشري . ومتى ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وثبت أن القرآن من عند الله تميز الحق من الباطل وأعجز المكذبين قوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) لاننا لو فرضنا القرآن تاريخاً كالتواريخ وجمعنا جميع التواريخ ووجدناه مخالفاً لها في الروايات ورأينا الكل متفقين على رواية واحدة لا نجد لتمييز الحق من الباطل الا طريقاً واحداً وهو البحث عن حال المؤرخين واعتدال سيرهم وصدق أقوالهم فمن كان منهم حائزاً شروط الثقة كان هو الموثوق بأقواله فلذلك اوقفنا الوقوف على الحقائق على ثبوت صدق الرسالة وعلى معرفة القرآن هل هو من الله أم لا وعن ذلك نقول

ان كل مسيحي عاقل وموسوي نبيه طالع العهد القديم والعهد الجديد واستعمل فكر أولي الالباب ونظر أرباب البصائر لا يشك في أن كلماتها كلها وضع متكلم جاهل بمزايا الكلام ومواقع الخطاب لما فيها من الركاكة والسخافة فاما أن يكون ذلك من جهل المترجم الذي نقلها من لغة الى لغة واما أن يكون من عوارض التغيير والتبديل ثم ان ماورد في

في العهد الجديد من الاخبار المنقولة عن الانبياء المدونة به والرؤيا وانباء عيسى عليه السلام كل ذلك دال على أنه ليس تنزيل سماوي لانه كلام لم يخاطب به عيسى ولا احد من الانبياء من قبل الله بشيء ما ولكنه أحوال حصلت بين المسيح وبين قوم مخاطبين ومصدقين ومرضى وقوم مجادلين واعداء متعصبين الى غير ذلك فمن زعم ان هذا تنزيل الهي كان فاسد التصور فاقد الادراك غير بصير ولا خبير بمواقع الكلام ومصادر الوحي ولقد أجمع المسيحيون على أنه تنزيل الهي هو والعهد الجديد. ولكن اليهود لم يعترفوا بذلك لمخالفة الانجيل لما في كتابهم فمن كان له أدنى احساس يدرك به موقع الخطاب ونظر في هذه الكتب ثم سمع آيات القرآن لا يشك في أنه بالنسبة لهذين الكتابين لا يعد كلاما بل يرى أنه درر منظومة أو دراري على صحف مرقومه فلسنا نحتاج الآن الى ان نحيل النظر في ثبوت نسبة القرآن الى الله الى البراهين التي أثبتت ذلك في عهد نزوله ولا فيما بعد ذلك ولكننا سنلفت نظار العقلاء الى ما ذكرناه والحق أحق أن يتبع

وأما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فما كان لنا أيضاً أن نتكلم على ثبوتها من الطريق التي ثبتت به عند من صدقوها عند تبليغ الدعوة ولا عن ثبوتها بالاجماع والتواتر وانطباع أعلام شهرتها ولكنا أيضاً نطلب ممن يعلم من نفسه لنفسه حدا لا يميز به الغث من السمين أن ينتقد شؤون الرسل مع أممهم من الكتب القديمة العهد من رسالة نوح الى رسالة عيسى وينظر ما كان من كل رسول وكل أمة حتى اذا وصل الى أنباء الامتين العظيمتين أمة موسى وأمة عيسى يقوم مقارنا بينهما وبين أمة محمد صلى

الله عليه وسلم في العلم والعمل والآداب المسطورة في مؤلفات الخيار من كل أمة ثم يتأمل بعيني الناقد البصير في أعمال الرسل الدينية. وعلومهم الربانية وآدابهم الكمالية. ليتميز أيها أفضل فان وجد موسى وعيسى أو احدهما حاز أفضلية. بصفات كمالية. فوق محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محمد رسولا وان وجده اكمل الكل حالا. وأبلغهم أقوالا. وأسبقهم الى مراتب القرب كمالا لا. كان هو خاتم الرسل وسيد الكل وامام المتقين. وقائد الغر المحجلين. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال القوم لصاحبهم انا نود ان لا يقوم قواعد هذه الموازنة سواك حتى يكون مطالعها او سامعها حكماً بينك وبين من ينكرها ان كان هناك معارض أو منازع

فقال ذلك الرجل انا قد اجلنا الكلام على تلك المقارنة من قبل الى انتهاء الكلام على ما في هذا المؤلف من الفصول وانا ان شاء الله لآتون بما يسر الناظرين. ويدهش البال السامعين. ويرد العدو وراء اسلافه الى أسفل سافلين وهكذا نقول الآن

اما كون الانباء التي وردت في القرآن قد كانت مسطرة في كتب قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فذلك لا يفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم تناولها من تلك الكتب وجعلها قرآنا لأن كل واقعة وقعت بين امة ورسولها كانت مشهودة لابناء الزمان الذي حدثت فيه ومن المعلوم ان كل زمن اوجد الله فيه من العلماء ومن العقلاء من يحفظ وقائعه ليتناولها منه من خلفه في الازمان التي تلي ذلك الزمن ولكنها مع توالي الازمان ربما داخلها الغش والتحريف او التغيير والتبديل كما وقع في الكتابين السماويين ولم يقع تحكيم

لا حجر سماوي ولا ارضي على الناقلين لتلك الانباء كما انه يكون لناقل شخص واشخاص معينين بل لكل ذي فكر سمع خبراً يجرر له نقله الى غيره فلا يجوز لسامع نبأ ان يحكم عليه بانه منقول عن شخص معين حتى يسأل ناقله عن الذي تناوله منه الا اذا اشتبه في امره ثم لا حق له في تكذيب ذلك الناقل اذا قال نقلته عن فلان هذا هو الطريق المعهود بين الناقلين [illegible] والسبيل المسلوك لكل سامع وقد جاءنا محمد صلى الله عليه وسلم بنبأ [illegible] فسأله السائلون ممن تناولت هذه الاخبار فقال من جبريل عن الله عز وجل ولقد عهد القوم صدقه من قبل ومن ثمه [illegible] فمن قال له انك كاذب [illegible] سمعته من طريق غير هذه الطريق فقد اعتدى وتعدى حدود [illegible] بين السامعين والناقلين [illegible] وقد برهن هذا الناقل على صدقه وصدق من نقل عنه فهل يسوغ لعاقل او مجنون [illegible] وصل [illegible] من الجنون ان يأتي بعد الف وثلاثمائة سنة قائلا ان محمدا تلقى انباءه من غير جبريل [illegible] هذا هو العته الذي ما بينه وبين الجنون [illegible] بالاحجار [illegible] والله الظالمين

ثم قال ان من عجب العجب استدلال هؤلاء [illegible] على تكذيب الرسالة بما جاء به المفسرون من الاحتمالات او بما جاء به قصاصون او دونه المؤرخون في قصص الانبياء من المعاني المختلفة في لفظ (ق) ومن تفسير بعض الآيات التي جاءت بانباء الانبياء الى ذلك من الدرس البين [illegible] ان خطأ السامع لا يقدح في صدق المتكلم ولا في اصابته ولو كان كذلك لكان موسى مؤاخذاً باوزار امته وعيسى مداناً [illegible] قومه الذين اتخذوه الها بعد ما قال لهم اني رسول الله اليكم وما كان قول [illegible] بالتسبة

ال ا. الاعمي دب كما كان يقول لهم ابوكم الذي في السماء فأصاب وأخطأوا المز. دل ناقل ن يقول ان اجرامهم جعله مجرماً كلا ان الظانين لفي ضلال بعيد

ولو ان ق الا يقول ان المفسرين او المؤرخين ما فسروا القرآن الا بما تناولوه من الاحاديث النبوية نقول اذا كان الحديث صحيح النقل يكون صدق من كل نبي قديم وحديث سواء كان من المسيحيين او غيرهم لان كثيرا من المسيحيين وكل عالم من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد جمعوا على انهم غيروا وبدلوا في كتبهم كما ان قوم موسى شهد الله عليهم بالعمى وطمس القلوب . وقوم عيسى عبدوا الصليب والمصلوب . من دون الله ومن كان هذا حاله لا يثق سامع بنبيه والله على ما اقول وكيل

ثم تم الرجل كلامه واجل الكلام على ما بقي من الكتاب الى الصباح وانصرف الجميع قائلين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير)

(الكلام على الفصل الرابع)

يأبى الغبي وقد تظاهر نازكا	الا عابه حال كل مهذب
وكذا الجهول اذا غدا متعاليا	عن الاسانة بات غير مؤدب
أما السفيه اذا تجنبه الحيا	والخوف أهلك نفسه في الغائب
وأخو الحماقة لا يرى الافاضل	فضلا ولو كانوا كساكن يثرب
لو يعلم المعيوب عيب خصاله	لغدا الى الاجداث أول هارب
لكنه بالطبع كان مهيأ	لذهابه في العيب أشنع مذهب
فتراه لا يخزى اذا نظرت له	نظر ازدراء عين كل مراقب
هذا الذين تفننوا في عيبهم	وشؤنهم لحساب أسرع حاسب

ان الحقائق لا يضر بصوتها جهل الجهول ولا تقول كاذب

فلما أصبحوا تندوا مقبلين وأقبل معهم خلق كثيرون ثم قام ذلك الخطيب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال . أيها الاحباب انكم تعلمون ان الله تبارك وتعالى ما أوجد النوع الانساني على اختلاف طبقات أفراده وتعدد امه المختلفة السنتهم وألوانهم الا ليكون مظهر القدرة الالهية . ومصدر اعمالها النظامية . التي حيرت حكمتها الافكار وشخصت داهشة دونها أبصار البصائر النيرة وماجعل سبحانه وتعالى من رابطة بين قدرته العلية . وبين تلك المظاهر في امضاء الشؤن البشرية . الا البواعث الغيبية . التي جعل مجالها القلوب وقد تختلف اسماء تلك البواعث باختلاف الشؤن فمنها ما يسمى خاطر ومنها ما يسمى الهام الى غير ذلك ومن كان لتلك البوعث التي هي منشأ كل عمل تراه في الوجود من مصدر الا الغيوب التي مافيها الا من هو المعلوم المجهول المعقول . الذي لا تحيط به العقول . جامع المتفرقات . وناظم اشتات الطرقات المحتجب عن الغير بالغير حيث لاغير . والمتلطف في ايصال الخير (وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم)

ومن هذه الوجهة التي من لم يتجه قلبه اليها كان من الضالين قال معلم العلماء . ومؤدب الادباء . وأظرف الظرفاء . وخاتم الانبياء . سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) كما يشير الى هذا المعنى التعليم الالهي الوارد في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) وذلك لانه لا يبرز في عالم الظهور قول ولا عمل الا عن تكوين الهي لا يعلم كيف كان الا مكونه ومن

هذا المشرب كان قول القائل

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلا   وجدت جميع الكائنات ملاحا

والله لولا وجود الحجب المسدلة بين البواطن والظواهر. لعلمت المظاهر من هو الباطن والظاهر. وما رفعت تلك الاستار ولا ازيلت تلك الحجب الا عمن عرف نفسه فعرف ربه وما عرف نفسه الا من عرف معنى قوله تعالي في الحديث القدسي فعرفوني اذ لولا أن الله سبحانه وتعالى أحب أن يري نفسه كما هي عليه من الاقتدار ومخالفة الحوادث لما كان هذا الظهور المعبر عنه بالوجود الصوري ولو كان للمكن حقيقة ذاتية لما التحق الفناء بموجود ولما طرأ عليه التغيير وما قلنا هذا القول المحجور عليه الا لتعلموا أن الانسان مساق الى ما يراد به ومنه على وفاق وتلايم بين استعداده وقابليته وبين ما هو معان عليه ومسخر له اذ هو مرمي سهام العدل. ومطمح انظار الفضل. لانه اما شقي شرير واما سعيد خير ولا يتميز الشقي من السعيد الا بالاعمال اذ الاعمال اما ضارة واما نافعة وهما ضدان لا يجتمعان في استعداد واحد ولا تقبلها معاً قابلية واحدة فكان من حكم النظام الا بداعي اختلاف القوابل والاستعدادات تأتي أعمال الانسان على وفقها فلذلك افترق الناس الى قسمين فمنهم شقي وسعيد وفريق في الجنة وفريق في السعير فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر والويل لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير

ولقد علمتم أن كل أذى زائل الا أذى الدين فانه شر دائم. ونتيجته غم ملازم. فمن رأى منكم شريرا قد استرسل في شره أو مضلا تمادى في اغوائه فليبرأ من أعماله وليهرب منه الى ربه وليعلم انه مسكين مسلوب

الارادة عاز عن مشيئة عاجز عن اتمام ... الاحياء وانه ... يأتي به من الاعمال كسخرت السموت والارض والشمس والقمر وجميع الموجودات لاعباده وكتسخير الدواب والانعام وغير ذلك ... كان مقتضيا في الترتيب التكويني الذي ... في مشيئته الحق ... واليه قوله (حكمة بالغة فما تغني النذر) ... من أهل هذا الزمن الذي اغتروا بزخرفة الاقوال الملفقة التي حالت بين الله سبحانه وتعالى وبين قلوب عباده الضعفاء وانها لاقوال قوم جعلهم الله فتنة القوم الضالين وزين لهم اعمالهم وامدهم بما اعانهم به على ما اراده بهم ومنهم من الجدل وفتنة الشهوات وطغيان الغرور فمن كان منكم ضعيف النظر قليل التأمل قاصر الادراك ... قدرة على ادراك الحقائق من طريق البراهين الايمانية والانوار الالهية فعليه بالميزان الذي وضعه الله لعباده في كتابه العزيز تميز به العقلاء أحوال الاطغياء من احوال الاصفياء . فقد جعل سبحانه وتعالى التقوى هي العلامة الدالة على حسن توفيقه وارشاده والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وبقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) ولا تعرف الخشية الا بالتقوى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأس الحكمة مخافة الله) ثم قرن الغرور والطغيان بالاستغناء بالجاه والمال كما يشير الى ذلك قوله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وما كان ذلك من الله تبارك وتعالى الا تعليما وارشادا حتى لا يغتر الضعفاء منكم بظواهر القول والعمل ولتعلموا أن كل علم أو عمل لا تخالطه التقوى لا يكون الا اغواء وتضليلا كما عليه سفهاء الفلاسفة والبشريين في هذا

زمن الذي قل أن يعقب ديجيه المظلمة اسفار . وان يكون للحق فيه أعوان أو انصار . فقدظهروا فيه بمظهر الاغواء والاضلال . وستروا محاسن الحق البين بقبائح الزيغ والضلال وتظاهروا من علومهم ومعارفهم الزيغية بما لم يتظاهر به ابليس في زمن من الازمان الماضية (وكان الله على كل شيء مقتدرا)

فكان ذلك التعليم الذي سبقت الاشارة اليه ميزانا يعلم به المسترشد احوال العباد كيلا يلتبس الامر على الجهلاء فمن رأى منكم عالما أو مرشدا قليل التقوى فليعلم أنه شيطان وكذلك صاحب الجاه والمال الذي لم يرزق الانكسار وحسن الخلق لا يكون الا مغرورا طاغيا من حيث لا يشعر ولذلك قال القائل

هما رضيعا لبان حكمة وتقى ✲ وساكنا وطن مال وطغيان

ألا ترون ان أول من كان يتبع الرسل من الامم الماضية ضعفاؤهم وما انقاد الاقوياء منهم للرسل الا بعد الجهد الجهيد ولقد علمتم ان منشأ الفساد في هذا الزمن ماهو الا محبة الدنيا والتكالب عليها الذى ترك كثيرا من الناس الآن يظنون أنهم وجدوا بلاموجد وأن هذه الدار التي سكنوها بلا ديار . وأنه لاجنة بعد الموت ولا نار . فتفننوا في الجنون وزعموا أنهم مصلحون . وانهم لهم المفسدون ولكن لا يشعرون . فلا يكون مثل من هذا حاله بعد الموت الا كمثل راكب سفينة ألقت به من الشاطيء على جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فأشغلته زهراتها وثمراتها عن النظر في شأن مبيته والاستعداد لاستراحته الليلية فقضى نهاره لاهيا متغافلا حتي اذا جنه الليل سمع زئير الاسد فدهمه الجزع واحاط به الخوف الشديد حيث لم يجد ملجأ ولا

مغارات تيجيه أو تأويه (والله محيط بالكافرين) فالحذر كل الحذر من أن يحول الطيش بينكم وبين ادراك الحقائق الغيبية فطالما حذركم الله من ذلك بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وما أراد بالغرور الا كل شيطان ذي زندقة يخرج الناس من النور الى الظلمات أي من نور الايمان والتصديق الى ظلمات الشك والزيغ والجدل فمن كان منكم ذا عقل وافر . وقلب طاهر . ويقين صادق وايمان كامل فليبحث في مؤلفات الابرار . عن طريق الاخيار . حتى اذا سلكها كان قد تمسك بالعروة الوثقى التي بها يتصل حبله بحبال الناجين وتجعله في حوزة القوم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر واياكم أن يلجأكم الجهل بربكم الى محاباة الضلال عند الفاقة لتتوصلوا بهم الى ادراك رفاهة العيش ونضارته كما يفعل سفهاء الامة الآن فان هذا هو علامة ضعف اليقين وخسة الطبع ودناءة النفس وضعف المروءة وما هي الا شيمة من شيم جهلة النساء اللاتي تميلهن الفاقة الى هتك الاعراض . واتباع الاغراض . وانها لهي الحال التي تركت طائفتي التبشير والفلسفة على ما ترونه الآن ولو تأمل الناقد البصير في أحوال القوم لما وجد منهم ذا حسب ولا ادب ولكن اكثر الناس لا يفقهون ثم بكي ذلك الرجل طويلا ونادى ربه قائلا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة القائم على كل نفس بما كسبت اسألك لطفا كافلا . وعفوا شاملا ورضوانا يحول بيننا وبين سخطك وامتنانا يدافع هذه النقم التي قاربت أن تحيط بعبيدك الضعفاء الهنا الغوث الغوث من مقتك وطردك وبعدك اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واغفر لنا وارحمنا (ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

ثم استدعى بذلك المؤلف ونظر فيه طويلا ثم رفع رأسه فقال واعجبا لقدرة الله سبحانه وتعالى كيف تقود أهل الشقاء الى مصارع العقاب وهم لا يشعرون وكيف تزين لكل عامل عمله حتى يظن أنه هو العالم الذي أحسن عملا

ثم قال اني كلما مررت بصحيفة من صحف هذا المسطر لا أرى فيها على الغالب الا تكذيبا لكتب المسيحيين واتهاما لليهود بان منهم المحرفين والمبتدعين وما صادق هؤلاء القوم على نبأ من الانباء المسطرة في هذا المؤلف سواء كانت قرآنية وتاريخية فليت شعري اذ قلنا ان اليهود محرفون والنصارى مبتدعون والمسلمين ضالون وان القرآن مختلق ومكذوب واكثر الاناجيل باطلة كما زعموا وان التواريخ التي سطرت فيها تلك الانباء ما هي الا مخترعات قوم كاذبين فأين الصدق وأين أهله وأين الحق وأين متبعوه وأين الخيار وأين الابرار اذا لو سألناهؤلاء الضلال عن خيار الناس لزعموا أنه لا خيار الا طائفة الفلاسفة والمبشرين ثم ضحك حتى بدت نواجزه وقال لله در القائل

ذهب الكرام المقتدي بفعالهم	والمكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم	بعضا ليدفع معور عن معور

أيها الاخوان لقد بينا لكم فيما سبق ميزانا قرآنيا تعرفون به احوال الرجال وانه لنعم المرشد لمن تمسك به واني الآن لسائلكم سؤالا به تتعقلون احوال الضالين والمهتدين وكان الله بعباده خبيرا بصيرا

ارأيتم ان جاءكم رجلان كل منهما يدعي الفضل والكمال وكان احدهم يصوم ويصلي ويذكر الله ويتجنب الفواحش ويتحاشي غوائل الظهور ويختار الخمول والعزلة ولا يتكلم الا بما يعنيه ولا يشتغل الا بما يصلح حاله ومآله مقدما أمر آخرته على دنياه ثم يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة واذا سئل عن شيء من أمر الدين سلك في الاجابة عنه طريق الاتقياء الذين يخشون غوائل الميل والانحراف عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا رأى من أعمال العوام عملا أو أعمالا لم يعملها الصحابة ولا التابعون أوكل أمرها الى مقاصد العاملين ونياتهم ارتكانا على قوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء وعلى قبوله صلى الله عليه وسلم ايمان الأمة التي سألها عن ربها فأشارت الى السماء وكان ذلك الرجل ايضا لا يحتقر الفقراء . ولا يزدرى الضعفاء وليس الا التواضع شعاره . وبحسن اليقين وصدق الايمان ابتهاجه وافتخاره

وأما الثاني فلا يهمه أمر الدين . ولا يمقت الا أعمال الخيار من المسلمين لا ينطلق لسانه الا بالغيبة والسباب . ولا يعمل من أعمال البر الا ما يحب أن يمدح به بين الأحباب . ولا تراه الا متفقدا عورات الناس . ولا متلبسا من الاخلاق الا بما تلبس به الوسواس الخناس . يختلق لأفاضل الاموات عيوبا . ولا يعدلهم بين الناس الا هفوات وذنوبا . لا يقبل من القول الا معقوله أو منقوله . ولو أن الله اعطاه الدنيا بجزافيرها لما ابلغته مأموله . ان جاءه نبأ مخالف لاعتقاده ازدراه وانكره . وان رأى ذاكرا يذكر ربه أنكر عليه وكفره . وان عثر على من يذكر الناس بأمر الآخرة ضحك استخفافا بالقائل . وان طرق مسمعه نبأ كرامة

لولي حكم بالجنون على الناقل . لا يفتخر الا بما كان عليه اهل الجاهلية من التعاظم والتعالي على الناس . ولا يتكلم الا بما من القول كان مشحونا بزخارف الزيغ والالتباس . قد جاء يدعي أنه في العلم قرين الانبياء والمرسلين . ولكنه لا يكترث بسنة ولا بفرض من فرائض الدين . لا تفارقه الدعوى طرفة عين . ولا يعجبه من القول الا ماهو ملفق من الشبه والمين . فأيهما يرى العقلاء أنه هو الزنديق . ومن منهما تعتقدون أنه السالك لاقوم طريق

فقال قائل من الجماعة أيها الخطيب لقد جئت بالجواب . في خلال الخطاب . فما بينت غير طريقتين احداهما طريق الابرار . والاخري طريق الاشرار . وما تخلق الاول الا بأخلاق المتقين . وما تتبع الثاني الا سبيل الشياطين

ثم ألقى ذلك الرجل الكتاب من يده وترنم بقول الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال لقد عجبت من هؤلاء القوم الذين فصلوا هذا المؤلف فصولا وما تميز واحد منها عن الآخر بحال من الاحوال بل كلها في موضوع واحد متحدة البراهين والادلة وما من دليل ولا برهان الا وهو دعوى كاذبة ذات حجة باطلة فما كان ذلك التقسيم الا كتهويلات المطلقات اللاتي لا يقصدن بما يأتين به من الجدل والمحاورات الا تكبير الجرائم والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم جلس ذلك الخطيب قائلا ان من الحكمة ترك هؤلاء الضلال في طغيانهم يعمهون . والاولى أن لا يتفقدهم المتفقدون . ولا يصغى لاقوالهم الصاغون . اقتداء بقول القائل لا تلق لعدوك سمعا . فانك لا ترتجي منه

نفعا . وان من السفه لمجارات لاحمق في حمقه سيما الاحمق الذي لا يدري أنه أحمق وما كان لبصير أن يبرهن للاعمى على طلوع الشمس وهي في رابعة النهار . وان الحق لظاهر وان الدين لقيم قويم ساطع الانوار غير خفي الاسرار . وقد فاز بكرامته المؤمنون . وسعد باعتناقه المتقون . وكم تنافس فيه من قبلكم المتنافسون . حتى وصل السابقون منهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر . وما كانوا أمثالكم في اللسانة والجدل وطيش الغرور وكثرة القال والقيل ولكنهم كانوا قوما صالحين وكانوا كلما احتاج احدهم الى الوقوف على حقيقة من حقائق الدين تكبد المشاق والمتاعب في طلبها وربما هجر أوطانه واهله اذ كانت الكتب فيما بينهم لها قيمة لا قدرة عليها الا لذوي الاموال لقلة الكتب والكاتبين . وانتم الآن في زمن كله كلام ومامن كتاب مكتوب يتفقده متفقد الا ويجده في خزانة جاره بل ربما وجده في أيدي الصبيان وما من واعظ يعظ قوما الا سمع من غالبهم من الحكمة فوق ما وعظهم به ولكن الاعمال بينها وبين الاقوال تباين واختلاف شديد فهما على طرفي نقيض فلو أن احوالكم الآن واعمالكم كانت تابعة لاقوالكم لكنتم كانبياء بني اسرائيل ولكن انتشار العلوم والمعارف مازاد الامم الا ضلالا وخبالا والذي يراه العقلاء من طوالع هذا الزمن المنحوس هو أن الله سبحانه وتعالى ما أراد بترخيص الكتب الى القيم التي تعلمونها الا بلوغ دعوة الرسالة لكل مطلع ولا نشر العلوم والمعارف فيكم الى الحد الذي ترونه ولا أكثر فيكم المتكلمين . ولا نشر فيما بين الناس سفهاء الفلاسفة والمبشرين . وسلب منهم الحياء منه والخوف الا لحكم كثيرة . منها اقامة الحجة على الغافلين

لذين لحقتهم الشك في أمر دينهم فهجروا مناسكه لما سمعوه من زخرفة الاقوال الزيغية ومنها انتقال الكثيرين الذين أشار اليهم الحق بقوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) من طريق الهدى الى طريق الضلال ومنها ظهور ما أشار اليه القرآن بقوله (ليميز الخبيث من الطيب) الى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها الا مجري الشوؤن وممضيها

ولقد علمتم ياقوم صدق نبيكم وصحة دينكم كما علمه الذين من قبلكم وان الجاهل منكم الآن بأمر دينه لو اختبرناه لوجدناه كأنه قريب عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم وما خفي عليكم والله من شوؤن الرسالة التي شاهدها الصحابة الا القليل ولا يضل الآن عن أمر دينه ضال مع وضوح أنواره الا من كان شقاوءه فطريا كما كانت الاشقياء في عهد الرسل واظنكم لاتجهلون ما كان منهم من الكفر والجحود مع مشاهدة لآيات البينات وما أنبأكم الله بأحوالهم في القرآن الكريم الا لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الهدى هدى الله فما على أمثالنا الآن الا البيان لمن لم يكن على علم وقد جئنا بما فوق الطاقة وما كنا بمكلفين بمعاناة الشدائد فوق ما تكبدناه من ارشاد الجهلاء وفوق ماقررناه من النصائح للقوم الضلال الذين قد تعاونوا على الاثم والعدوان ومعصية الرسول وقاموا فيما بين الناس يقاومون الحق ويدافعونه بالباطل وماوجدوا زاجرا من الامم ولا من أنفسهم وما ذلك الا لانهم حقت عليهم وعلى من يحابيهم كلمة العذاب (وكان أمر الله قدرا مقدورا)

وما علينا الا أن نحذركم صحبتهم والتودد اليهم اتباعاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذو عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة)

وصونا لكم عما يصل اليكم من شرورهم اذ لاضرر اشد على الانسان من ضرر الصديق الاحمق وانه لمن المعلوم الضروري ان الجاهل عدو لنفسه ومن كان عدوا لنفسه لا يصلح ان يكون صديقاً لغيره وهــل رأيتم في الوجود ظالما لنفسه اظلم من هؤلاء السفهاء الذين ماعابوا الا خير خلق الله ولا كذبوا الا رسول الله ولا خاضوا الا في آيات الله ابتغاء الفتنة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها) وهل من فتنة اضر من فتنة الدين. وهل من وقاحة اقبح من اعابة سيد المرسلين الذي شهدت بفضله جميع الامم الا القوم الكافرين ولو ان الله سبحانه وتعالى جمع جميع الرسل والانبياء في صعيد واحد واقمنا على رأس كل رسول خطيبا يذكر مآثره ويعدد اعماله ويسرد سيرته واقواله لما استطاع خطيب من اولئك الخطباء ان يأتي ببنت شفة في حضرة ذلك الرسول الكريم الا بعد اعترافه بأفضليته على جميع الرسل ولقام اذ ذاك كل نبي ورسول بين يديه شاهدين له بما اشار اليه البوصيري رضي الله عنه بقوله

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفاً من البحر أو رشفا من الديم

لانه صاحب الدين القيم والاعمال الناجحة الصالحة وصاحب الفتح المبين والشريعة الغراء والهمة العالية والعزم الشديد. والرأي السديد. ومؤدب العلماء. ومكمل الفضلاء. ومن كان هذا كله بعض مناقبه السنية. واخلاقه المرضية. لا يكون حال من جاء يعيبه الا اسوأ حال. وما مآله الا اشنع مآل ولا يكون عمله ولا قوله الا من اقبح الاقوال والاعمال. وما عادى ذلك المفتون الا نفسه التي اوردها شر الموارد المهلكة فليس لعاقل ان يصحبه اذ هو المجذوم الحقيقي المقطوع الذي اشار اليه النبي بقوله (فر من المجذوم فرارك

من الاسد) واي قطيعة انكى وادهى من قطيعة هؤلاء القوم المطرودين من رحمة الله . المعادين لرسول الله . المكذبين لكلام الله . فوالله لو انهم وجدوا في غير هذا الزمن الذي اشتغل شبانه بالملاهي وامتلأت قلوبهم زيغا وزندقة وما وجد الدين له فيها مأوى لما انطلقت السنتهم بما أذاعوه من الضلال والفسوق والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم جلس ذلك الخطيب وقد اظهر شديد الحزن والاسف فقام احد الحاضرين قائلا ايها الحبيب اناوان كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الضلال ماجاؤا في مؤلفاتهم بمعقول يعقل . ولا بمنقول يستحق ان ينقل . ولا بما تأنس له الافهام الزكية . ولا بما يروق منظره المطالع من ارباب الاخلاق المرضيه . ولقد تفنن العقلاء في تسمية تلك المؤلفات بما تستحقه من الاسماء فمن قائل انها خزائن الخزى والزندقة . في فن الشقشقة والقلقة . ومن قائل انها حذق المهابيل . في نشر الاباطيل والاضاليل . ومن قائل انها مواقعة السفهاء الفاسقين . للجهلاء المفتونين . الى غير ذلك مما نسمعه من افواه المتكلمين ولكنه لا ينبغي لنا ان نستخف بشأنهم حرصا على عقول العامة الذين ربما اورثتهم خزعبلات هؤلاء السفهاء شكا في دينهم فمن كمال الايمان ان ننظر الى اخواننا في الدين بعين الرحمة كما اوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ضمن حديثه الشريف وعودوا قلوبكم الرحمة وبقوله في حديث آخر (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) فالاولى لنا أن نكشف للعوام عن وجوه الحقائق براقع الشبه الزيغية وندافع عن أوهامهم هذه التمويهات التي جاء بها هؤلاء الضلال الذين يئسوا من الجنة ومن رحمة الله كما يئس الكفار من أصحاب القبور وما كان لنا أن نيأس من

اقلاع هؤلاء السفهاء عما هم فيه من الافتتان والغرور وان كانوا طاعنين لاننا نعلم علم اليقين انهم جهلاء بمزايا الدين والمتدينين لانهم ما عدوا من الدين شيأ غير ظاهر اقوال ماتحققوا بحقائق معانيها وما نشأوا الا بين قوم جاهلين وقد الجأهم السفه وطيش الغرور والافتتان الى تعزيز ما نشأوا عليه وان كان ضلالا لان من لم يقف على حقيقة الحق لا يعرف الباطل انه باطل فالاولى لنا أن نخفض لهم جناح الذل من الرحمة عسى ان يهتدوا بارشادنا الى الصراط المستقيم

فقال له صاحبه ايها الفطن نعم ما رأيت. وما أجمل ما به من النصح أتيت. فلا عدمت الامة امثالك. ولا فقدنا أراءك واقوالك. ولكن القوم الذين تريد أن تقاومهم فيما قاموا اليه لتقومهم ماهم الا أقوام تعصبوا على الحق فرموه بحجارة الباطل وما كان ذلك التعصب الا عن مقاصد سيئة تعاونوا على امضائها على علم منهم بأنهم هم الظالمون ولقد أبرموا امرهم على ذلك الاتفاق وصمموا عليه مصرين على انهم لا يخافون في أي قبيحة ارتكبوها لومة لائم وما كان ذلك منهم الا لأعراض دنيوية يريدون اصابة مرماها فما كان حالهم الا كحال مدمن الخمر الذي لا يسمع ولا يعي قولا أو كالزاني المتوله الهائم في هوى معشوقته التي ملكت فؤاده وماظنك بقوم يدرسون القرآن ويطالعون كتب الحديث وهم لا يهتدون ولقد مثل الامام ابن الفارض رضي الله تعالى عنه حال من كان هذا حاله بقوله

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

اذا فلا يكون حالهم معك الا كحال امرأة سيئة الخلق ذات اخدان تلي بها رجل اديب عاقل كلما احسنها تحاملت عليه. وكلما سالمها سرقت لشرود

شرورها اليه . وان زجرها تجرأت على سبه . وان سكت عنها توسعت في لومه وعتبه . فهل لذلك من حيلة غير الفرار . أو ان يختبي عنها في زاوية من زوايا الدار . ان هذا لبلاء عظيم

فناداه صاحبه بصوت منخفض مظهر بشاشة اللين والتعطف قائلا ليها الخليل الجليل ان الامر والله كما ذكرت ولكن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه الكريم (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وقال ايضاً فيما حكاه عن الرسل صلوات الله عليهم بقوله (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حكي سبحانه وتعالى هذا الحال عن افراد كانوا اكمل الناس حالا واكرمهم عنده منزلة وقد ابتلاهم بأمم طاغية جهلاء قاسية قلوبهم يعبدون الاصنام . ولا يخشون الانتقام . وبعثهم اليهم لينجي من اراد نجاته من الامم ثم قال (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) لعلمه ان منهم السعيد والشقي فما برحوا في مقاومتهم حتى قوموا منهم من أراد الله له الهداية . وادركته سابقة العناية وأما نحن فما بعثنا لعباد أصنام ولا لقوم طاغين ولكنا نشأنا بين أمة مؤمنة تعتقد أن الله اله واحد وان محمدا عبده ورسوله ابتلاها الله بطائفتين زائغتين وما كنا مجازمين بفساد عقائد الامة بمتابعة هؤلاء الضلال الذين ما قصدوا بتظاهرهم بما ظهروا به الا ان تعلو بين الامم منزلتهم كي ينالوا بسطة من المال والجاه وان كثيرا من عقلاء الامة لناقمون منهم وساخطون عليهم وقد ثبت في عقول الغالب من الناس ان الفلاسفة هم اعوان المبشرين . وقد حققوا ان المبشرين هم اخوان الشياطين . واذا كان الامر كما ذكرنا فأي مانع

يمنعنا من الاخذ بايدي ضعفاء العقول من امتنا ويرد في يدفعنا عن رشد العقلاء من المسيحيين أو من اي أمة الى طريق السلامة والنجاة التي هي الايمان بجميع الرسل واتباع الاوامر الالهية . والتحقق بالآداب الدينية . التي لم يتجاوزها نبي من الانبياء أما قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) فما الاصل فينا على اختلاف السنتنا وألواننا الا واحد وما كان تخالفنا في العقائد والاديان الا لاختلاف الاستعدادات والقوابل الفطرية ولله در القائل

أبوك أبي والجد في الاصل واحد   وكنت عود من غرس وخروع

وهل كان تفرق المشارب والمسارب . الا لاختلاف الاهواء والمآرب . اذ المعلوم أن الاهواء تذهب بالقلوب الى حيث تهوى النفوس ان لم تعقلها عن ذلك قوة اليقين وكمال الايمان فما كان لنا ان نترك اخواننا في الجنسية والوطنية لقوم يدعون العلم وقد اخذ بمخنقهم الغرور والطغيان الى مواقف الطيش والدعوى حيث ظنوا أنهم أكمل الناس عقلا وعلما ولو أنهم كانوا عقلاء تحققوا بقول الزمخشري رحمه الله اذ أدركته العناية بعد طغيان علمي فوقفته لله على حقيقة نفسه فعلم انه أجهل جهول لولا تعليم الله له فقال

اعلم للرحمن جل جلاله   وسواه في جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وانما   يسعى ليعلم انه لا يعلم

فلا تيأس أيها الصديق من رحمة الله وربما أن يكون من الفلاسفة أو المبشرين من أراد الله به خيرا فيفتح سمعه وبصره لما نلقيه اليه من النصائح ويهديه في سواء السبيل

ثم التفت لي من حضر قائلا أيها الاحباب ثما الناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها . ورجل اشترى نفسه فأعتقها

فأما لذي أوبق نفسه وألقى بها الى التهلكة التي نهاه الله عنها بقوله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكه) فما هو الا من هجر الصراط المستقيم الذي هو لرضاء عن الله ولاقتناع بما قسمه الله ثم اشتهى ان يكون ذامال وجاه كما اصبح غيره من أهل الساتة والجدل بعدما كانوا من ذوي الفاقة والاحتياج وقد غلب علي ظنه ان الدنيا لا تتعاصي على الطالبين . ولا تمتنع عن الراغبين متى كانوا أهل همم وعزائم لا يلوي أعنتها الفتور والكسل وتوهم ذلك المسكين أن الانسان يدرك بهمته كل ما طلب . وما تفطن الى أن الاله الذي انشأ لدنيا هو المدبر لشؤنها وقد خلق هذا زبالا وذلك سلطانا . وجعل ذلك تقيا وآخر شيطانا . فلا يستطيع موجود أن يغتصب رتبة موجود آخر وما تبصر ذلك المفتون في شؤن الخلائق حتى كان يعلم أن المقسوم لا يفوت وان غير المقسوم لا يدرك وما احس بأن الله سبحانه وتعالى هو الملهم لكل عامل اراد اظهار أي عمل على يديه وانه لا يفتن بالدنيا الا من سبق عليه القضاء بالشقاء ولا معني لسبوق القضاء الا حكم مرتبته الوجودية عليه ثم لم يتدبر معنى قوله تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) وقوله في حق المفتونين (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) فلما غاب ذلك المسكين عن تلك المشاهد الفكرية قام يسابق الامم الذين جعلهم الله ابناء الدنيا واشغلهم عنه بزخارفها التي لا تساوي شيأ ولا يصبوا اليها الا الصبيان او جهلاء الرجال فما وجد ذلك المفتون مشربا الا طريق الزيغ والفلسفة فاستهوته الشياطين فسار وراء القوم الذين اهلكتهم متابعة الهوى

فأوردوه النار وبئس الورد المورود

واما الذي اشترى نفسه فذلك الذي تحقق بما اودعه الله تعالى في قلبه من الانوار أن موجد هذا الوجود لا تأخذه سنة ولا نوم وانه خلق الانسان وسخر له جميع الموجودات الا ليكون مظهر تدبيره ومنفذ مقاديره . ثم تبصر في نفسه التي هي مجموع عوالمه البشرية فوجدها منقادة لقلبه انقيادا لا يحركه حال من الاحوال الا حال انقياد المواد الغازية للنار اذا لا يحجبها حجب عن الاتصال بها فيرى عينه مثلا او اي جارحة من جوارحه لا تتعاصى على قلبه كيف شاء ان يوجهها بحال من الاحوال سيما لسانه الذي هو ترجمان قلبه ثم تأمل فوجد قلبه غير متروك له بل هو في يد مالك قوي يقلبه كيف يريد ورآه مقهورا لبواعث غيبية تبعثه الى ما لم يكن في حسبانه وتوجه الى اي وجهة لا يدري ما تكون عاقبته فيها ثم سمع قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) فتحقق الامر على ما هو عليه وعلم ان قول المغتر المفتون اني ساعمل لمستقبلي ما هو الا قول صادر الا عن نفس مكلوبة مفتونة أضرها التكالب على الدنيا حتى عميت عن ادراك الحقائق وعلم انها لولا السد الذي جعله الله من بين يديها ومن خلفها والغشاوة التي على بصرها لابصرت كما أبصر المبصرون ولكنها لما احاط بها مفهوم قوله تعالى (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) عميت عما وراءها من المغيبات الاخروية التي انبأ بها القرآن وعما بين يديها من الآيات والدلائل التي نصبها الله علاما لعباده المتبصرين الذين فتح

اسماعهم وابصارهم ليهتدوا به اليه فتنبهت بما الهاها عن ربها من الملاهي فتوهمت انها فعالة مختارة وهذه العقيدة هي منتهى افهام المحجوبين

فلما جذبت ذلك المتبصر الى ربه العناية . وحلت في قلبه انوار الهداية سرح فكره في شؤن الامم المتقدمين ليعلم كيف كان سيرهم وسلوكهم وتصفح صحائف التواريخ فما وجد منهم من يستحق الالتفات الفكري الا طائفتين احداهما طائفة الرسل ومن تابعهم والاخرى طائفة الفلاسفة واشياعهم فأمعن النظر في شؤن افراد الطائفتين واخلاقهم فتحقق ان الاتقياء الذين اختارهم الله هم افراد الطائفة التي آمنت بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله وعلم انهم هم الذين تجملوا بمكارم الاخلاق وحظوا بتهذيب النفوس ومشاهدة الاسرار الملكوتية . والفتوحات الربانية . واولئك الذين سعدوا واولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون . واما افراد الطائفة الاخرى فما هم الا اهل اللسانة والجدل واصحاب الدعوى وحلفاء التفاخر والتباهي الى غير ذلك من الاوصاف المذمومة فتحقق انهم هم الذين ابتلوا بهموم الدنيا وغموم الآخرة والله لايحب كل مختار فخور

ثم بكي ذلك الرجل طويلا وقال (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي والعذاب بالمغفرة فماأصبرهم على النار) ثم نادي يا أيها الاخوان لقداصبحنا في زمن ما تقدمه زمن مثله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الآن وما ضلت الامم عن طريق الهدى في عصر من العصور كضلال أمم هذا العصر وماظهرت بمظاهر الزيغ زنادقة في وقت من الاوقات كظهور زنادقة هذه الايام بزندقتهم وكثرة افسادهم واضلالهم فلاتوبقوا أنفسكم كما أوبقها ذلك الرجل الذي ضربنا لكم به المثل وتحفظوا من أحوال الفلاسفة والزندقة

وإياكم ومخالطة اهل الفساد فان من وقف مواقف التهم اتهم ولا جرله ومن أحب قوما حشر معهم وتمسكوا بعروة الدين الوثقى ثم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فقد تجاوزتم في الضلال أحوال الفترة وهجرتم معالم الدين ومؤلفات السادة الصوفية الذين هم أهل التحقيق وامناء الله على دينه وخلقه وملتم الى طريق الزيغ التي تركتكم تركنون الى اقوال اقوام سفهاء قاموا فيما بين الامم لا خجلين ولا خائفين يمشون في الارض مرحا ويصعرون للناس خدودهم يحاولون تحول أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن دينهم الى أن لا دين لما علموه من سفهائكم من هجر مناسك الدين والجهل بآدابه وانا لنري زمرا من اوباش الناس وكثيرا من سفهاء طلبة العلم وبعض مجانين الشبان من ملامذة المدارس يشهدون محافلهم التي يتطاولون فيها بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخوضون في آيات الله بغير علم ويدعون ان لهم دينا هو اكمل الاديان ولكنهم لا يعبرون عنه الا بتلاوة الانجيل والايمان بأن المسيح الذي صلب وقتل على زعمهم هو الاله ويزعمون ان من آمن بذلك دخل ملكوت الرتب فلو ان القوم الذين يسمون هذه التخاريف والاضاليل عقلاء لاتخذوا عن هؤلاء الضلال جانبا ولكرهوا النظر اليهم اذ كل ذي ذوق سليم وقلب متيقظ واحساس مدرك وتصور صحيح تمل اذنه سماع القبائح والفحش من القول وخرافات المحدثين كما تشمئز نفسه من رؤية الرمم ذوات الروائح الكريهة ولكن شبان امتنا الآن بل والغالب من شيوخها قد فقدوا المزايا الذوقية وألفوا الاقوال والاعمال الهمجية والخرافات الزيغية واعتادت اسماعهم وابصارهم التلذذ بكل مكروه من كل مسموع ومنظور لانهم غفلوا عن حكمة النهي الشرعي اذ نهاهم الله عن النظر

الى المحرمات وأمرهم بالاعراض عن اللغو من القول وما كان ذلك النهي والامر الا رحمة بأهل الكمال لكيلا يتعودوا الميل الى نقائص القول والعمل فتقودهم الاهواء الى مصارع التهلكة من متابعة الطباع الخسيسة والاغراض الدنية فتتعامى نفوسهم عن قبول النصائح كما عليه اهل هذا الزمن المشؤم الآن وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

فيا أيها الاخوان تجنبوا محافل الزيغ ما استطعتم فقد سلب الله سبحانه وتعالى وصف الايمان عن كل من يحابي اهل الضلال و يتودد اليهم بقوله لنبيه وهو أصدق القائلين (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الى آخر الآية لأن القلوب لا تميل الا الى من ألفته ولا تألف الا ما بينها وبينه مناسبة روحية أو جسمية فلو أن منكم المتحققين بحقيقة الايمان لردعوكم عن مخالطة السفهاء الذين يميلون بكم عن طريق الرسل الى سبل الفساد وما أكترثوا بسوء أحوالهم . ولا بخيبة مآلهم . وقد أشغلتهم الدنيا عما وراء الموت فأصبحوا كالانعام التي لا تدري العواقب . ولا تشعر بحلول المصائب . ولقد قست قلوبهم فما هي الا كالحجارة أو أشد قسوة وما ربك بظلام للعبيد

أيها الاخوان تالله انكم لتشاهدون برؤيا العين أن الدنيا تقبل اقبال الطالب . ولكنها تدبر على عجل ادبار الهارب . وانها لا تواصل من واصلته الا كوصال الملول . وبعد قليل تفارقه كما ترون مفارقة المبغض العجول . خيرها يسير . وشرها مسترسل وكثير . وعيشها وان طاب منغص وقصير . لذاتها ذاهبة فانية . وتبعات تلك اللذات بعد انقضاء الاوقات باقيه . فلا تغرنكم زخارفها التي هي ملحفة البلايا . ولا تفتننكم زينتها فانها مزبلة الرزايا . وتالله

ما عرفها الا العارفون . ولا تفطن لخدعتها الا المتبصرون . فلا يسبقنا يا قوم اليكم الشيطان ولا تختطفكم من ايدينا ونحن الحفظة الامناء عليكم هؤلاء الخوان

أيها الاخوان انكم لتعلمون ان الهادم في عمله هو أسرع من الباني وقد تهادم مباني هذا الدين القويم الذي فرغ من تأسيسه منذ ثلاثة عشر قرنا . وما استطاع هادم أن يهدم منه قاعدة ولا ركنا . وقد كان منهم العتاة والفحول فهل يليق بكم وأنتم أهله ودووه أن تعينوا على هدمه أوباشا لا يعرفون كيف يبولون . ولا يفقهون ما به يتكلمون . وما جاءوكم الا بمزخرف من القول لا يصغي اليه الا فاقد الذوق الذي لا عقل له ولا دين ولقد أجمع العقلاء من جميع الامم على ان لا كلام أفصح من القرآن ولا رشاد أوقع في النفوس مما جاء به من الهدى والبيان . فمن بدله بعد ما سمعه فانما هو شيطان مريد . ومن صد عن سبيله فما هو الا من اشرار العبيد . فان كنتم العقلاء فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون . وان كنتم السفهاء فما أنتم الا باعمالكم محاسبون . وهل ينحس من الدواب بين كتفيه الا الحمير . أو يرتد عن مناهج الاعتدال والاستقامة الا اللؤماء الاشرار

أيها الاخوان انكم لتعلمون علم اليقين أن الفضائل والرذائل طريقان متضادان وان لكل طريق أهل وبمقدار ما يعلم سالك أي طريق منهما من احوال الطريق التي سلكها وأحوال أهلها يكون جهله بالاخرى وبأهلها وان هذا هو الميزان الحق المعتدل . ولقد علمتم ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكارم الاخلاق وكمال المزايا وما عرف منكم عارف للفضائل طريقها الا بمواعظهم ونصائحهم وما من عاقل الا ويعلم علم

اليقين . أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ترك فضيلة الا بينها وأوضح سبلها وامر باعتناقها ثم نهى عن ضدها فلو ان هؤلاء السفهاء سلكوا سبل الفضائل لعلموا فضل محمد صلى الله عليه وسلم وعرفوا قدره ولكنهم لما سلكوا طريق الرذائل وتحولوا في ميادينها وشعابها كان جهلهم بطريق الفضائل وبأهلها بمقدار ما علموا من الاخرى فلا يهولنكم ماهم عليه من الجهل والغرور فقد جعل الله لكل نبي عدوا من المجرمين . وان جهنم لمحيطة بالكافرين

ثم تغير حال ذلك الرجل لشدة الغضب وقال لقد قام هؤلاء السفهاء فيما بينكم يقولون ان القرآن المجيد الذي تتلونه ماهو الا قصص وانباء اكتتبها نبيكم صلى الله عليه وسلم من كتب موضوعة وانه تناول بعضها من مارية القبطية والبعض من الاناجيل المكذوبة المختلقة ثم جاؤا يسردون كل قصة جاء بها القرآن ويأتون بمثلها من الانباء القديمة ثم يزعمون أن تلك الانباء ما هي الا خرافات كانت مسطرة في كتب المخرفين من أهل البدع الى آخر ما زعموا

ولم يخجلوا من هذه الاقوال وما فيها من التمويهات والتشنيعات فكانتا يخاطبون انعاما لاعقول لهم ولو انكم عقلاء ارباب قلوب نيرة ولو اخبرة بالدين لتبصرتم في تلك التمويهات تبصر العقلاء ولعلمتم أن الكلام الذي وسع نطاقه من البلاغة والبيان ما به دونت تلك الكتب الدينية . وفصلت تلك الاحكام الشرعية . التي سري عليها العمل من ذلك العهد الى الآن في العبادات والمعاملات لا يكون منقولا عن مارية القبطية ولا يتصور عاقل أنه صدر عن خرافات المخرفين فان كان منكم المصاب في عقله بما أصيب به هؤلاء المجانين الضالون ووقع عنده هذا المقال موقع الصدق والاستحسان

ليقم على قدم وساق مطالباً ملوك الاسلام بعزل كل قاض ومفتن وهدم لمساجد وتمزيق الكتب الدينية. التي لا مصدر لها الا مارية القبطية. وأكاذيب لمخرفين ويكون ذلك قد تفلسف وكان فيلسوفاً كاملا لان من لم يوافق عله معتقده كان منافقا وزنديقا

وان كنتم من ذوي الاذواق وارباب العقول وكانت لكم قلوب تفقه ما يلقى اليها فتبصروا فيما يقولون. وتأملوا فيما يصنعون. تبصر العلماء. وتأمل العقلاء. ولا تكونوا كشبان التلامذة الذين اصبحوا لا دين لهم الا الفلسفة المنطيقية ولا هم لهم الا تحسين ملابسهم وكليتهم تعلموا أن الاعتراضات التي اقترحوها. والتمويهات التي القوها. والاقوال التي زخرفوها. ماهي الا ملاعب صبيان. ومشارب فتون وطغيان. والله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد تقرر فيما سبق بيانه من العقبات التي سطرت في مبدأ هـذا الكتاب أن موافقة القرآن الانباء القديمة لا يكون برهاناً على تكذيبه لانه ماجاء الا بوقائع رسل مع اممهم وما كانت الوقائع الا مشهودة ثابتة بتواتر النقل في الكتب ولقد كانت متداولة بين الامم في الازمان القديمة ثم قال الله سبحانه وتعالى لنبيه (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) فلو ان فيهم من كان ذا علم بتلك الانباء لأقام البرهان على تكذيبه وكان اول مكذب له مارية القبطية ان مال الى غيرها من الازواج

ولو ان الانباء السالفة اوكلت لتكذيب المكذبين لما صح لرسول من الرسل نبأ ولا صدق سامع ناقلا ولكن الشهرة والتواتر هما برهان صدق كل نبأ ومتى ثبت صدق تلك الانباء القديمة لا يضر بصحة القرآن موافقتها كما سبق بيانه في العقبات الاول وليس لعاقل أن يصدق مكذبا

لنبأ من الانباء القديمة التي صادقتها الكتب الكثيرة وجاء القرآن موافقاً لها سيما اذا كان ذلك المكذب من احدى الطائفتين الخاطئتين الخاسرتين وهل يصغي الى تضليل المضلين الا كل افاك أثيم

ثم قال لقد قال لكم أخي هـذا وأشار الى المتكلم قبله ان مشرب الفلاسفة ما هو الا تكذيب كل نبأ لا تصـل الى الاحاطة به مداركهم الحسية وانكم لتعلمون أن كل ماجاء به الرسل من الآيات . ماهو الا خوارق عادات . وما جاؤا من شؤن الآخرة الا بأنباء غيبية لا تحيط بها عقول القوم الذين حال بين بصائرهم وبين الحقائق الدينية حائل الطيش والغرور وما كان لشقي حقت عليه كلمة العذاب أن يهدي نفسه الى معالم الايمان التي لا يهتدي اليها الا كل أواب منيب

اذاً فلا يسوغ لأي عاقل يحب أن يكون من الناجين . أن يتابع هؤلاء المكذبين ولا أن يصغى الى خزعبلاتهم ولا أن يأخذه العجب من اصرارهم على التكذيب لجميع الانباء فقد قال الله تعالى مشيرا الى من كان دأبه التكذيب (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا)

وسأزيدكم بيانا ان كنتم تعقلون ولكني أحب أن يكون منكم المناقش فيما لا يقع في قلوبكم من البيان . موقع الاستحسان . ليتبين الرشد من الغي فأقول

جاء القرآن قائلا في نبأ أهـل الكهف قولا بليغاً عجز عن الاتيـان بمثله الجن والانس وجاء الله سبحانه وتعالى في تلك السورة من الهدى والفرقان بما لا يستطيع الاحاطة برقائقه الا من جعل الله له نورا فأصبح

هؤلاء الضلال على جهلهم وظلمة قلوبهم يدعون انها خرافة تحاكي قصة القط والفار فهل من شاهد أقوم شهادة بالحماقة والجهل على انسان وقد خاطبته بأحسن خطاب من حاله اذا لم يفقه معنى ما خاطبته به ولم يذق لمزاياه طعما فما على العاقل النبيه لا أن يستحضر جميع الكتب السماوية ويقارنها بتلك السورة حتى اذا لم يجد لها مثيلا في المزايا الارشادية والبلاغات المنطقية والمعاني الذوقية اذاً يقول للذين زعموه خرافة انكم حمر مستنفرة

وانه لمن العجب العجاب انكار هؤلاء الضلال وقوع تلك الواقعة بلا دليل ولا برهان فهل منهم من عمر من عهد آدم حتى الآن وكانت الدنيا كلها بين يديه لا يعزب عن علمه منها مثقال ذرة حتى كان يقول ان له الحق في تكذيب نبأ ما رأى بعينه له واقعة ام منهم من هو رسول من عند الله ثابت النبوة جاء مكذبا لما لم يكن من عند الله أو صرح عيسى عليه السلام في الانجيل بأن نبأ أهل الكهف مكذوب كلا والله ما كان هذا ولا ذاك ولكنها ضلالة قوم ظلموا أنفسهم واصروا على الكفر عنادا واستكبارا لفقدهم مزايا العقل والآداب الكمالية فصدق عليهم قول القائل

ما العقل الا زينة سبحان من أخلاك منه
قسمت على الناس العقول وكان أمرا عبت عنه

فقام احد القوم مناقشا لا عن جحود وانكار ولكن ليفتح المتكلم أبواب البيان والايضاح حتى لا يبقى في نفوس السامعين ما يشتهي من القول المفيد فقال

أن القوم ما قدموا على تكذيب تلك الانباء التي اطلعوا عليها في الكتب التي عددوها في مؤلفهم هذا الا لانهم من ذوي الاطلاع العالمين بجميع أنباء الامم كما تشهد لهم بذلك أقوالهم التي طالعناها فانها أقوال قوم مطلعين ولو أنهم رأوا في كتب التواريخ ما يؤيد صحتها لما أنكروها اذ فلا برهان لهم الا سعة الاطلاع والخبرة وان في ذلك لغنية عن كل دليل وبرهان

فقال ذلك الرجل لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقلب كفيه متعجبا وترنم بقول القائل

كل من في الوجود يطلب صيدا غير ان الشباك مختلفات

ثم قال ياهذا أما فهمت مما سبق من القول آنفاً أن للناس مشارب وقد علم كل أناس مشربهم وان كل سالك طريق يكون جهله بغيرها بمقدار علمه بها فلو أن أهل الدنيا وصلهم من نبأ الآخرة شيء لازدروه وانكروه ومقتوه. كما ان اهل الآخرة كذلك الا ما يكون مصلحا لآخرتهم وهلا تبينت من تكذيب هؤلاء القوم القرآن الذي هو اقوم قيلا وافصح كلام سمعه السامعون من عهد آدم الى الآن ماهم عليه من الفتون والهوس افلا تدلك كثرة اطلاعهم ومطالعتهم في الكتب التاريخية على ضياع اعمارهم وعقولهم أو ليس في شؤن الانسان الوقتية. وفي الحوادث الحالية. ما يكفي المعتبر في كل زمن ويغنيه عن مطالعة حوادث الازمان الآخر ان كان المراد بالاطلاع هو التبصر والتذكار فهلا تحققت من تفنن الفنون في الجنون بكل مجنون. من هؤلاء الضلال انهم قوم مفتونون لاعقول لهم اما علمت ان هذا المصرع الوخيم هو الذي زلت فيه اقدام أهل

الزيغ والزندقة في كل زمن لتفرق سبل الاطلاع بهم الى الغايات النفسانية وهل يجد الباحثون عن أصل فساد العقائد لذلك من سبب الا زخرفة اقوال المؤرخين . من فلاسفة المتقدمين . لان قاصر الذهن قليل الزكاء كلما طالع قولا مزخرفاً وقع في قلبه موقع الصدق والعجب لظنه ان القوم الذين سطروا تلك السطور ما كانوا الا علماء أمناء وأهل ارشاد وبيان وما تفطن الى أن في كل أمة من الامم قوماً مذبذبين قد نصبوا لايقاع القلوب في مهالك الزيغ شراك السفسطة والاضاليل المزخرفة التي لا يستلذ سماعها أو مطالعتها الا ارباب القلوب المظلمة الذين لا يلتفتون الى سواها ولو انهم تحولوا عنها الى اقوال المهتدين لما ضلوا ألا ترى يا هذا ما عليه شبان هذا الزمن الذين أزاغ الله قلوبهم وراء الفلاسفة منهم اذ هجروا كلَّ كتاب ديني . وكل مؤلف صوفي . يرشد الى الهدى وسبل النجاة واعتنقوا خزعبلات أهل الزيغ ليكون لهم الحظ الاوفر في تحسين الاقوال . وتزيين الاحوال . التي حكم الشرع بأنها اسوأ حال تورد صاحبها النار وبئس الورد المورود

ثم قال يا هذا أرأيت ان جاءك رجلان مختصمان في نبأ من الانباء التي مضت على وقائعها الدهور . أحدهما يدعي صدق ذلك النبأ والآخر يدعي أنه مكذوب وما وجد احدهما شاهدا يشهد له برؤية واقعة ذلك النبأ وقال مدعي الصدق ان برهاني على صحة دعواي هو تصديق الخيار من سالفي الامم لذلك النبأ

وقال مدعي الكذب ان برهاني على أنه مكذوب اني رأيته مسطراً في بعض كتب خرافية فماذا يكون فصل الخطاب في هذا الشأن واي حكم تراه صوابا ان كنت أنت الحكم بين هذين المتخاصمين

فقال المناقش ان الحكم بينهما لا يجد مستندا يستند اليه في حكمه الا المطالبة باقامة البراهين . على سلامة أحوال الناقلين . لذلك النبأ ومتى كان متداولا عن قوم صادقين لا يزري به وجوده في كتب لا يعتد بها

فقال الرجل للمناقش ومن أي طريق تكون معرفة احوال الناقلين مع تقادم الزمن ومضي الالوف من السنين . فقال من طريق الشهرة والتواتر . فقال الخطيب هذه هي ضالتنا التي نشدناها . وفي حكمك أيها الحكم العدل وجدناها . فما في الكون من شهرة وتواتر جاء بهما النقل الصحيح المؤيد بجنود البحث والتدقيق أقوى شهرة من القرآن واصدق من تواتره ثم قال ياهذا ان استشهاد هؤلاء الضلال على تكذيب القرآن بقصة اهل الكهف وتسميتها خرافا لمن عمل المهابيل الذين لا يتحاشون قبيحا من الاعمال تدعوهم اليه أهواؤهم وان العاقل اذا تتبع ماجاؤا به في هذا المؤلف من تكذيب كل الانباء لا يجد لهم مثلا الا حال مخرور كاذب كلما ذكر له نبأ كريم من ذوي الوجاهة والجاه عابه بما ليس فيه من العيب وزعم أنه ليس بمعدود في أعداد الافاضل من الرجال حتى عاب كثيرا من الكرام وما زكي منهم من احد ولما سئل عن الخيار كيف يكونون قال ليس من أفاضل الناس الا أنا وأضرابي . وهنالك انقسم الحاضرون الى قسمين فمنهم العقلاء ومنهم الاغبياء فاما العقلاء فقد أضحكهم حال هذا المخروم الاخرق وسخروا منه وتركوه يلهث كما يلهث الكلب المكلوب واما الاغبياء فعظم ذلك المفتون في أعينهم وظنوه رجلا لجهلهم بمزايا الرجال كما جهل شبان هذا الزمن مزايا محمد صلى الله عليه وسلم فظنوا ان لهؤلاء الضلال كلاما معقولا و الله لا يهدي كيد الخائنين

ثم قال أيها المنقتي لقد عاش محمد صلى الله عليه وسلم بين قومه زمناً طويلا طفلا وصبيا . وفتى ونبيا . الى أن فارق الدنيا . والتحق بالرفيق الاعلى وما نقلت عنه كذبة واحدة وهذه هي أحاديثه قد اجتهدت امته من بعده في جمعها وضبطها بغاية الدقة والتحقيق كما تشهد بذلك كتب الاحاديث وصحف التواريخ ولو أن له من هذا القبيل واحدة من الكلام لاتي بها هؤلاء الضلال وما زعموا انه كان كاذبا الا في القرآن الذي علم قومه علم اليقين انه من عند الله ولو انهم علموه كذابا لما صدقوا قرآنه فهل لعاقل أن يتصور أن رجلا عاش صادقا معروفا بالصدق والامانة يأتي قومه بخرافات كانوا يعلمونها ثم يسميها قرآناً ويدعي أنها سماوية ثم يصدقونه على ذلك ولا يهتدي الى تكذيبه الا قوم ضلوا وزحنوا حنونا بعد ثلاثة عشر قرنا ان هذا هو الضلال البعيد

اذاً فالذي يهتدي اليه الفكر السليم هو أن ما أورده هؤلاء الضلال في تكذيب قصة أهل الكهف قد جاء بفائدة معقولة ألا وهي انهم قد أوقفونا على حقائق كنا نجهلها من قبل منها ان الديانة المسيحية لم تظهر بمظهرها الذي ظهرت به الآن الا بعد موت المسيح بزمن قدروه بمقدار من السنين يبلغ عدده اربعمائة وسبعة وأربعين سنة وقد كان ظهورها من قبل بمظهر آخر لانهم قالوا ان الناس قبل ذلك الزمن كانوا يرون الصليب علامة العار . والاحتقار والشنار . فعلمنا من ذلك ان أمة المسيح الحقيقيين ما كانوا يعتقدون الصلب لانه لو كان حقيقيا لكان الصليب أحق بالاحترام في مبدإ الدين عند انتشار الحواريين في الاقطار فمن كان ذا عقل وافر ونظر ثاقب يعلم علم اليقين ان أمر الصليب ما هو الا من

المخترعات البسيطة وان القرآن ما كذبه رجماً بالغيب وما جاء في أمره الا بالحق ومن الحقائق المستفادة أيضاً أن الانجيل مبدل لدعواهم ان الاناجيل الصحيحة لم تأت بما جاء به القرآن فاثبتوا بذلك ان الانجيل لا ينبغي التصديق به لآن لاننا لا نعلم اي الاناجيل أصدق وهذه الحقيقة هي التي طال البحث عنها والاختلاف فيها بين الامتين وكلما برهن المسلمون على حصول التغيير والتبديل فيه صادمهم المسيحيون بأضاليلهم كما تشاهدناه في كتاب منار الحق وغيره من مدونات الاباطيل التي ابتدعوها لآن ومنها انهم اثبتوا ان اصل انتشار الديانة المسيحية بسرعة ما كان الا بسبب المخترعات البدعية لانهم ذكروا أن الذي اختلق قصة اهل الكهف ما قصد بها الاضلال ولكنه قصد بها تعضيد الديانة المسيحية ليظهر للناس انها انتشرت انتشارا سريعا بنعمة روح القدس كما قالوا فما كان حالهم فيما جاؤا به الا كحال الاحمق الذي كلما وقع الذباب على وجهه لطم نفسه ليذود الذباب عن وجهه حتى صدف الدم عينه ففقأها فانهم تعرضوا لتكذيب الانباء التي ذكروها لا يتوهم ضعفاء الايمان وسخفاء العقول ان مصدر الدين الاسلامي خراف كما زعموا فما تلوثت الا أثوابهم بما حملوا من قذورات مرضى قلوبهم ألا سحقا للقوم الظالمين

ألا يخجل هؤلاء الضلال وتسود وجوههم من الاتيان بهذه التمويهات الباطلة أيسوغ لهم قل أن يكذب كتابا اجمعت امة عظمى على أنه من عند الله وضرب امام جليل بالسياط في دولة المأمون ليعترف بأنه مخلوق وسجن طويلا وما تزحزح عن الحق ولا تحول عن اجماع الامة . ولقد جاء هؤلاء يكذبون على صدق دعواهم ببرهان كاذب وهو قولهم انهم يعلمون

أن تلك الانباء مكذوبة وأن قصة أهل الكهف مذكورة في كتب اليونانيين ويزعمون ان ذكرها في تلك الكتب دليل على أنها من الخرافات التي تشابه قصة القط والفار أليس هذا القول من البراهين الدالة على ان هؤلاء الضلال لا يميزون بين الحق والباطل ولا يعلمون ماهو البرهان لان تكذيبهم الكتب اليونانية محتاج الى براهين تؤيده وان لم توجد تلك البراهين كان باطلا وكانوا كأنهم يؤيدون الباطل بالباطل وهكذا يكون عمل المجانين الذين لا يخافون لومة لائم

ثم قال قام هؤلاء الضلال ينكرون كل نبأ جاء به القرآن من أنباء عيسى عليه السلام ولكنهم لم يذكروا سببا حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على نقل هذه الانباء وجعلها قرآنا فهل كان يدعو الناس لدين المسيح وقام يقوي اعتقادهم فيه بأنه اله او ابن اله حتى ذكر له معجزات لم تكن أم لاي سبب كان ذلك منه أليس لعاقل أن يقول ان هؤلاء الضلال لا عقل لهم اما علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما نهض تلك النهضة في ذلك الزمن سواء قلنا انه رسول أم لا الا لتكذيب ما اعتقده المسيحيون في عيسى عليه السلام وما كان يدعو الناس الا الى الله وحده فما كان الحامل له على الكذب والتغالي في شأن عيسى اذا لم يكن جاء بتلك المعجزات الصحيحة

ولقد فتحوا للمسلمين أبوابا لمجادلتهم في ديانتهم لأنه يسوغ الآن للمسلمين أن يقولوا لقد كنا نصدق بنبوة المسيح وبراءة أمه لشهادة القرآن لها واذ كذبتم القرآن فما علينا الا أن نلزمكم باثبات امر المسيح فانا نرى اليهود لا يؤمنون به وقد كانوا قبلكم في الدين وشهدوا وقائعه كما لا نقركم على صحة انجيل من الاناجيل التي تدعونها فان كل الاناجيل أمثال وما جاز

على أحد المثلين يجوز على الآخر

فيا أيها العقلاء ما لكم لا تعقلون . ويا أيها الفقهاء ما لكم تفقهون ويا أيها العوام ما لكم لا تبولون . على هذه الاذقان التي طالت واستطالت وجاء أربابها يكذب بعضهم البعض فطورا يقولون ليس في الانجيل تغيير ولا تبديل وتارة يقولون الاناجيل كلها مكذوبة الا أربعة وطورا يزعمون أن عيسى اله قادر وآخر ينكرون أنه تكلم في المهد وأنه ما جاء أمه بالرطب من نخلة يابسة الى غير قليل مما أنكروه وما كان انكاره أو اثباته يحدث ضررا ولا منفعة في الدين الاسلامي لانا سنتكلم على صحة هذا الدين القويم وصدق الرساله وثبوت نسبة القرآن الى الله بما يشفي الغليل . بعد استقصاء أقوال هؤلاء المضلين والله يقول الحق ويهدي السبيل

ثم قال لقد جاء القوم الفاسقون ينكرون كل نبأ غيبي من انباء القيامة وما كان ذلك منهم الا لانهم هم الكافرون وطالما نددوا على ما حكاه القرآن عن اصحاب مريم الذين قالوا لها (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) وقالوا ان بين موسى وبين مريم ما يزيد عن الف وخمسمائة سنة أما علموا بأن المفسرين قد جاؤا في معنى هذه الآية بما يداوي القلوب التي أمرضها الانحراف عن سبيل الرشاد وطالما نادي المسلمون على هؤلاء الجهلاء بما يدافع أوهامهم وظنونهم التي توهموها في معاني آيات القرآن وكأنما ينادون جمادا لا يعقل او اصما لا يسمع او جهولا لا يفقه او مصرا لا يرتدع عن المخالفة وان اقرب عهد بذلك النداء لصاحب (كتاب الفاصل . بين الحق والباطل) اذ قال لمجادلهم المدعو بحنا مقار ما نصه انك نسبت الينا اعتقاد ام المسيح اختا لهارون وموسى وما عندنا ريب في ان

ام المسيح انما هي بنة عمران ابن ماثان ابن صادق ن العارر الى ان وصل بنسبها الى ابراهيم عليه السلام

ثم قال واما مريم اخت موسى فهي ابنة عمران بن واهت ابن لاوي بن يعقوب ابن اسحاق . وما كان قول القوم لها يا اخت هارون كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم الا توبيخا كما قال المفسرون اما من طريق الاستهزاء والسخرية تشبيها لها بهارون النبي في صلاحه وعفته فكأنهم يقولون لها كنا نظنك كهارون فلماذا فعلت هذه الفعلة واما من طريق الشتم والسب بتشبيهها برجل شقي فاجر يسمى هارون معروفا بينهم بالاوصاف الذميمة فليعجب المتعجبون من كثرة تكرار التعريض بهذه الآية في كل ماجيء به هؤلاء الضلال من الكتب لاهانة القرآن مع ما سمعوه وعلموه المرة بعد المرة من تلك الردود وما ذكره المفسرون

على انهم لو كانوا قوما عقلاء لم تعرضوا لهذا الامر الذي لا يتردد اليه بعد البيان الا اهل المكابرة والجدل . ولو انهم كانوا الا يظنون بالله ظن السوء لما ستبعدوا على قدرة الله شيئا اذ مقتضى الظن الحسن من السامع لتلك الآية اذا لم يكن ممن يعلمون ان هناك عمران غير عمران موسى كان الواجب عليه ان يقول ان قدرة الله صالحة لان تطيل عمر عمران أبي موسى وزوجته الى امد بعيد حتى تأتي بمريم في آخر عمرها ثم تعيش مريم عذراء حتى تأتي بالمسيح سيا وقد كان الغالب على القدماء طول المعيشة الى الف سنة فما فوق

فهل من جهل فوق جهل هؤلاء المجادلين الذين لا يعقلون ولا يحسنون الظنون بالله ولقد طال جدلهم بعد ما تبين لهم من هي مريم ومن ابوها

باقوال كثير من الحاربين . وما كانوا خجلين ولا مستسلمين والله لا يهدي القوم الظالمين

وان من عجائب انهم ذكروا قاعدة يجب اتباعها في تصديق الانباء وتكذيبها وهي انه يلزم البحث عن صفات كل ناقل لنبأ وعن خلاله وعن صحة حاله وضبط اقواله . ثم شهدوا على اخوانهم المسيحيين الذين كانوا اقرب عهد منهم بالمسيح انهم كانوا محرفين ومبتدعين وانهم افتروا اناجيل كاذبة كانت دعامة لاعتقادات فاسدة وبدع خرافية . وكفى بهذه الشهادة دليلا على بطلان دينهم الآن . لاننا لو جئنا نقابل بين الامتين أعني امة المسيح عليه السلام وامة محمد صلى الله عليه وسلم لوجدنا امة المسيح بأجمعها لا تعادل في الامانة وصحة النقل رجلا واحدا مثل الامام البخاري الذي سافر شهوراً لنقل حديث نبوي عن رجل اشتهر أنه ذو المام بذلك الحديث فلما وافاه وجده يحمل فولا يحركه بيده ليسمع حماره المنطلق حركة الفول فيأتيه ليأكل فيتمكن من القبض عليه فرجع من طريقه قائلا انه لمتحايل لا يسوغ للناقل ان يثق به فهل من عاقل له ادنى احساس يميز به بين الغث والسمين فيتأمل حال هؤلاء الضلال الذين عابوا محمدا صلى الله عليه وسلم وعابوا دينه وعابوا كل كتاب وردت فيه انباء توافق انباء القرآن . من مبدا الدنيا الى الآن . وجاؤا مكذبين لكل نبأ وكلما اوردوا نبأ قالوا انه عن قوم محرفين مبتدعين فليت شعري ما حال هؤلاء القوم وما خصالهم وما مزاياهم في النوع الانساني اظن ان كل عاقل لا يجد في نفسه ريبا من انهم اشر الناس حالا ومآلا بمقتضى القاعدة التي ذكروها لاننا ان تتبعنا سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لما وجدنا له في حسن اخلاقه

معادلاً في الوجود وقد عابوه اذاً فما عابوا من الامم السابقة من المؤرخين في مؤلفهم الا قوما صالحين

وما كان لنا ان نثق بأى نبأ من انبائهم سواء كانت من التوراة او الانجيل أو غيرهما لسابق شهادتهم على اسلافهم وشهادة الله سبحانه وتعالى على اهل الكتاب وشهادة موسى عليه السلام عليهم

وما كان لنا أن نسيء الظن بالمؤرخين ولا بأنبائهم الا اذا تحققنا انهم فلاسفة مضلون ممن يتصنعون الاقوال . لافساد الاحوال . اظنهم انهم لايحاسبون عليها وانكارهم حقيقة قوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ولقد اقتفى هؤلاء الضلال آثار اسلافهم وسنة امثالهم وقد كان من تلبيسهم الحق بالباطل انهم يستشهدون بالقرآن على صحة حال المسيح من طريق ثم يكذبونه من طريق آخر (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)

ومن العجب انهم ذكروا أن نبأ مريم مع النخلة ورد في كتب كثيرة غير القرآن وما اعتبروها صادقة مع كثرتها وشهرتها فكيف ذا يسوغ لهم أن يلزمونا بتصديق قليل اقوال متصنعة لاشهرة لها جاؤا بها شاهدا على التكذيب أليس هذا جهلا مهلكا وجدلا باطلا ومحض تحامل لايعتد به ان هذا لهو الضلال البعيد

ثم كان من اقوالهم التي استدلوا بها على تكذيب تلك الكتب وتكذيب القرآن ان يوحنا في اصحاح ٢ وآية ١١ قال ان المسيح لم يأت بمعجزة في طفوليته ولم يأت بمعجزة الا بعد ان بلغ من العمر ثلاثين سنة الى آخر ماقالوه وهذا القول وان كان صادرا عن جهل من هؤلاء القوم

بقول يوحنا لأن مراده بالمعجزة كل عمل جاء مثبتاً لرسالته فكان آية من الله لتأييده ونصرته فلذلك لم يعتبر ما كان منه قبل التبشير والانذار وتبليغ دعوة الله معجزة . ولكنه نفى نسبة الالوهية اليه وكذبهم ليصافي دعواهم أنه كان ذاتاً قديمة قبل حلوله في بطن مريم فليتأمل المتأملون في جبل هؤلاء الانعام التي كما جئتها بما يحفظ عليها الحياة نطحتك بلا قرون (ان هم الا كالانعام بل هم أضل)

ولقد زعم القوم أن نفي الصلب عن المسيح لا موضع له من الصدق واستشهدوا بأن الحواريين كانوا شهودا عند الصلب وانهم في ذلك القول لكاذبون لأن الانجيل يقول انه ماشهده عند الصلب الا امرأتان وتلميذ واحد كان يحبه وما كان ذلك التلميذ من الرسل الذين زعموا أنهم تنبؤوا بصلبه من قبل فلم نعلم من الصادق في أنبائه منهم. فإن كان الانجيل صدقاً فقد كذبوه كعاداتهم وبتكذيبه يكونون كفاراً ولا ندري بأي حال من الاحوال يمتنع الكذب اذا كنا قد علمنا علم اليقين أن المسيح جاء اليهود بآيات بينات وما صدقوه وموسى جاء بما جاء به وكذبوه فكأنما لم يجد الله في اسرائيل الا الكفران بنعمه وتكذيب رسله والله لايهدي القوم الظالمين وكأنهم هم الذين عناهم بقوله لابراهيم عليه السلام (لاينال عهدي الظالمين) حينما قال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وعلى هذا يكون كل مكذب مصر على تكذيبه لأي نبأ من الانباء اسرائيلي الاصل ولذلك كان من الحكمة حديث تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس

وأما انكار هؤلاء السفهاء تبشير الانجيل بنبوة محمد صلى الله عليه

وسلم وتحويلهم لفظ البار قليط أو الفار قليط الى معنى غير مدلوله الحقيقي وقولهم ان العرب ربما غلطوا وتشابه هذا اللفظ عليهم الى آخر ما زعموا فما ذلك الا من باب المغالطة والمكابرة في الجدل وانه لهو التحريف الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) ولكن كل ذي ذوق سليم يفهم مواقع الخطاب لا يلتبس عليه الامر بتمويهات هؤلاء الضلال اذ لو لم يكن ذلك القول صادقا لما نزل به القرآن على أمة كان الكثير منهم مسيحيين ويهودا ولئن كان القرآن مفتري لخجل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك القول الذي افتراه على كتابين واهلها شهود يسمعون وما كان اصرارهم على الانكار الا كانكار عبدة الاوثان الوهية الحق سبحانه وتعالى وعبدة الفيل مثلا مع وضوح آياته وبراهين الوهيته وكانكار اليهود نبوة المسيح وكانكار الفلاسفة كرامات الاولياء وما قصد هؤلاء الضلال بذلك الجحود الا تكذيب الكتاب وتكذيب الذي أنزل عليه ولو أن القرآن لم يأت بذلك لما أنكروه بل كانوا يعترفون به اعترافا كاعتراف اليهود بالمسيح المبشر به في التوراة ولكنهم يقولون انه ليس هو هذا بل هو مسيح لم يأت زمنه وكذلك كان قول المسيحيين لو لم يأت القرآن بما قال وما ذلك الا لانهم قوم لا يعقلون اذ التبشير بالانبياء قبل ظهورهم لم يكن شرطا في صدق النبوة ولا في صحة التنزيل حتى يلجئهم العناد الى جحود الواضح البين (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

ثم انه من الجهل المهلك انكارهم موت المسيح بعد نزوله في آخر الزمن لزعمهم أنه اله لا يموت وما مات عند الصلب الا جسده البشري وهذا هو الخراف الذي حاكي حديث أم عمرو اذ قال لها الشاعر (حديث

خرافة يا أم عمرو) لانهم لو أصروا على أن المسيح كان الهًا ونزل لاجل أن يصلب ويخلص عباده من الخطيئة تقول لهم ماسبب نزوله مرة أخرى وبأي حال ينزل اذا كان جسده الذي نشأ فيه النشأة الاولى قد فنى كما تفني الاجساد فان قالوا ينزل بجسد بشري غير الجسد الاول نقول لابد له من الفناء بعد نزوله وكذلك ان كان الجسد الاول هو الذي صعد به الى السماء لان كل جسد بشري لابد من فنائه وان طال أمده اذ النشأة الآخرة لا تسع الاجرام الاولى الا بعد تبديلها بالفناء واعادتها نشأة توافق الشؤون التي تكون عليها بعد الاعادة . وان قالوا انه كان جسدا لا كالاجساد نقول لماذا تحكمون بأنه مات بالصلب والقتل وتخالفون القرآن الحكيم وان احتجوا بما نقلوه عن رؤيا يوحنا من قول المسيح في الاصحاح الاول آية ١٧ ١٨ (انا هو الاول والآخر والحي وكنت ميتا وها أنا حي الى أبد الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت) كما زعموا نقول انكم اذا لفي ضلال مبين . لان سياق هذا القول يقضي بأنها رؤيا شيطانية خرافية لا ينبغي أن يعارض كتاب حكيم منزل بمثلها اذ قوله انا الاول والآخر ينافي انه ابن مريم وانه يموت بالصلب وان قلتم انه كان ذاتا قديمة نطالبكم بالبرهان العقلي فلا تجدون له سبيلا وان قلتم انه هو الآخر لانه سيعود كرة أخرى نقول لقد أحيي به الله أمواتا وأماتهم بعد ما أحياهم اذا فليس عوده وموته بعد العود ببعيد ولا يخفى أن قوله كنت ميتا وها انا حي الى أبد الآبدين دليل على أنه ليس باله وليس بقاؤه في الأبد الا كبقي الارواح الباقية اذ لا فناء في القيامة ولا فيما بعدها وأما قوله ولي مفاتيح الهاوية والموت فهو قول عجيب لانا نعلم أنه بعث رحمة فلماذا لم يكن له مفاتيح الجنة

وهل لموت مفاتيح . أو المعنى أن الموت بيده لا بيد عزرائيل اذاً يسأل فمن الذى اماته وقد كان يحيي الموتى ولله در القائل

عجباً لعيسى كيف مات وطالما قد كان ينشرنا من الاجداث
ماذاك الا كي يكون مبرأ مما رمته به يد الاحداث

يريد أن موته حجة له على قومه الذين زعموه اله فبرأه الله بالموت مما قالوا ليعلموا ان الذي كان يحيي ويميت هو الحي الذي لا يموت وثم أن يقول ولمن تكون الهاوية وقد صلب نفسه لتخليص النوع الانساني اذاً فلا هاوية (كلا) ان القوم لفي شك مريب وما ذلك الا لجهلهم بعظمة الالوهية وانا والله لو قارنا بين عباد الوثن والفيلة وغيرهم من الفرق الضالة وبين المسيحيين لوجدنا المسيحيين اجهل جميع الفرق الهالكة بمرتبة الالوهية لان جميع الفرق انكروا وجود الاله فكانوا كالاعمى الذي لا يبصر شيأ فليس لاحد أن يقول له تعالى حتى أريك هذا الشيء مع علمه بأنه فاقد البصر واما المسيحيون فمنهم المبصرون ولكنهم كالمتعاطي شيئاً من الحشيش اذ يختلف تصوره باختلاف مقادير ما تعاطاه من المخدرات فتارة يرى الجمل جدياً وتارة يرى الجدي جملا وذلك هو الجهل المبين فلو انهم كانوا عمياً لكان خيراً لهم من الخزي والخجل يوم القيامة اذا جمعهم الله سبحانه وتعالى ثم أتى بذلك النبي الكريم شهيداً عليهم وقال له أأنت قلت لهم لا تقوم اتخذوني اله فيتبرأ اذ ذاك منهم ويقال للزبانية سوقوا المجرمين الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها ادخلوها خزايا فبئس مثوى المتكبرين . ومن تبعهم من الجهلاء الضالين وان من الخزي الذي يحاكي خزي الدنيا قولهم ان قوله تعالى (كل

نفس ذائقة الموت) مبني على قصة أخنوخ وايليا وأما موت المسيح بعد رجوعه فمنشؤه جهل أصحاب البدع الى آخر ما جاؤا به من الهزي

ولقدأصبح حال هؤلاء الضلال في هذا الهزي والهجس كحال مجنونة أو عجوز مخرفة ردت الى ارذل العمر فأضحت لا تعلم بعد العلم شيئاً لانه من المعلوم الضروري أن كل ما سوى الله لا بد من موته فما معنى لتعليق الآية الشريفة على قصة أخنوخ وايليا وما معني تعليق الآيات القرآنية التي تنزلت من حكيم خبير يعلم ما في السموات وما في الارض على أنباء المتقدمين . فهل اذا جاء عاقل بنبأ صادق ببيان واضح ثم فصله تفصيلا لانه أبصره ووعاه ينبغي لمن سمع بذلك النبأ من قوم ظن انهم من الكاذبين أن يقول له انك كاذب لأني سمعته من فلان الكاذب كلا ان الظالمين لفي ضلال مبين وويل ثم ويل لمن لايخاف ولا يستحي

ومن هذا القبيل انكارهم قصة خلق آدم كأنهم كانوا شهداء اذ خلقه الله وقد زعموا أن منشأها أقوال مرقيون وزعموا انه يوناني من أصحاب البدع فكأن كل مؤرخ عندهم مبتدع ولقد أصبحوا ومالهم من شبيه فيما يقولون الا الفساق الذين يظنون كل ذات زينة باغية خاطئة ولقد جاؤا في هذ المؤلف من فحش القول والغيبة وتجريح الاعراض بمالم يسبقهم به شيطان مريد ولا سفيه من السفهاء . ولا اي معتد من أهل البغي والعدوان وسيوفيهم الله من الخزي والخذلان في الدنيا ومن العذاب في النار نصيبهم غير منقوص

وذلك لان كل جريء يتجارى على انكار مالم يحط به علما لاجزاء له الا الخزي والخذلان والعذاب المهين . وانه لمن القواعد الثابتة عند العقلاء أنه

لا يجوز إنكار ما يجيء به شارعنا قول من الائمة والسادة الصحابة
وما جاء هؤلاء الضلال من قول المدعي وذلك من كلمات الكتب السماوية مما
يعارض الاحاديث التي اوردوها في بيان ما جاؤوا بما يؤيد صحتها لأن
الاقوال التي أتوا بها لنسخها القرآن لم تكن مما رسموا حقيقة ولكنها
أقوال منقولة عن الاسرائيلية ممن يعلمون أن لا نبي ولا رسل بعد خاتم
النبيين الارض الا بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين والمرسلين
ولا نبي في قصة خلق آدم ما يكذب هذه الاحاديث التي أوردها هؤلاء
الضلال وما زعم زاعم أن الله خلق آدم من هذه غير آدم من قبل ثم في
الوجهة هؤلاء المنكرين في انكارهم مع أن ارباب العقول البشرية ... ومنها
لاختلاف أخلاق ... "نوع البشري" ... اخلاق ... وجوده
الارضية التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله (والله أنبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة أخرى) فلو أن خلق هذا النوع كان من قطعة واحدة من
الارض لعينها الله سبحانه وتعالى ووصفها بذكر تعيينه وكان محمد القول لي
اذا فان وجهة المنكر لا تقوم على من يعلم أو على من ادعى به بينة الا إذا صح ذلك
المنكر على بينة من العلم فوق ذلك المدعي وما جاء به من بعد محمد صلى الله
عليه وسلم يكذبه فيما جاء به من تلك الانباء فلا يكون تكذيبه لازما ولا انكار
عليه من هؤلاء المنكرين الا ضربا من ضروب الطغيان والسماحة ولا يكون
الاحتجاج على تكذيبه بمراجعة أقواله أقوال المتقدمين وان كانوا متقدمين لا
من قبيل السفسطة والزندقة الحديثة فهؤلاء كانوا عقلاء لا تسعهم قوله تعالى (ولا
تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)

ولو أنهم عقلوا حكمة تسلط عزرائيل على الارض دون غيره من الملائكة لما ضلوا عن سبيل التصديق واتبعوا مناهج الجحود والانكار فما كان الذي كان من الملائكة قبله الا كما كان في عرض الامانة التي اشار الله اليها قوله (انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) يشير سبحانه وتعالى الى انه لم يوجد من له قابلية واستعداد حمل الامانة غير الانسان وكذلك لم يكن في الملائكة من له قابلية التسلط على النوع البشري غير عزرائيل كما انه لم يكن في الناس من له استعداد وقابلية لانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والاقدام على هذه القبائح المهلكة غير القاسية قلوبهم ذوي الغلظة والفظاظة الذين طبع الله على قلوبهم وأولئك هم وقود النار

واما كلام هؤلاء الضالين على الاشياء الغيبية التي ستكون بعد الموت فما هو الا اقوال مستهجنة ما صدرت الا عن قرائح لم يكن لها في طريق البحث شأن لان كل ذي عقل سليم يعلم علم اليقين انه ما من رسول ولا نبي الا وقام يحذر قومه أهوال القيمة وكل يقول ان يوم القيمة هو يوم لا دانة ويوم البعث والنشور ويوم الحساب ويوم العقاب ويوم الفزع الاكبر . ولقد اجمع الرسل وجميع العقلاء على ان الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مثالا للآخرة بمعنى ان حال اهلها كحال النائم الذي يشاهد كل ما رآه في رؤياه بعد اليقظة وكما انه لا مناسبة بين الحالين الا في ادراك الحس المعنوي فكذلك يكون الامر هنالك بمعنى انه كما ان طريق الشرع التي هي الدين ذات ضيق واعتدال فيم لا يميل سيرها الا لاستقباء الاستمرار وانها لهي الصراط المستقيم ونهايته الكمال والوقار ورضوان القلوب فكذلك جعل الله في

القيامة صراطا على متن جهنم لا يسلكه بأمان واطمئنان الا من كان مستقيما في الدنيا واما الذي كان معوجا فتكون عثراته بمقدار اعوجاجه . وكذلك الموازين فقد جعل الله سبحانه وتعالى ميزانا شرعيا يتميز فيه حال اهل الثبات واليقين من احوال اهل الطيش والغرور ألا وهو الآداب الكمالية فكذلك الموازين يوم القيامة وكما ان الراجح لا يتميز من الطائش في الدنيا الا بثقل احدي كفتي الميزان وطيش الاخري فهكذا يكون الوزن يوم القيامة غير انها تختلف في الحقائق لاختلاف النشأتين وكان الله على كل شيء مقتدرا .

وليس التصديق والتكذيب في أنباء الآخرة معلقا على مطابقة المعقول للمقول حتى يقال ان انباء القرآن ما كانت الا تابعة لخرافات المخرفين التي لا يتصورها العقل كما زعموا . كلا . ولكن صحة التصديق لتلك الانباء تابعة لصحة صدق الرسالة ليس الا لانها أنباء غيبية لا يؤمن عليها الا من ثبتت أمانته وكان موثوقا به في جميع اقواله واعماله ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم يدعي الرسالة بين قومه كما ادعاها عيسى وموسى والنبيون من قبله وصدقوه وصدقه من بعدهم المتابعون فلو اننا فتحنا على النبوة أبواب الجدل الآن على النبيين لما كان لاسحاق عليه السلام اليوم من قدم ثابت في طريقها . وكذلك يعقوب وكثير من الرسل الذين لم تكن لهم امم موجودة الى الآن ولكان محمد صلى الله عليه وسلم هو اثبت الرسل قدما في طريق الاثبات العقلي والنقلي ومن انكر رسالته فقد انكر كل رسالة لكل رسول ومتي صح انه لا قدرة لمنكر على اقامة برهان على تكذيبه الا من طريق المكابرة والمغالطة فلا يكون الشك في صدق أنبائه الغيبية الا مرضا مهلكا

وربما وجده استعداد المنكر الشقي الذي طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره وما كان لعاقل أن يتصور في حال من كان هذا حاله غير الجنون وما كان لنا أن نواجههم الا بما امر الله به نبيه في قوله (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور)

وأما قولهم ان الآيات الواردة في القرآن الحكيم في شأن الميزان مأخوذة من كتاب يقال له عهد ابراهيم وانه منسوب لاهل البدع وأنه موضوع الى آخر ما زعموا فما هو الا قول قوم باغين يضاهون به أقوال الفلاسفة الذين ينكرون البعث والنشور وانهم والله لكاذبون

وان المطلع البصير ليعلم علم اليقين من مطالعة أقوال هؤلاء الضلال أن مسابقتهم بذكر أسماء الكتب التي وردت فيها أنباء الآخرة من كتب المتقدمين ما هي الا دفعا لما توهموه من أنهم لو انكروا أنباء القرآن لقام من المسلمين من يقول لهم ان الكتب القديمة مشحونة بكل ما تكذبونه فلا يجدون اذ ذاك مخلصا فتسارعوا الى تكذيبها ودعوي أنها مخترعة مبتدعة وما هي الا أقوال رسل كرام وأنبياء صادقين فما كان مثلهم في تلك المسارعة الا كمثل جريء زنديق اتهم في تهمة صادقة قد شهد واقعتها شهود عدول فخاف صولة القضاء وقبول شهادتهم فقام يختصمهم قبل التقاضي وما الباطل ليغني من الحق شيئا ولكن اهل الافك في ضلال مبين

وما كان لعاقل ان يصغي لسفيه مضلال كلما ألقي اليه قول قال انه مكذوب رجما بالغيب فلو أننا طالبنا هؤلاء السفهاء ببرهان التكذيب لما وجدوا سبيلا الا ما هم عليه من السفسطة والزندقة والمكابرة من قولهم ان المتقدمين كانوا مبتدعين وان العاقل ليقول لمن كان هذا قوله اننا لو فرضنا

أن كل رب الكتب كانوا مبتدعين ولا يستحيل على مبتدع أن يأتي بأقوال صادقة فيما ابتدعه يقوم بها اعوجاج ما ابتدعه في اعين الطالبين اذ لا حرج على أي مبتدع في أن يخلط الصادق من قوله بالمكذوب فيما يبتدعه ومتى كان الامر كذلك لا يكون لسعيه أن يكتب صادقا في أنباء الموافقة المبتدع لها في بعض ما جاء به ان كان المبتدع متأخرا أو موافقاته ان كان المبتدع هو المتقدم لانه قررنا من قبل أن لانبياء هم مصدر تلك الانباء الغيبية فيكون منكرها على محمد صلى الله عليه وسلم بين أمرين اما أن يكون جاحدا لجميع الانباء الاخروية فيكون من الكافرين وقد فرغ ربنا من تحذيرهم وتبشيرهم من عهد ما فقلت أبواب الرسالة والنبوة وقال لنبيه (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يوم يقال لهم ما حكاه قوله (هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) واما ان يكون عالما بصدق أنباء الآخرة مؤمنا بها غير أنه من المكذبين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا لزم اذا باكراهه على التصديق لان الاعشى لا يجسر على معاناة الضوء الشديد وكذلك مريض القلب لا يقوى على تحمل قوة اليقين الثابت الذي لا يقوى عليه الا قلوب الاتقياء الذين ادركتهم العناية وأمدهم الله بانوار التوفيق والهداية

وهل من الادب أن يواجه القرآن الذي هو وجهة كل مهتد ودليل كل حائر الى سبل الرشاد بمثل ما واجهه به هؤلاء السفهاء من المواجهة الوحشية اذ من الادب أن يقف المؤلف الذي أراد أن يلبس الحق بالباطل عند حدود الجدل المعلومة عند أهلها التي منها اقناع الخصم باثبات الدعوى بالبراهين القاطعة قبل الحكم . وهؤلاء القوم قد حكموا بأن القرآن كاذب

الانبياء من قبل أن يثبتوا أنه من عند عبد الله ومحمد هو القرآن ومن جاء به والذين آمنوا معه كانوا يقولون هو من عند الله فعلى المكذب الآن الذي يدعي أنه من عند غير الله أن يأتي بالبراهين التي تؤيد دعواه لا من طريق تكذيب الانبياء ولكن من طريق أخرى يعتبرها العقلاء من الطرق المعتمدة كأن يأتي بنبأ من طريق الرسالة التي كانت قبل القرآن يكذبه لأن عيسى عليه السلام أنبأ كثيرا بما يكون عن شيء يكون في امته وقد كانت وكذلك موسى ولقد جاء بعدهم محمد صلى الله عليه وسلم بما لم يأت به لا علما ولا عملا ولا آدابا وان نبأه والله لعظيم كما هو معلوم فكان الاولى للرسل أن يحذروا أممهم من اتباعه ان كان كاذبا بأن يذكروا لهم اسمه ووصفه وشأنه الذي جاء به ثم يقولون ان ادركتم هذا فلا تتبعوه لان هذا هو الشأن الذي يعتد به ويستحق ان يحذر كل نبي امته منه ان كان مكذوبا او يبشر به ان كان صادقا وقد جئتهم بأدلة التبشير فأصروا على انكارها . فما لنا ان نصغي لاقوالهم مع ما هم عليه من مكابرة ولا سيما والادلة جاءتنا آيات بينات من التوراة والانجيل مصرحات بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن ودلالات على انهما كاذبان

والا فتكذيب الانبياء مع صدق الرسالة لا يكون الا من فاقد التمييز وفاسد التصور واما تعرضهم لما وقع في زمن المأمون بالقول المجمل الذي جاؤا به من قبيل التمويه فليس من الجدل في شيء لان المأمون وان كان قد تفلسف واطلع على كتب وحدة الذهن لانه ابن مقسوداء ولكنه لم يقل أن محمدا افترى القرآن بل قال انه مخلوق لانه يتلى بحروف واصوات مع أن كلام الله ليس بحروف واصوات فاستدل بذلك على انه مخلوق لله كباقي المخلوقات

انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا كان اعتقاده في جميع الكتب المنزلة واعتقاد امثاله . وربما كان طبيعيا كباقي الفلاسفة الذين اتبعوا اهواءهم فانكروا كل شيء آمن به المؤمنون . ولقد قام الامام ابن حنبل في ذلك الوقت مقاوما له مع غلبة سلطانه عليه فمات هذا بكرامة تقواه وحسن ايمانه ومات ذاك بجحوده وقبح طغيانه . ان لم تكن ادركته العناية الربانية بالتوبة قبل ان يموت وما ربك بظلام للعبيد وليس هذا العمل الذي جاء به المأمون بقادح في صدق الرسالة حتي يكون لهؤلاء السفهاء التعريض بذكره ضمن أضاليلهم اذ مبدع الاكوان جل شأنه وتقدست أسماؤه لم يأت بوقت من الاوقات من مبدإ الدنيا لم يكن فيه المكذبون ولا يأتي بذلك حتى تنتهي آجالها ولو كان الاتيان بذلك داخلا في النظام الابداعي لكان الاولى به اوقات النبيين ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الاضداد متقابلة في كل زمن من انوع الانساني وغيره وذلك لان قوام الحياة ماهو الا العناصر المتضادة فمن أين يجيء الاتفاق على شأن من الشؤن في أي زمن كان فلذلك نرى في كل زمن ما يكفيه من كل فريق اذا فلا يكون قرب عهد المأمون بأيام الرسالة قدحا في صدقها فلقد جاء اليزيد بن معاوية بأقبح مما جاء به المأمون وجاء الحجاج الثقفي بما هو شر منها ولقد عبد قوم موسى العجل في زمنه ولقد فعل اليهود ما فعلوه بعيسي مع مشاهدة الآيات البينات فهل كان هذا كله قادحا في صدق النبيين . كلا ان هذا لهو الضلال المبين . ألا يرى العقلاء منكم ان سفهاء الفلاسفة الآن قد قاموا منكرين لكل ما صدق به المؤمنون من الجن والملائكة ولكثير من أنباء القرآن ولكرامات الاولياء ومستلين سيوف الالسنة والسفه على المتوسلين الى الله بهم وذلك لما بينهم و بينهم من العداوة

والبغضاء التي أضرمت نيران الحقد والحسد في قلوبهم لان الفلاسفة ما تعالت هممهم وتطاولت أفكارهم الا الى حد لم يبلغوا فيه غير عقبات الغرور والطغيان التي وقفوا عندها وقد حال بينهم وبين معارج السعداء الطيش واتباع الهوى فما كان لهم من حيلة يدفعون بها عن أنفسهم تلك الحرارة الا انكار حال القوم وكراماتهم والخوض في أعراضهم بما لا يليق بهم لانه لا يسلك طريق الفلسفة الا كل لئيم متمرد. ولا ينهج مع الاستقامة منهج الاتقياء الا كل كريم متجرد. فما كان مثل الفريقين الا كالاعمى والاصم والبصير والسميع (هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) وذلك لان الكرام اكرمهم الله بنور الايمان فتابعوا الرسل وفازوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة. واما اللئام فرضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها واصبحوا عن آيات الله غافلين فلو ان السفيهة الشوهاء ذات البذاءة وفحش القول أحست بمنزلتها عند الله وفي قلوب أهل النظر من ارباب البصائر لألقت بنفسها من شاهق جبل أو من فوق منار مهجور ولكن الله سبحانه وتعالى ألقى عليها استار الافتتان والغرور. وسلط عليها من الاغبياء من يزين لها جهلها وعماها ليقضي الله أمرا كان مفعولا

واذا كان الامر كما ذكرنا فلا حاجة الى الكلام على صدق الانباء الغيبية الآن لان ثبوت صدقها متوقف على ثبوت الرسالة كما ذكرنا واقد أجلنا الكلام على الدين المحمدي الى الفراغ من ازالة هذه القذورات التي ألقاها غلمان القاديين في طريق الموحدين. والله على كل شيء وكيل

وما كان لذلك التأجيل من سبب الا ما علمتموه من أن مصادر ثقات الاسلام هو الوحي السماوي ولا تثبت امانة متلقي ذلك الوحي الا اذا

ثبتت رسالته وما انتصب هؤلاء الضلال الا لنفي الرسالة المحمدية وانها لثابتة الاساس قوية البنيان . وقوية الاركان . بما ذكرناه وماسنذكره بعد . فانتظروا انا منتظرون

ثم تأوه الرجل كثيرا واظهر الاسف على حال الامة طويلا وقال اننا والله لنأسف على حال اقوام لا ينبغي أن يؤسف عليهم لانهم قوم قد تخلوا عن حلل السكينة والوقار وتحلوا بملابس الطيش والافتتان وما منهم الا وهو لاه عن حاله ومآله بما لا يتلهي به الا كل مغرور ومفتون فاصبحوا عرضة لسهام الباغين . ومطمح انظار المعتدين . وصاروا لا يعتد بهم فكأنهم ماخلقوا الا أنعاما في صورة بشرية ولو انهم كانوا رجالا مؤمنين . واتقياء متدينين . لما طمع هؤلاء السفهاء في اضلالهم وان في قوله تبارك وتعالى (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) لعبرة لكل معتبر اذ لولا المناسبة التي بين الزاني والزانية في دناءة الاخلاق ما اجتمعا وهكذا حال سفهاء أمتنا وأراذلها مع هؤلاء الضلال فلو ان المناسبة بينهم في الاخلاق مفقودة لما جمعتهم المحافل الزينية . والحفلات الجدلية . سيأوثم حكم عليهم الحق سبحانه وتعالى بالنجاسة في قوله (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) ولا يخالط النجس الا النجس وان لم يكن نجسا فلا بد ان ينجس لان مجاور الشيء يعطي حكمه اذا فما كان لنا أن نأسف ولا ان نحزن على سفهاء أمتنا الذين ضلوا عن سواء السبيل بشهودهم مشاهد هؤلاء السفهاء التي هي اندية اهل النار . ولا يشهدها الا الكفار او الفجار ومن كان هذا حاله لا يبكي عليه وسواء موته وحياته ولله در القائل

اذا شئت ان تبكي فقيداً من الورى * وتندبه ندبا بدمع معندم

فلا تبكين الا على فقد عالم * يبالغ في التعليم للمتعلم
وفقد امام عادل صان ملكه * بأنوار هدى الله لا بالتحكم
وفقد ولي صادق العهد والوفا * مطيع لرب العالمين معظم
وفقد كريم لايمل من العطا * ينفس عسر الفقر عن كل معدم
وفقد أخ يفديك حيا بنفسه * ويقصيك بالمجهود عن كل مؤلم
وفقد شجاع صادق في جهاده * وقد رفعت اعلامه للتقدم
كذا زوجة ترعى أمانة بعلها * وان غاب عنها غالب العمر أو عمي
وفقد تقي لا يزحزح قلبه * عن الرشد اغراء الغوي المهمهم
وفقد الذي وافى الاله موحدا * وما ظن ماظنت عبيد ابن مريم
فهم تسعة يبكى عليهم وغيرهم * (الى حيث القت رحلها أم قشعم)

ثم قال والله لولا سعة جاه محمد صلى الله عليه وسلم وحلم ربه وكرامته عليه لفعل بسفهاء امته مافعله ببني اسرائيل الذين قال لهم كونوا قردة خاسئين ثم رفع يديه الى السماء قائلا اللهم افعل بنا ما انت أهله ولا تفعل بنا يامولانا مانحن اهله فانك اهل التقوى واهل المغفرة ثم قال لقد زعم السفهاء من القوم الظالمين أن كلام الله سبحانه وتعالى الذي حكاه عن المسيح اذ نادى أمه بعد ماوضعته (أن لاتحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) ماهو الا مأخوذ من كلام اهل البدع من المسيحيين وما انتحلوه الا من كتاب بده كما زعموا وقالوا ان الاناجيل الصحيحة لم تأت بذلك النبأ وان الحواريين الذين كانوا يتكلمون عن الوحي ما تفوهوا بذلك الى آخر ماقالوا

واني لاقول ان القوم والله لفي ضلال مبين فانهم ما وجهوا مانشأ

عن جهالتهم من الاعتراض الا على الله فكأنهم يقولون له لماذا ذكرت هذا النبأ في القرآن ولم تذكره في الانجيل هذا اذا فرضنا صدق دعواهم أن الانجيل الصحيح هو الذي لم يذكر فيه ذلك النبأ وما كان لعاقل ان يثق بأقوال قوم امثالهم قاموا يلبسون الحق بالباطل ويخوضون في آيات الله بغير حق بل الذي تتسابق اليه افهام العقلاء أن كل كتاب مقتبسه هؤلاء الضلال هو الحق وكلما ألغوه أو ألغوه هو الباطل واما احتجاجهم بأن الحواريين لم يذكروا شيئاً من ذلك فما هو الا ضرب من ضروب التغرير والتضليل لانهم ما اثبتوا نزول الوحي على الحواريين بوجه من وجوه الاثبات ولن يجدوا لاثباته طريقا من الطرق الجدلية على ان الحواريين ما شهدوا مولد عيسى عليه السلام حتى يقال ان سكوتهم عن ذكر مولده وما جاء فيه من خوارق العادات دليل على عدم وقوعها . ولو فرضنا صحة نزول الوحي على الحواريين كما زعموا فلا يكون سكوته عن ذكر ما وقع في ولادته دليلا على تكذيب القرآن لان الوحي ما كان خاصا بذكر القصص والانباء بل كان يأتي للارشاد الى طريق الاستقامة وما جاء القرآن بذكر ما كان من امر المسيح الا ليعلم المسيحيون الذي ظنوه الها أن المسلمين أعلم بحاله منهم فما كان لسفيه مفتون ان يحتج على تكذيب القرآن الحكيم بما لم يكن ثابت الصدق والصحة اذ العقلاء الآن لا يستطيعون ان يميزوا صحيح الاناجيل من فاسدها الا بموافقة القرآن للصحيح منها مع مساعدة التواتر والشهرة واني لا ادري سببا لانكار هؤلاء السفهاء عناية الله بمريم عند احتياجها للغذاء في وقت لم يكن عندها فيه ما تقتات به وقد كان يأتيها رزقها من حيث لا تحتسب قبل ولادة هذا

النبي الكريم من عند ربها بلا واسطة وهي قوية قادرة على التكسب فكيف بها وهي في حالة احتياج شديد ألا سحقاً للقوم الظالمين

ولقد كان آخر ماجاء به هؤلاء الضلال في هذا الفصل أن قالوا ان حديث المعراج الذي ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى آدم و باقي الرسل هو مأخوذ من الكتاب الموضوع المسمى بعهد ابراهيم الى آخر ماجاؤا به من قصة ابراهيم عليه السلام وقد زعموا أنها مكذوبة وان النبي ماحدث بما حدث به عن رأيه ولكنه اختلس معنى تلك القصة والقاه الى قومه الى أن قالوا ان قول الله سبحانه وتعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) مأخوذ من آية جاءت في الانجيل بهذا المعنى

فوا عجبا لهؤلاء السفهاء كيف وصل بهم الجهل وطغيان الغرور الى حد أصبحوا فيه ينادون على كل نبأ غيبي انه مكذوب جهلا وعناداً أ كانوا يظنون أن كل نبي جاء بآية من الآيات أو أنبأ بنبأ من الانباء يكون ملزماً بأن يأتي لكل سامع عليه ببرهان أو براهين تثبت صدقه والا لما وجب على من لم يره تصديقه اذا الزم أن نكذب أنباء عيسى وموسى حتى يقيما على صدقها في الانباء البراهين لكل سامع يريدان أن يؤمن بها وعلى هذا لا يكون ايمان الامتين بالنبيين قيما ولا صحيحاً حتى يكون ماذكرناه

وان لم يكن ذلك الذي قلناه بلازم في أنباء موسى وعيسى فكذلك لا يكون لازماً في أنباء محمد وابراهيم التى انكرها هؤلاء الضلال بعد ما آمن بها قومها وجاء القرآن مصدقا لها بقوله تبارك وتعالى (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) أي من

أهل الكشف والعيان وقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) ان صدقه قومه عند الدعوى لا للاختبار الدقيق وقد كان فيما يزعم ... صدق مبنى ... موسى وعيسى عن محمد وابراهيم وقد ... على ... وكان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من خيار ... في أمة ... جميع الامم ومن ... البحث عن ذلك فعليه الآثار فقد قال ...

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا الى الآثار

وعلى هذا ... يكون لا ... في ... ولا ... أطوار ... مكابرة ... معاندين

أم يريدون ... الآيات ... لعجائب ... المكابرة ... ويعمى المكذب جاهلين

ثم يكرون كل حوارق العادات التي ... الرسل ... أنكروا كرامات الاولياء ... في ضلال مبين

وهل من العيب أن يوافق القرآن الانجيل ... في بعض الاشياء من الالفاظ أو المعاني ويكون موافقا للجميع حتى يقال ان ... (حتى يلج الجمل) ماخوذة من معنى ... الانجيل ويكون ذلك دليلا على اختلاق القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم فهل يقول ذلك الا الاغبياء الذين فقدوا الادب والعقل وارادوا ان يفرقوا بين الله ورسله و... أليس هذا حكم من احكام الله يسري مفعوله على كل كافر أي رسول

وعلى كل رسول نزيد كربه قومه ... ونحوية ليس مصدر الآداب
والحدود ولا الاحكام في الناموس الالهية وحد وهو قرآن لا مصدقاً
لما بين يديه في معنى لا ... وتبشير والدعوة الى الله وبيان الآداب
التي يدعي بل يحب على كل عد ... فكفر هؤلاء الضلال بآيات
الله ورسول الله وصحبوا من الخ ... ين

ومن العجب العجاب الذي ... المؤمنون قدر بقدرة عليه
في ترتيب لا ... امثاله ... وستدرجا أن جاء القوم ... بقواهم
الريعية ... على اساس ... الحيوانات ... لا تصورون
... وجاوز عليه المجوب ... نبيه ... من البحث الا
وأجهدوا نفوسهم فيه ... حال ... المعروف عند العوام
بالحاوي ... في أحيى ... يقولون وكيف
تحيي ... تشاهدون ... هم صادقون
وانهم لكاذبون ... هؤلاء الضلال ... ذلك السؤال والجواب
يحدث ... والله ... القرآن جاء موافقا
لكل ما في الكتب السماوية ... المسلمين في انه منزل
سماوي وانه من حكيم حميد ... قصة القط والفار التي
ذكروا ان سورة الكهف ... الناس بانها واقعة لا شك فيها
ولو كره المجرمون لعلهم يصدقون ...

ألا هل من قائل لهؤلاء الضلال كيف آمنتم ... المسيح وكتب ... اكم
بان الغالب من اسلافكم كانوا مبتدعين كاذبين ... اوجدتم لدينكم ضابطا
يحفظه من الباطل والضياع كما حفظ ... محمد صلى الله عليه وسلم دينهم فهلا

اشتغالهم بضبط آداب دينكم واتفق رؤساء ذلك الدين منكم على طريق
واحد يسلكونها حتى اذا اجتمعوا على الحق اتوا بلا تحيل لمكنهم [illegible] في
اليوم وفي ذلك يكون لعلماء امة محمد صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم بما امر
الله به نبيه بقوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان
لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله) هذا اذا كان القصد الاهم هو سلوك طريق النجاة اما اذا كان المراد
المغالبة بين الامم والاديان واثارة الفتن بين الرسل فما ذلك الا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين ولا يكون لذلك العمل من عاقبة ينتهي
اليها لان كل ذي فطنة من المسيحيين يتيقظ من سنة الغفلة التي حازت
قلبه [illegible] عن الهدى لان [illegible] وبين هؤلاء الضلال [illegible]
شرور [illegible] استواري [illegible] حق على ما هو عليه وكونه [illegible]
منهم الى احد [illegible] يغالبوا [illegible] طبيعي لا يعترف بوجود لانه
الا [illegible] وخديعة [illegible] الذين افسدوا الاعتقادات
بتمويهاتهم [illegible] يعتقد [illegible] اله واحد
[illegible] السموات والارض [illegible] وكذا [illegible] عن احلال في بطون
كالاجنة [illegible] وعن مشابهة الحوادث وعن [illegible] الى
[illegible] فيصلب [illegible] سواء تحمل [illegible] ثم رجع
الى [illegible] ومتى [illegible] جواذب التدقيق
والتحقيق [illegible] على [illegible] جميع المذاهب والاديان لا
مذهب اهل السنة التي سلكها المسلمون [illegible] والله
الهادي من يشاء الى صراط مستقيم

الكلام على الفصل الخامس

كتب بعض الادباء الى صديق له ينصحه لا يحاول ما لا يستطيع ادراكه زمنا طويلا وقد أعيته الحيلة ولم يرتدع عن طلب ما حاوله

قل للمشعبذ من الناس قد سئموا　　أعمالك الآن فاستأنف لهم عملا
أولا فدع عنك هذا الفن مشتغلا　　بالقوت من وجه حل واختف خجلا
خلوك يا وغد مقصد قد فاتهم　　منك الضلال فخذ عن ضوء مثلا
ان البهوق الذي أصبحت تجهله　　يصيب عين غبي ينكح الجملا

هذا مثل من أمثال العوام يضربونه لمن أراد أن يقاوم من لا قدرة له على مقاومته فيقولون وقد أيقنوه مقلوبا . من أراد أن ينكح الجمل أصاب البهوق عينه . والبهوق عندهم علم على أطراف العصي التي يضعونها في الزوايا لحفظ الاحمال من الضياع بربطها بالحبال في تلك العصي

ثم قال اعلموا أيها الاصدقاء وفقني الله واياكم الى طريق الهدى وسبل الرشاد أن هؤلاء الضلال قد علا صياحهم وطال ضجيجهم وعجيجهم وقد تقلبوا في البلاد كجنود ابليس فأكثروا فيها الفساد حتى أقلقوا الحي وجيرانه . كأنهم يتعقدون تقييدا وما فقدوا غير العقل والادب واذا وان كانوا قد طال تعديهم واستطالت ألسنتهم بما يقلق القلوب و يزحزحها عن مراكز الثبات لم نزل غاضين الابصار ومحولين الافكار عن الاشتغال بمناوشتهم عسى أن يخجلوا أو يجدوا من أنفسهم زاجرا فما وجدناهم الا كأمثال الاطفال الذين ما بلغوا درجة التمييز وما كانت أعمالهم الا كأعمال السوقة السفهاء الذين تعودوا أن يسخروا من الافاضل الاشراف من الناس ولو أنهم تصوروا قبح أعمالهم لاقلعوا عنها خزيا وخجلا ولكنهم قوم استرسلوا وراء

هو ثم وعليهم لطبس فأوقعهم في مصارع الفتن حيث تزل الاقدام وما لهم من لله من ولي ولا نصير فاعيد لأني لمقي اليهم نصائح عسى أن يصبحوا دمين

لعل في الناس من يرتاح نهم فينقذ قوم من أيدي الشياطين
أو يهتدوا برشادي حين أرشدهم الى الصواب فينقادوا الى الدين

ثم قال ولكنني أرى أن القوم قد استحبوا العمي على الهدي وأصبحوا كما قال هدهد سليمان فيما حكاه الله عنه بقوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

أيها الاخوان زعم هؤلاء الضلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول القرآن وافتراه ثم قاموا يخوضون في آيات الله بغير حق خوض ازدراء واهانة جهلا منهم بأسرار الكتاب الحكيم وعمى عن ضياء أنواره ونيرات اسراره التي انغمس في لججها الراسخون في العلم فأصبحوا ربانيين وفازوا بكرامة الله ومحبة قلوب عباده أحياء وأمواتا اذ هداهم الله الى معالم الهدي من قواعد كتابه المجيد الذي هو من قلوب أحبائه في لوح محفوظ وأضل عنه القوم الضالين . وخطف ابصارهم و بصائرهم عن ادراك حقائقه ببوارق صواعق قوله (لا يمسه الا المطهرون) فأصبحوا كأغبياء العوام الذين اذا عثر غبي منهم على درة من الدرر التي تمت بها الدهور وهو دفين الايام في خبايا الارض المهجورة التي تسمى عند العامه أكواما كغربية طلبها أعوبة فتتداولها الاطفال من يده وربما رمي عنها فاشتراها الخبير بها من يدي أولئك الاطفال بثمن بخس وكانت سببا لسعادته وكذلك لا الجهال

العد بر عليه بيمينه وعلم لمشتري بما تساويه وما ذلك الا لحكم سابقة التقسيم الازلي ونفوذ تصرفات الاقدار الالهية كما قال بقائل

وقاسم الرزق يعطي ذا ويمنع ذا　　هذا يصيد وهذا يأكل السمك

فكذلك حال أهل القرآن الذين فتح الله اسماعهم وابصارهم وطهر قلوبهم وحال من طبع الله على قلوبهم وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة فهم لا يعقلون تصديقا لمعنى قوله تعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتي يروا العذاب الاليم)

ولقد فاقوا العوام في غرور الجهل والافتتان بدعوي العلم والمعرفة والخوض فيما ليس لهم به علم وتكذيب الله ورسوله حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق تصديقا لقوله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون) فهدي هؤلاء الضلال الى معالم الدين الاسلامي واوقفهم على حدوده . واطلعهم على احكامه . ثم ضلهم عنه وصرف قلوبهم عن شهود انواره واسراره لتقوم عليهم الحجة فلا يعذروا بمتابعة من مضي من اسلافهم الذين صادموا النبوة ووقفوا في طريق الرسالة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم بمثل قوله (وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) ثم ابطل دعواهم بما جاء به في آياته من البراهين القرآنية وما زالوا منكرين عتوا واستكبارا كما كان من الامم الطاغية مع رسلهم وكما كان من اليهود مع عيسى ومن فرعون وملائه مع موسى كما سبق بيانه قبل . فأصبح هذا العمل القبيح والقصد السيء الآن مطمح انظار هؤلاء الضلال . ومضمار سبقهم ومرمى سهام اغراضهم واميالهم وما اكتفوا بحمل أوزار نفسهم

بل الفوا بفتحة مشددة على اللام ما افوه بلام مكسورة من الضلال والريبة فصولا من باب واحد ليتوهم مطالعها ان في بيض دجاجة ويخفى الساع ان وراء الصياح معركة ذات غدة حتى اذا ما تسارع اليها الناس يقولون لا يجدون الا جنازة ادم نساء بلبس فأغمضت العقل والدين وما انعماهن على غير تقييد الا يجعلن الصياح حبالة صيد لا يقع خوان الاخذان في سرك الفتنة القتالة والغرور المهلك . والله لا يحب كل خوان كفور

الاهل يتبصر العقلاء منكم في شؤون هؤلاء الضلال الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وزعموا ان كل الاناجيل مكذوبة وأن من قدمائهم قوم كثيرون اهل بدع وضلالات ثم قاموا على قدم وساق بأقوال باطلة وتمويهات عاطلة يقاومون الحق بالباطل على غير متن يعود حيث فتحوا حوانيت خزي مكتوب على أبوابها ما يشهد بانها مخازن الخزي والجدل ومجال الزيغ والشيطنة وما هذا الا من أفظع الشنائع التي سببتهم بها سفيه من سفهاء الامم لانا نرى ان رؤساء الاديان ما اشتغلوا الا بمعانقة اديانهم والقاء النصائح الى افراد امهم واما هؤلاء السفهاء فقد تركوا افراد منهم في طغيانهم يعمهون ويسجدون لما صنعت ايديهم من الصلبان ويعبدون نبيا كريما كان آدم اعجب منه في الخلق والتكوين بعدما زعموا ان قوم موسى هانوه اهانة شديدة ثم صلبوه وقتلوه ولقد فتنوا قومهم بما فتن به قدماؤهم اهل القرون الماضية منهم بقولهم ان القسيسين منهم يحملون الخطايا عن اهل الكبائر بمجرد الاعتراف من الجاني وان ذلك من اعجب العجب اذ يقولون ان الاله لم يحمل خطيئة آدم عنه الا بعد تسليم نفسه للصلب والقتل وهو شخص واحد والقسيس الذي ربما كان من اكبر المذنبين يحمل خطايا كثير منهم بمجرد

الاعتراف أليس هذا بضلال مبين الى غير ذلك من الضلالات والبدع التي أوردوا بها قومهم النار وبئس الورد المورود ثم انتصبوا لاعانة هذه الدين القويم الذي كل من تصفح صفحات التواريخ وتبصر في حوادث الامم وشؤون الانبياء والرسل لا يجد من الاديان ما يشابهه أو يقاربه في القوة والتقويم وحسن الاعتدال والاستقامة وانه لصراط الرسل الكرام الذي سلكه علماء هذه الامة فصبحوا كانبياء بني اسرائيل كما اخبر الصادق الامين

وأما اولئك السفهاء فقد تفننوا في فنون الزيغ والسفسطة ورتعوا في مراتع الجدل والزندقة فاصبحوا كالانعام لارعاة لها ترتع حيث تشاء بلا عقول تردعها عن المراتع الضارة وقد هجروا مناسك الدين هجران المبغض القالي وجاؤكم مجادلين فيما ليس لهم به علم ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا كما كان يفعل اسلافهم عند نزول القرآن وطالما حذر الله المؤمنين اذ ذاك منهم بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وقوله (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة

فقام أحد الحاضرين قائلا ان الذي يطلع على مؤلفات هؤلاء القوم و يتجول بفكره في مجال مباحثهم خصوصا في هذا المؤلف لا يشك في أنهم على شيء من العلم والاطلاع فكيف اذا يظن انهم يعلمون الحق ولا يتبعونه مع ما هم عليه من العلم والاطلاع . فقال له الرجل ياهذا ان الغرة والطيش ليدعو ان الانسان الى اقبح عمل توقعه فيه المحنة الالهية فيراه

حسناً تسلط الجهل عليه حتى اذا استرسل في ذلك العمل وتعوده لا يعبده العلم بقبحه شيئاً ولا يزجره عنه لا زاجر لخوف الآثم في الفتاة الحسناء التي قد تفوق في الحسن كثيراً من أندادها متى سترسلت في لعب مع هواها وأطاعت نفسها وشيطانها قد تعدو رقصة أو لعبة أو مطربة الى غير ذلك مما يشين أحوال العتيات حتى اذا تبينت قبح حالهـا يوماً ما لا يمكنها الاسترسال وغرة الغرور من ترك ذلك العمل الذي صير حالها سيئاً بل ربما كانت تفتخر وتتباهى باتقان صنعها في ذلك العمل مع علمها بأنه عمل قبيح . وهكذا كان حال هؤلاء الضلال فلقد حال طيش الغرور وزيغ الافتتان وسرعة الاسترسال في اعمالهم وزيغ اهوائهم بينهم وبين الحياء والندم مع العلم بأنه عمل لا يرتكبه الا كل مجنون محروم من مزايا الكمال والاعتدال والله لا يهدي القوم الظالمين

قد زعم هؤلاء السفهاء أن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وانه انما تناول ما فيه من الانباء لا من الثقلين واستدلوا على ذلك بأن العرب كانوا يعلمون كثيراً من انباء الفرس وغيرهم وأن منهم من كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الانباء فيتناولها منه ويجعلها قرآناً مع زعمهم أنها انباء خرافية لا صحة لها ثم أخذوا يذكرون آيات من القرآن ويأتون بما يشابهها من القصص التاريخية وكلما جاؤا بقصة عبثوا من سطرها وسموه مبتدعاً كاذباً وسموها خرافة من الخرافات الى آخر ما زعموه وأيدوه بتمويهات تضليلية وسفسطة فلسفية وعن ذلك نقول

قد تقرر فيما سمعتموه من قبل ان الله سبحانه وتعالى خلق السعداء والاشقياء كل على حسب استعداده وقابليته لما يراد به وميله لا يكلف

نه نفس لا وسعها نعني انه لا يجري على يد شخص عملا من الاعمال الا ما يلائم استعداده وقابليته والا كان ظالما وهذا معنى هو المشار اليه بقوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) لانه ما أجري على ايديهم من اعمال ولا اعانهم عليها الا وقد كانت مما يلائم قوابلهم فلا يسوق الى الكفر والفسوق الا من كان اهلا لذلك ولا يشرح بالايمان الا صدور الاخيار ولذلك كان من المعلوم الضروري حتى عند العامة أن الانسان لدى لم تدنس فطرته خباثة القوابل الشيطانية والاستعدادات الوحشية لا يكون ميلا لا الى التفويض والتسليم والانقياد لمن تمرض الى ارشده ونصحه متى علم منه الصدق في ذلك وهذه الحال هي مبادى الفوز والسعادة واما الذي غلب عليه شوم استعداده وقابليته فلا يكون الا مصرا مجبولا على العناد والمعارضة وعلى سوء الجدل وهذا هو مبدأ الشقاء وكلا الحالين يراه المراؤون في طباع الاطفال قبل أن يبلغوا الحلم ثم تربوا مع كل طفل خصاله بنمو قابليته واستعداده ليجري الله سبحانه وتعالى على يد كل انسان ما خلقه لاجله وييسره له ثم يعينه على الاتيان به والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وبقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) فلن يضل عن طريق الهدى نبي او ولى ولا يهتدي الى معالم الرشاد شقي ولا تجد مؤمنا مكذبا برسول من الرسل ولا تجد كافرا مصدقا لهم وان قال قائل ان قوم موسى وقوم عيسى مصدقون بهما فكيف تدعون أنهم من الكافرين نقول ان ذلك التصديق لم يكن طاعة لاوامر الله سبحانه وتعالى بل هو متابعة الهوى والشيطان فلذلك كان وبالا ونكالا عليهم لانه لو كان من

قبيل الاعتقاد لا وجود له الا في تعصب او جحد تكذيب والكفر ب
رسل الله من بعدهما مع ... ظهر به دينه على الاديان من ... و ... مبين
والاعتدال وحسن الاستقامة وكمال الآداب من كان ذا ... وقد ... ب
كفران من كفر برسالة النبي الاخير ما كان الا عن حكمة تامة ...
كفروا به تلك القوى بل والاستعداد عند تكوين الاحتياج ... ذلك
وربما ضعف العوام أو أسرار ارادة عدم احتياج هذه التكوين
الى كفر الكافرين وبين المؤمنين فيقوم ... قوله ماذا على الله لو
خلق الخلق على استعداد وقوابل متفقة وجعل الكل سعداء لم يكن قادرا على
ذلك وان هذا الاعتراض لهو مصرع الوحي الذي رست فيه قدم كثير
من الامم الذين اتهموا الله بالدعوى وطيش العقول فيكون ...
ومنهم وكان امر الله قدرا مقدورا

وعلى ذلك نقول ان هذا المعترض اذا شاهد المسلك الذي مشوه
الجهل وفقد الآداب الذوقية قد يلزمه التشوق الى الوقوف على الحق و
والتعمق في استيفاء الآراء واستقصاء المقاصد أن يقول لماذا خلق الله
الليل ولم يجعل النهار سرمدا الى يوم القيامة ثم يقوم آخر في مقابلته و يقول لا
لو جعل الله الليل سرمدا ومحى آية النهار لكان أقرب الى الراحة فيقوم
مجادل آخر ثالثا ولماذا خلق الدنيا وما فيها من الاتعاب والشدائد ولم
يترك الناس في راحة العدم الازلي ان كان الفناء بالموت محتما ولم يكن
بعد الموت رجوع الحياة ولا عودة أو لماذا لم يخلق الخلق من هذا النوع
جميعا في مسارحهم الابدية الذي حيث لا دنيا ولا دين الى غير ذلك
من الهوس الذي لو تبعه متتبع لمقت جميع الاعمال الالهية لقصر فهمه

[illegible] ما خلق لاهلوء طاعيا جهولا [illegible]
[illegible] لا [illegible] (حتى لا [illegible] من [illegible]
[illegible] هو حل له عين الماعين وما الذي
[illegible] عن الاحاطة
[illegible] وتعويض [illegible]
[illegible] للالوهية لا تصح [illegible]
[illegible] ولا يتصف [illegible] على
[illegible] ولا [illegible] على
[illegible] ويكون ذلك قادحا في صفات الالوهية
[illegible] مدعيه [illegible] واذا كان الامر كذلك كان الله هو
[illegible] ولا يكون ذلك لانهما
[illegible] لامكن [illegible] كان ومن
[illegible] لا
[illegible]

[illegible] ولا [illegible]
[illegible] في كل [illegible] كل دفاع
[illegible] بذات
[illegible] لا [illegible] كان
لما [illegible] في كل [illegible] يدعون [illegible] كل [illegible] محرف
[illegible] كل [illegible] لا [illegible] حتى [illegible] من [illegible]
[illegible] قال [illegible] الناس [illegible] لا [illegible] لا [illegible]

له حملوا العقل والدين ضدان لا يجتمعان وانهم مصدقون من وجه وكاذبون من وجه آخر أما صدقهم فلأن العقل الذي زعموه ما هو الا اتباع ظنونهم وأهوائهم وترك الاقتداء بالمهتدين وهو من متدين تكون هذه حاله لا ويصدق ... فانهم كانوا صادقين الا من وجه ان العقل الذي هم عليه لا يجتمع مع الدين الذي اعتقه لا تقيدوا ... كذبهم فلأن الدين لا عقل لا تكون ... عقل للدين لا امور الذي يشرح الله به صدور مؤمنين ليفتدر ... الرسل مهتدين لاوامرهم مصدقين لاقوالهم متحققين بأحوالهم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

اذاً فليس من العجب أن يرى المرء في آخر ... في هذا القرن الذي تطايرت شروره ونمت ... وتسربت فيه ... قوة مثل هؤلاء الضلال الذين ... والاداب ... وقد أصبحوا مكذبين جميع ... الآن وكان ... كان لا يعوّل ... من طريق النظر ولا من طريق السمع ولو أنهم كانوا ... تحتمل الصدق والكذب ولكنهم أسقطوا الطيش ... على ... كلها مكذوبة مفتعلة لا أصل لها ... وفيما تقدم ... البراهين على أن هذه الانباء كاذبة ... وجدوا جوابا يأتون به لا سفسطة الفلسفية والاستدلال على قدرة الله ما هي عليه من الاقتدار وعدم ما لا تحيله به العقول ولا يكون منهم الا المكابرة والاصرار كما تكون من ابعاد القوية اذا ذللت لعمل من الاعمال وان كان فيه الفائدة لها وكان الله على كل شيء مقتدرا

ولو انهم زعموا أن البوارج الى أيديهم تكذب تلك الا... لقد لهم ، حطة ... اسلافكم الملاعنة الذين لادين لهم ولا مذهب الا ضلال لمضلين ... قلوب صماء لا ... مصحون ولكنهم هم ... ولكن لا يشعرون ... أن ... قدمائكم مع ... كعبه لا ... غرض ... ومعاد الله ... في ... شهده ... مكم من ... لا ... واعانة ... لدى أعجز ... وتحركت معه ... و ... على عهد ... ولا ... وعشرون عاما ... آت سورة من مثله ... كان ... دي ... أن يأتي ... احتج به من الريب والالحاد ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال ولم علم الزاعمون أن الادلة الشرعية والعقلية التي يستنتجها العقلاء ... قاعدة ... فيما زعموه وسأتي شيء منها ... لاتباع هؤلاء الحادين لعما انه ... يضلل الله فماله من هاد ولكن لنعلم العوام دالة ... الاشرار وفتح ... الحجار ... لعلهم يحذرون

لأن من الادلة الشرعية التي أرشدونا الى التمسك بها ... من خوارق اقوالهم التي دونوها في هذا المؤلف تقويماً لقواعد الضلال الواهية . أن قالوا ان النضر بن الحارث كان اذا ... جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يدعو فيه الى الله تعالى ... من قرآنية وحذر قريش ما أصاب الامم الماضية ... عصوا ... الاخذ الوبيل خلفه في قومه ذلك الرجل في ذلك المجلس اذا قام ثم يحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ويقول والله ما محمد بأحسن مني حديثاً وما حديثه الا

أ[illegible] لا [illegible] كما كتب [illegible] على الآيات التي ذكروها في موضوع [illegible] لا يتصور ان العرب كانوا [illegible] ووصف الفردوس [illegible] على [illegible] بني إسرائيل [illegible] الدين الإسلامي [illegible] على [illegible]

ونحن نقول [illegible] ذكروه في [illegible] الخارق [illegible] دليلا شرعيا على صدق [illegible] وصحة [illegible] كل [illegible] ذكروه لا كمال [illegible] على الإصلاح [illegible] (ومن [illegible] كل [illegible] المطلوب [illegible] شرعي [illegible] الدعوى [illegible] الصدق [illegible] على ذلك [illegible] على [illegible] في [illegible]

[illegible] قصة [illegible] قال [illegible] قصة [illegible] دقيق حتى [illegible])

وكان [illegible] في [illegible] شيء [illegible] ذكروا [illegible]

نحو آخر. وقد كانت هذه ملاحظة تامة أمام الأمر كما زعم هؤلاء المبطلون. وقد قام ابن الحارث يدعي إذ ذاك أنه أحسن حديثا من محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] لأن [illegible] ظل رجال الضلال بسرد [illegible] ذلك كما [illegible] الذي من الأحاديث لا يماثلها فيقارنها بالقرآن ولا أحدث سورة حتى ولا وجدنا من يساوي سورة من القرآن كانت هي الدليل الراجح على أنه مفترى ومكذوب لأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما أعجز [illegible] لا دعوى [illegible] لا تكون [illegible] هو تحقيقا أن ذلك الرجل الذي كان يجمعه في مجلسه [illegible] أحسن منه كما زعم وجب عليه أن يوافق التكذيب على ما هو عليه، ولما لم يكن ذلك وثبت أن ذلك الضلال لم يزل [illegible] معقولا ولا حجرا معقولا [illegible] ترك الأمر [illegible] وحدها لا [illegible] كل من [illegible] في ذلك العمل [illegible] لا شك في صدق ذلك النبي الكريم.

وذلك لأن القوم [illegible] حاله [illegible] ولا يتصور منصف [illegible] درجته من [illegible] جاء يدعي أنه [illegible] ويتحدى [illegible] وأقوالهم [illegible] تحتمل الصدق والكذب [illegible] ولا [illegible] وقد [illegible] عملية لا [illegible] مداركها [illegible] والتصديق إلا [illegible] ودلالات [illegible] وقد تبين [illegible] في هذا الموضع [illegible] التاريخية [illegible] القوم ما صدقوا القرآن و[illegible] الرسالة لا [illegible]

الاستكشافات الطربية والمعارضات الجدلية فأفهمتهم آيات السماوية وأخلاقه المرضية وأحواله الملكية وأحكامه العدلية، وكراماته الصالحة وبراهينه القدسية ولقد كان من ضمن استدلالاتهم أن كانوا يسألونه عند نزول الوحي عن أشياء فيخبرهم عنها فتسوءهم فأنزل الله تعالى النهي عن ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم)

فمن ذلك يعلم العقلاء أن مسئلة النصر ابن الحارث قد قامت في وجوه هؤلاء الزائغين مقام الدليل الشرعي على صدق ما جاء به القرآن وعلى صدق الرسالة ولو انهم كانوا من أرباب البصائر لما جادلوا دليلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الانباء من العرب ويجعلها قرآنا أولم يكن في العرب من هم المتيقظون فيعلمون مصادر تلك الانباء وكانوا اذ ذاك يجهدون انفسهم في مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يستحصلون الاهين له على رؤس الاشهاد ثم يقولون لهم لماذا تدعيم على هذا العدل الذي نجد ذنبا ولا نرى حال آلهتنا . أولم يكن العرب بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستكشفوا الامر على ما هو عليه ان كان رسوخهم لا عن ايمان تصديق قلبي ويقين جازم . أولم يكن لهم عند جمع القرآن في عهد الخلفاء أن يقولوا ان هذه الكلمات تعليمات فلان وفلان في مكان كذا وزمان كذا ثم يقيموا البراهين على ذلك اما سمعتم أيها الاخوان بما وقع لاعداء رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد قوله تعالى له (انا كفيناك المستهزئين) وقوله (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فان كان منكم من يجهل ذلك فليطالع كتب التفسير حتي يتبين الامر علي ما هو عليه والله يهدي من

سواء الى صراط مستقيم

اذا اوله وجهة الآثار الناطقة عن صدق تلك الانباء أو كذبها بعد ثبوتها في ذات [illegible] الذي جاء بها وهو القرآن ولا يكون الاستدلال على ذلك والنظر فيه في هذا الزمن الا خوضاً تضليلاً وتشويشاً لافكار العامة وتدليساً ولعباً [illegible] به تلبيس الحق بالباطل وازاغة القلوب عن مراكز ايمانها ومن انصف [illegible] لعله حال الاكثرين الآن على حال المصدقين بحكم الوقت الحاضر الذي أبيحت فيه المحرمات وفشت فيه المنكرات وتطاولت الالسن [illegible] القول وانتشرت فيه الصحف الزندقية التي هي اعلام الفساد الديني وربيبة الكفر وكان هذا كله ملائماً لقوابل كثير من الوجهاء واستعداد منهم فقست قلوبهم واصبحوا كافرين وظهرت فيهم اشارة قوله تبارك وتعالى (ولو اننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا) وكذلك كان الامر في كفار قريش فلو ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن على حال [illegible] اعمال [illegible] في الاعمال لما صدقه المصدقون منهم ولما حول الله الناس من الكفار [illegible] وأدركهم في حينهم جميعاً وان في قول القائل منهم لعمر بن الخطاب لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا عند ما قام فيهم خطيباً وقال من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومني) لعبرة لاولي الالباب اذ القوم الذين بلغت الشهامة والحماس بهم هذا المبلغ لا يقال انهم خدعوا أو تمكن الجهل منهم حتى اتبعوا رجلاً متصنعاً قد قلب منهم الاحوال وغير الاعمال وحول الآمال وانشأهم نشأة اخرى غير التي كانوا عليها (كلا) والله ان كيد الكافرين لفي تباب

والغاية المقصودة من كلامنا هذا كله ان كل من تتبع الكتب الدينية والسير النبوية وتأمل فيما ذكرناه بعين الناقد البصير علم علم اليقين أن العرب كانوا أهل شهامة ونفوس عالية ودراية تامة وكانوا من ذوي البصائر والادراكات الذوقية وما انقادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الانقياد الذي جعلهم طوع أوامره الا لما شهدوه من كمال اخلاقه وصدق اقواله وسلامة احواله وصحة اعماله وما كان جبارا متألها ولا فخورا متكبرا بل كان يقول لهم لا تعظموا ني كما تفعل الاعاجم بملوكهم ان انا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد وقد أرشدهم في الزمن اليسير من طريق الكمال التي استكمل آدابها الغالب منهم الى مالم يرشد اليه من كان قبله من الانبياء في الزمن الطويل ولقد كان مما ارشد اليه طوع أوامر ربه اصلاح ذات البين بين المتدينين عملا بقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وقوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فكان من شعائره وشعائر امته أن لا يؤذوا من سالمهم من اهل الاديان الباطلة وان كانوا عبدة أوثان وما ذلك الا من كمال التربية وحسن تأثيرها في قلوب الامة حتى الآن واما الامم الأخر فقد تركتهم الانبياء على أحوال لم يمض عليها الا قليل من الزمن وقد تغيرت وما من امة الا وفسدت اخلاقها بعد نبيها في اقرب زمن واما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم تزل منهم الخيار على ما كان عليه هو واصحابه الى الآن ولو احتج مجادل بأحوال الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم من الفرق المخالفة لاهل السنة نقول له ان الزيغ لشجرة ثابتة الاصل في قلوب اهلها من قبل الرسالة وفيها بعدها اذ ما من خلق حسن الا وله اهل من السعداء معلومين عند ربهم وما من خلق سيء الا

وله اهل من الاشقياء قد أحاط بهم الخالق علماً وما خلا زمن من الازمان من افراد هاتين الطائفتين ألا ترى أن اشرار المسيحيين الآن قد انتشروا في الارض لمحاربة هذا الدين القويم وتركوا دينهم تلعب به سفهاؤهم وما استعانوا على هذا العمل الا بالزيغيات الفلسفية لاننا لانجد ممن له عناية بمطالعة التواريخ الماضية قديما وحديثا الا الفلاسفة الذين لم تشغلهم التقوى بأنفسهم بل دأبوا على التباهي والتفاخر فلا يجد مفتخرهم ما يفتخر به الا سعة الاطلاع والاحاطة بانباء الامم الضالة الذين هم اسلافه وكل من ثبتت في ذهنه تلك الانباء تخيلها حقاً وظن ان أنباء الانبياء ومن تابعهم تخاريف لا ينبغي للعقلاء الاصغاء اليها كما يتحققه أولو الالباب من تمويهات هؤلاء الضلال في هذا المؤلف الذي ماتركوا فيه مسلكا للتضليل الا وسلكوه ولكننا نقول ان من كان ذا ذوق سليم وفكر ثاقب وبصيرة نيرة وقريحة وقادة وذهن حاد وكان ذا عناية بالوقوف على الحقائق وبحث في السير التاريخية الصحيحة عن أنباء الرسالة المحمدية وما وقع في مبدئها من كفار قريش وفيما جاءت به الآيات القرآنية من البراهين القاطعة وتبصر في ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق ومحاسن الاحوال والاعمال وما أوتي من جوامع الكلم علم أن الكافرين هم الظالمون وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق الامين وأن كل ماجاء به من الاقوال حق لاريب فيه وأن الذي كان يزاحمه بالباطل ويجحد رسالته كان من الضالين والحق يعلو ولا يعلى عليه وما كان الجدل فيه الآن الا وراثة عن موتى القلوب لانك لاترى سارياً يسري الا في مسارب أمته مهما كان وكيفما كان حتى في أنواع الحشرات والوحوش والطير

وكذلك النوع الانساني فلا نور الضلال الا وراء الضالين ولا المهتدي الا في سبيل المهتدين وما ذلك الا للارتباط لاصلي بين الطوائف بمناسبات لاستعدادية والقوابل التكوينية . وما ربك بظلام للعبيد

هذا هو الدليل الشرعي الذي به يتبين للعاقل المتبصر أن كل ما من الانبياء جاء به الاقدمون وجاء القرآن مصدقا له لا بد أن يكون صحيحا وقعيا يجب على كل سامع تصديقه وان سكره لمنكرون الذين بينا احوالهم من قبل (ومن اصدق من الله حديثا) وان من الادلة شرعية لما جاء في العهد القديم من قصص داود وسليمان ويوسف وغيرهم وقد كذب بها هؤلاء المبطلون وزعموا انها كلها خرافات من خرافات اهل الابداع وكلهم معروفون بحبي البدع ومن هم اهلها وكيف كانت حالهم ولكنا قد علمنا من تحري ما تقدم ان اهل البدع هم الا المتدينون من كل ملة بالدين الذي تناولوه من الرسل لاننا لا نرى ان سفهاء الفلاسفة يسمون ائمة الدين من المتقدمين والفقهاء المحدثين والائمة المجتهدين واهل الطريق المحققين كلهم مبتدعين ولا ينصرف عندهم وصف عقلي الا الى من زخرف قوله بشبه الحكمة وزين حاله بالاتصاف بالذي وكان ذا خبرة بالاحوال السياسية وترك الدين واهله وتمرد ذاهبا مسابقة المتمردين عن طريق الهدى الى معاهد الضلال ونكد وكل من كان له اتباع الدين وفي قلبه مثقال ذرة من الايمان الحق يقين من ان هذه الضلالات كلها شؤون دنيوية لا تغني من الله شيئا ولا يستحسنها الله فيها الا كل مارق من الدين لانصيب له في الآخرة وكان الله على كل شيء مقتدرا

اما الدليل العقلي عليه فنقول انها الاحوال لبعض العقلاء ممكن انهم سوف

القواعد التي اتفق عليها كل من الطائفتين وهما طائفة المقربين الاخبار من اهل الطريق المتصوفين وطائفة الفلاسفة الصابئين أن الرياضة التي هي بمعنى كف النفس عن شهوتها تدخل الانسان في عالم الملكوت المعبر عنه عند الفلاسفة بالعالم العلوي ولا خلاف في ذلك بينهما وانه لحق لأن الانسان محمل مالم تتحمله السموات والارض والجبال الا لما فيه من الاسرار القدسية التي كانت الشهوات النفسانية والاغراض الهوائية حجباً حائلة بين الانسان وبين مطالعتها في نفسه ومتى زالت تلك الحجب لايكون بينه وبين الملكوت حائل هذا هو موضع الاتفاق بين الطائفتين في المعارج القدسية وما تفرقوا الا عند هذا الموقف فنهم من صعد الى أعلى ومنهم من نزل الى اسفل ومنهم من وقف موقفه حتى جاءه الاجل فأصبح من النادمين وسنبين حال كل منهم بعد الفراغ من هذا الموضوع الذي نحن بصدده الآن والله يقول الحق ويهدي السبيل

اذاً فمن المحقق الثابت عند الطائفتين بل وعند كل ذي ذوق أن الرياضة هي روح المعارج القدسية التي يتوصل بها الانسان الى الاختلاط بالعالم العلوي حتى قيل ان الفلاسفة اقد تغالوا في ذلك حتى زعموا ان الانسان لا يزال يتعقد المعلومات ويهذب نفسه بالاعمال الرياضية حتى يقابله ربه وجهاً لوجه فيكون هو هو يفعل كما يفعل وسنأتي بايضاح ذلك عند الاتيان على وعدنا به من ايضاح أحوالهم وحوال الطائفة الاخرى

وعلى هذا يكون حال المنكر للمعراج الروحي أو البدني كحال العوام الذين لو قلت لهم ان النفوس القوية العالية تفعل هممها في العوالم مونطاً بعض المعاني المحسوسة نسبه في محسوسه لكذبوك حيالهم توقع النفوس من عالم

الملكوت ولو انهم فهموا الامر على ما هو عليه لعلموا انه لولا سر الربوبية
التي سميت به النفوس نفوساً لما صح لها ان تأتي ما تأتيهم به من الفجور
والتقوى المشار اليه بقوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)
ولكنهم لغلبة الجهل عليهم الذي منشؤه حجب الشهوات [illegible] عن هذا
البيان لو ضح لهم اشتغلهم لله [illegible] التسمية لو [illegible] في قوله تعالى بعد الآية
السابقة (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وبعد كل [illegible] الخوض [illegible]
ما كنا من رجاله ولكن الضرورات قد تبيح المحظورات ونرجع الى ما كنا
فيه من الاستدلال فنقول

ان مفهوم هذا الدليل العقلي [illegible] صاحبي في مسألته [illegible] دلالة
على انه لا ينبغي [illegible] تكذيب من كان قوي النفس [illegible] همة [illegible]
الاخلاق فيما يدعيه من عروج الى العالم العلوي [illegible] والاسلاك [illegible] كل
ذي عقل علم علم اليقين شدة ارتباط العالم العلوي بالعالم السفلي [illegible] تأثيرياً
لا يمكن الانفكاك عنه من بينهما بحال من الاحوال [illegible] كان العالم العلوي لا
دائرة محيطة بالعالم السفلي [illegible] بينه [illegible] الى كل [illegible] حدهما الى
الآخر بدليل قوله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا)
وقوله في آية أخرى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) وفي
أخرى (خالدين فيها ما دامت الارض والسموات) [illegible] من
سكان احدهما ان يسكن الاخرى لا [illegible] تساعده قوابله والاستعدادات
التي هو عليها اما اذا توفرت القوابل والاستعدادات في اي فرد من
الافراد صح له ان يزاحم سكان الموطن الذي توفرت فيه قابليته واستعداده
للمزاحمة فيه كما صح لجبريل ان يهبط الارض ويجلس في مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية الكلبي متجسد وكذلك عيسى لمحمد صلى الله عليه وسلم [illegible] في [illegible] وقد تواترت به [illegible] والأسعد وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق عيسى عليه السلام وقد قيل [illegible] كان يمشي على الماء (رحمه الله [illegible] يقيناً لطار في الهوى)

وعلى هذا يكون كل ما ذكره الزاعمون من معارج روحية ومادية لا يدعى تكذيبه لأي عاقل سواء كان مدعي العروج هو ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أو غيرهما من النبيين لروح أو جسد اذ رهبة النبيين وكمالاتهم وصفاتهم لابد أن توجد فيهم القابلية والاستعداد لكل ما يكون منهم من الترقي الروحي والمادي لأنهم نزاهة أصلية فطرية سماوية لا رياضية ولقد جئناكم في دقة ملك من البيان وفوق كل ذي علم عليم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] علاج والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم قال بعد طول تعجب وتعرض [illegible] [illegible] [illegible] وسوء ظنونهم وقبح [illegible] وتجاريهم على تكذيب الله و[illegible] قد [illegible] القوم أنفسهم على أبواب جهنم فما اصبرهم على النار [illegible] عجب ما يأتي به [illegible] من الاضلال على [illegible] وكان الله على كل شيء مقتدر

اما الاخون فقد ذكر هؤلاء الضلال المعارج الروحية التي [illegible] أرباب الرياضات ممن ذكروهم ثم زعموا انها أثرت على القرآن تأثير عظيم وعلى الاحاديث حتى صارت هي احد مصادر الاسلام كما [illegible] وما كان

ذلك منهم الا لجهلهم بما هو الاسلام كما سنبينه ان شاء الله وكما بيناه في موضع
آخر من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى ثم جاؤا الى المعراج النبوي
وقاموا مقارنين لها قصة معراج ابراهيم الذي زعموا انه منقول عن
كتاب موضوع

ثم زعموا ايضاً انه ماخوذ من كتاب يسمى أرتا ويراف (أو أردا ويراف) مؤلف باللغة
الفارسية وذكروا فيه قصة معراج شاب مجوسي يسمى باسم هذا الكتاب
وقالوا ان قومه قد ارسلوه وبعثوه الى السماء فجاءهم بنبأ مما رأى فيها على المنوال الذي
ذكر في معراج النبوة وكذلك جاؤا بحكايات اخرى زعموها خرافات وزعموا
أن القرآن مقتبس منها وقد تركوا كلاما كثيرا مما هو في التواريخ من
هذا القبيل الا انهم اوردوه مستندين فيه على ان القرآن جاء بدعوى المعراج
لا متابعة لتلك القصص وان الاحاديث النبوية التي وردت في هذا المعنى
لا منشأ لها الا تلك الخرافات وان من اكثرها تحريفا هو كتاب عهد
ابراهيم وقد كان ذلك منهم عند ما جاؤا بقصة المعراج وما ورد فيها من
الاسرار السماوية وعند ذكر الخلاف الذي وقع في المعراج هل هو بالروح او
بالجسد ثم جاؤا بكلمات من تفسير الامام الرازي الذي فيه النص
ثمة اطراف صوفية ولم يكن الا ان عرج فيها آخرون جاؤا به من الاحاديث
ترغيبية وتنويهات تعصبية فيكون في السفسطة لهم شأن عظيم ومن
ذلك هذا

انه قد اوردوه [illegible] لاشياء لا يسعها كونهم قد [illegible] وجوه مما
و [illegible] وعن [illegible] مما جاؤا به من الاختراعات التي هي من مخترعات الاطفال
وهذى [illegible] لا [illegible] لا يستحق النظر ولا الالتفات

لأنها مغالطات جدلية يأتي بها أهل السفسطة الذين يحاولون نفي الشيء بأدلة ثبوته وذلك لأنه من المعلوم أن كل أمة منها تقادم عهدها في القرون لا بد أنها كانت مسبوقة من قبل كان منهم أنبياء ورسل فإن الله سبحانه وتعالى بعث من نوع الإنسان رحمة وعشرين ألفاً وما يقي ألف نبي وما من نبي منهم لا وذكر من الله الآخرة شيئاً وما كانت الأسماء التي ذكرها الأعوان مخترعة منهم ولا مبتدعة ولكنها منقولة عن الأنبياء وما تنوعت ألفاظها أنواعاً مختلفة إلا لاختلاف لغات في الأمم من الأنبياء كانوا كلهم من العرب كانت الأسماء التي تدوولت الأمم منهم متحدة اللفظ والمعنى وقد تقرر فيما ذكرناه من المقدمات في مبدأ الكتاب أن سوق التواريخ القرآن لذكرها أو بعضها وإن كانت متداولة بين قوم مبتدعين أو عبدة أوثان لا يكون دليلاً على أن القرآن غير منزل لأنه ما من وقعة أو نبأ إلا وله أصل صحيح من طريق النبوة فعلى هذا يكون هذا الذي ذكره الأعوان الآن غير مقبول ولا معطون فيه

وأما مسألة المعراج وما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في السموات وفي الأرض فليس ببعيد عن إدراك التصور لا من جهة العروج ولا من جهة رؤية العينين أما من جهة العروج فقد علم مما قاله المبطلون أنه ليس ببعيد لأنهم أثبتوا وقوعه لعيسى وإيليا وغيرهما وأنكروه من محمد صلى الله عليه وسلم ثم احتجوا على من صوروهم محتجين بأنه لا يوجد نقود رائجة ما لم يتقدمها نقود صحيحة فإن النقود الرائجة ما عملت إلا على منوال النقود الصحيحة ثم قالوا إنه لا يجوز أن يقال إن بعض أنه عمل بجميع النقود لوجود نقود رائجة بل قالوا إن وجود النقود الرائجة تدل دلالة صحيحة على وجود

تكون صحيحة لا غش فيها ثم أوضحوا البيان بقولهم فكذلك يصدق القول
على المعجزات لأنه لولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع معجزات
كاذبة ولو لم يوجد دين حقيقي صحيح لما وجدت الأديان الكاذبة ولولا شهرة
صعود رجال إلى السماء حقيقة لما راجت هذه الخرافات ثم جعلوا يفرقون بين
المعجزات الصحيحة وغيرها بقولهم إن صعود أخنوخ وإيليا والمسيح إلى السماء
كان حقيقيا لأن أخنوخ ورد عنه في سفر التكوين في الإصحاح الخامس
الآية ٢٤ أنه سار مع الله ولم يوجد . ثم قالوا وأما إيليا فقد ورد في سفر
الملوك الإصحاح الثاني في الآية ١١ و ١٢ ما نصه . وفيما هما يمشيان
وإيليا يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما
فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا
أبي مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره بعد ثم قالوا إن صعود المسيح فقد
ورد في الإنجيل أنه كان وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم إلى آخر ما
ورد في الإنجيل ثم قالوا إن هذه القصص الحقيقية أخذها الناس عن الذين
شاهدوها بأعينهم وهي منزهة عن الحكايات الخرافية في الصعود وقالوا
إنه لا شك أن القصص الكاذبة تختلف اختلافا بينا عن القصص الحقيقية
إلى آخر ما جاؤوا به من التمويهات التي لا يلتفت إليها العقلاء لأنها محاورات
صبيانية ومكابرات كمكابرة النساء ولو أن العقلاء نخلوها لوجدوها مكذبة لمدعيها
كل التكذيب ومؤيدة للحق تأييدا قويا قويا . وذلك من وجوه

الواحد منها أن تصديقهم بعروج أخنوخ وتكذيبهم بعروج محمد
صلى الله عليه وسلم ما هو إلا هوس بين إذ كل عاقل يعلم علم اليقين أن الذي
صعد ثم نزل وحدث بما رأى ثم جاء بدلالات واضحات على صدقه أصدق نبأ

من الذي لم يعلم الى أين ذهب فان فرطه ان أخذه حصان مع الله ولم يوجد لا يوجد في النفوس أدنى تردد في التصديق بوجوده . وانا وان كنا لا نكذب ذلك خوفا من الوقوع في ورطات الجحود والخذل فيما ليس لنا به من علم ولكن في مقام المناظرة والمحاورة نقول ان ايليا لم يصعد وهكذا كان حاله بعد قتل الحسين رضي الله تعالى عنه لانه قيل انه اختفى ولم يوجد فما لعاقل أن يكذب من عرج به ثم عاد وظهرت عليه علامات الصدق ثم يصدق نبأ من لم يعد ولم يقل قائل انه رآه وقد عرج به على السماء ان هذا لهو الظلم العظيم

الثاني من الوجوه ان قصة ايليا ان حكمنا بصدقها نقول انها هي البرهان الصادق لمن ينكر معراج ابراهيم الذي أنكروه ثم أنكروا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لانه في حال صعوده الذي قالوا انه أتى مركبة اسرائيل وفرسانها . ذاك البحث نخوض من وقت هؤلاء السفهاء في محاوراتهم كما [illegible] الخرافة فانهم يعدون قصة معراج ابراهيم هي من الخرافات الوهمية التي جاءتها كتاب عهد ابراهيم الذي سموه خزانة البدع والخرافات المكذوبة وقد نبذوه من جملة [illegible] لا يجيز لان العربة التي رفعت ايليا هي التي رفعت ابراهيم وما كانت من نار الا ليعلم ابراهيم أن الاله القادر على أن يطوف ملكوت السموات والارض في عربة من النار لا يصيبه منها أذى لهو قادر على أن يجعل نار النمروذ عليه بردا وسلاما

الوجه الثالث اننا نقول انا لو تحاشينا تكذيب أنباء النبيين لما في ذلك من الانكار على قدرة الله ثم صدقنا نبأ ايليا الذي لم يشهده الا شاهد واحد من ذوي القرابة وما شهد معه غيره ركوبه العربة ثم لم يعلم بعد الى أين

ذ... فما هو البرهان على عروجه الى السماء د رع كانت طبقته التي دفن
فيها في مكان مبهم ... تلك امرأة اسم بدليل ... يصعد الى أهله ...
ذلك فان قالوا ان الامارات التي وردت في صادقة في الاجيل ومصدقة مما
أثبته من وقوع التعبير والتبديل فيه نقول ان اكذب القرآن الذي
لم يقع فيه تغيير ولا تبديل ومن نسك ... العروج محمد صلى الله عليه وسلم
وربما أن الله سبحانه وتعالى لم يكرم هؤلاء العروج بهم الى السماء الا
تمهيدا لمعراج محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون لعاقل ان يكذبه وكيف
يكون محلا للاستغراب واستبعاد الحصول فلو ان في القوم عقلا أو
عدلا أو انصافا لما كذبوه وصدقوا ذلك حيث لاحظ لهم في التجديف
ولا في التعذيب بذلك بل هو تجديف صرف عن الحق الى الباطل لما في الصدور
من الحقد وعلامات السوء

الوجه الخامس انهم زعموا ان هذه المعارج هي المعارج الصادقة ثم
جاؤا بالسؤال والجواب الذي صرح به ... الرائقة النقود الصحيحة
ثم قالوا لا يمكن وجود نقود رائقة الا ... نقود صحيحة وانا نقول
ان المعارج التي ذكروها في ... وما قبله وما بعده من التواريخ
هي السابقة لتلك المعارج التي اثبتها الاجيل اذا فتكون أسماء المعارج
المتأخرة هي المكذوبة تطبيقا لصدق المثال المضروب

الوجه الخامس أن النقود الرائقة هي التي لا يتعامل بها المتعاملون ولا
يعتبرها المتعبرون مما يدعو للاتفاق بل يكون التعامل بها نادرا اذ لا يتعامل بها
الا الاغبياء والنادر لا حكم له فلو سلمنا ان هذا المثل ينطبق مفهومه على المعارج
الروحية التي وقعت لبعض المجاهدين من ارباب الرياضات فهل لعاقل ان

مصور بعدما شاهد من صحة الدين القديم . اطلاقه على حال نبي كريم انتشر دينه في الاقطار انتشار الضوء في الآفاق بأقوى مما انتشر دين موسى وعيسى كما هو معلوم مشاهد اذ لو نطق الادكار لشهد بوجه من الوجوه لطرق جمع الادبار . واى مانع يمنع العاقل الذي حسنت ظنونه وسلمت عقيدته من الريب ان يقول ان معراج ابراهيم ومعراج محمد صلى الله عليه وسلم ما كانا الا لانهما معه احا تكريم وتثبيت وهداية وارشاد كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام في مدة البعثة اذ الجبل هو ميقات الصفة والخلوات بين الحبيب واوقات لم يشهدهما شاهد . . . على محب احتلى بحبيبه خلوة نال فيها ما نال من الحظ من غفلة العذول ونعمه الرقيب من شيء

واما معراج عيسى فما كان الا معراج انقاذ واختطاف من ايدي أشرارهم بما هموا به بما لا طاقة له على تحمله وكان ذلك في وقت تركه فيه كل الاحباب . . . الا تلميذ واحد انكره واسلم نفسه وامرأتان وهما الام والخالة فهل لمثل هذا المظلوم المغلوب غير الله . . . الك . . . فما عرج به الا معراج وقاية ولو أن الحق سبحانه وتعالى عرج به بروح عنايته لبريه من آفاته كما أرى ابراهيم ليعود لتبليغ رسالته لما اشتهد عليه مخلوقا ولكن فاقد التمييز لا يفرق بين قاف الوقاية . وعين العناية . فلو أن للقوم عقولا لعلموا أن الله سبحانه وتعالى ما رفع الانبياء الذين رفعهم الى السماء ولم يعدهم الى الارض الا رحمة بهم لانهم ماظهروا الا في أزمان الامم القاسية قلوبهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب وحكمت عليهم سابقة الشقا وانه لمن المعقول أن صاحب الاخلاق الكريمة اذا وجد بين قوم فاسقين فاسدة اخلاقهم يكون معذبا منغص العيش شديد النكد دائم الهم كثير الاحزان

فما كان لله سبحانه وتعالى أن يترك احباءه بين قوم قد تكاثر أذاهم وفسدت اخلاقهم يتقلبون على جمر الاسف ونكد العيش . فان قال قائل ان كل الانبياء كانوا كذلك وما وجدوا الا بين امم طاغين وقد طال عمر نوح حتى بلغ الالف من السنين بين قوم يسخرون منه فلماذا لم يرفع الله كل الانبياء نقول ان الله سبحانه وتعالى ما خلق انسانين منذ خلق النوع البشري متشابهين في الاوصاف خلقا وخلقا من جميع الوجوه بل خلق كل انسان فردا في مملكته الذاتية لا يشاركه فيها مشارك ولا يعادله فيها معادل ولو ان عاقلا نير البصيرة بحث في احوال الرسل لعلم اختلافهم في الشؤن مع اتفاقهم في الدعوة الى طريق واحد . وقد قام نوح يدعو قومه زمنا طويلا بالحكمة والموعظة وما تأذي وما تضجر الا عند حلول الاجل الذي كان فيه موعد اهلاكهم بحكم القضاء المبرم فلو قارنا حاله بحال عيسى عليه السلام الذي كان يعمل الاعمال التي بها توهموه الها اذ كان كثير الفرار من الناس طويل العزلة عنهم . دائم التضجر من احوالهم شديد الشكوى مما هم عليه من القسوة لعلمنا الفارق بين الرجلين وعلى هذا المنوال يكون القياس عند العقلاء الذين يحبون ان يعلموا احوال النبيين فما كان لله سبحانه وتعالى ان يخلق المسيح عليه السلام او غيره من النبيين الذين لا طاقة لهم بمعاناة الشدائد ولا قدرة لهم على سياسة ارباب القلوب الغليظة على فطرة ليس لها قابلية لمصادمة الاعداء ولا لتذليل الجبابرة ثم يتركهم بين خلقه في عذاب اليم فلذلك كان اختلاف الشؤن الالهية في معاملة النبيين فمنهم من اراحهم الله بالموت ومنهم من رفعه اليه ومنهم من اراحه بالقتل ليغنم درجة الشهادة وتكون تبعته على من ظلموه ومنهم من اقام صورته بقيومية جبروت سلطان قهره في العالم

ليظهر معه آثار رحمته التي بها يخرج السعداء من الظلمات الى النور وكان الله عزيزا حكيما . ومنهم من جعله لسان النيرة وصولجان كرة الانتقام فأهلك قومه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) وان في الاشارة . لما يغني عن العبارة . وما كان الخطاب الا لذوي الذوق والتمييز (وما عليك اذا لم تفهم البقر)

(الوجه السادس)

لان قولهم انه لولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع بمعجزات كاذبة الى آخر ما قالوه وما أرادوا به الا تفويق سهام الطعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لجهلهم بالمكافحة في الحروب وكيف تفوق السهام وعجزهم عن تحديد النظر لاصابة المرمى قد أصابت السهام بطونهم فانفجرت وظهر خبثها وريحها المنتن (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) وذلك لان هؤلاء السفهاء لم يثبتوا على حال واحد فيما هم فيه من الضلال والاضلال والفساد والافساد لأنهم في كل كتبهم أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا لم يأت بمعجزة قط وعلى هذا القول يكون عيسى عليه السلام هو آخر من جاء بمعجزة من النبيين فتكون معجزاته مسبوقة بمعجزات غيره فيكونون بذلك القول قد فتحوا أبواب الجحود لليهود الذين الى الآن ما صدقوا عيسى وقد كنا على يقين من كفرهم لما جاء به القرآن من التصديق على رسالة المسيح وصدق نبته والآن قد قام قومه مكذبين للقرآن فلا يجد اليهود اليوم برهانا قويا يقاوم ما ادعوه من انه ابن يوسف النجار وانه كان ساحرا مبينا ولنا الآن أن نقول لو كان نبيا لظهرت عليه علامات النبوة ولساعدتها أعماله حتى لا يكذبه مكذب وحينئذ تسود وجوه

سفهاء المسيحيين حيث لا حجة لهم يقاومون بها أقوال الامتين الا الاباطيل التي اندعوها في الاناجيل التي اعترفوا بأنها باطلة ومنها ماهو مخترع مكذوب ولما استطاعوا أن يقيموا الادلة على صدق ما ادعوه منها صادقا وحينئذ يكون لكل مسلم ان يقول لهؤلاء السفهاء انا معشر المسلمين قد آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لا لأنه جاء بمعجزات ولكن لأنه كان اكمل الناس وأفصح الناس وأكبرهم همة وأوفرهم عقلا وأعظمهم علما وأوسعهم علما وأعدلهم احكاما وأرقاهم في درجات التدبير سياسة ... لم نسمع بمثله في النوع الانساني من عهد آدم الى الآن فعلمنا أن حكمة الحق سبحانه وتعالى تعالى عن أن تخلق انسانا كريما مثل هذا الانسان وتتركه هملا فلذلك صدقنا أقواله وتابعناه في أعماله منقادين لأوامره التي لم نعلم لها معادلا في العدل ولا مساويا في التقويم ولئن جئتم تجحدونه بما زعمتموه من أنه تناول ... من أقوال الامم السابقة ظنا منكم ان هذا يكون سببا لنقص محبتنا له ونقض العهود التي بيننا وبينه فما ازددنا فيه الا حبا وما زادتنا افتراءاتكم الكاذبة الا يقينا حتى وان كانت صادقة لأنكم بذلك ... أثبتم أنه جمع بين العلم الوهبي والكسبي وانه كان كثير الاطلاع واسع العلم ولو انه جاء بهذا القرآن الحكيم من عنده الذي لم يأت بمثله موسى ولا عيسى ولا أحد من الخوارق لكان ذلك كناية له في المدح وكمال الشرف ورفعة المجد الذي لا يعادله فيه معادل بل لو كنا أمثالكم في درجات الجنون لترهبناه الها لاننا لو قابلنا القرآن بكل الكتب المنزلة لظهر لكل مطالع منصف انه هو الاوضح والابلغ والاجمع للحكمة والاقوم في التمثيل وانه لا يخلى ... أهل الذوق الا غافل عن كل ما يشتهي واذ ذلك يكون

فما قلنا أن يقول لكم بعد أن تضاهي بين ما جاء به الحكيم الذي زعمتم أنا هو وأشباهه في السماء ان الذي جاء بقرآننا أقدر يا كبر وأعظم من أن يكون بينه وبين الحكم أدنى نسبة يوهمها المتوهمون انه يجاريه في الحال والحكمة اما فاذا تقولون باسفهاء الاحلام وباستخفاء العقول ويامرضى القلوب ويا أعداء المروءة ويا حلفاء الريح ويا نساء ابليس انكم اذاً لمن الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وانا لنترك الكلام في شأن عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم الآن حتى نصل الى موضعه من هذا الكتاب في الجنة ان شاء الله تعالى ثم نعود الى ما كنا فيه فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

لقد قلنا فيما تقدم ان الرياضة التي هي بمعنى تهذيب النفوس هي روح المعارج وسلم العروج لارواح المريضين وقلنا ان طائفتي الفلاسفة والصوفية قد اتفقتا على ان الرياضة تمكن المريض من العروج الى الملكوت الساوي وقلنا انهم قد اختلفت في ذلك شؤنهم ووعدنا بيان ذلك الاختلاف وقد آن أوان ذلك البيان فنقول

لقد انقسم أهل تلك المعارج الى ثلاثة اقسام كما ذكرنا فمنهم الصاعد ومنهم النازل ومنهم الذي وقفت به همته فأصبح من النادمين والى الحالين الاولين يشير قوله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين) وقوله (ان كتاب الفجار لفي سجين)

وما كان اختلاف أولئك القوم في الشؤن الا لاختلافهم في النوايا والاحوال لاختلاف القوابل والاستعدادات والله على ما أقول وكيل

وبيان ذلك يشير اليه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من

يريد الآخرة) وقوله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من خلاق) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)

فكان من القوم من روض نفسه بالكف عن الشهوات والأعراض لكي يتهيأ بذلك الى الاحاطة بالمعلومات الكونية فيكون في أرقى درجات العلم الكسبي حتى اذا ما وقف على حقائق المعلومات كان له الحق في أن يتصف بوصف حكيم الذي هو مدلول لفظ فيلسوف في لغة من اللغات وهذه هي حال الطائفة التي اذا مات منها فرد من أفرادها وكان ذا نفس قوية انتهى سعيه الى أعلى مراتب التصورات المحسوسة من طريق التخيل والظن فظن انه هو الاله الأكبر وقد عرضت تلك المعلومات لابراهيم عليه السلام في مبدأ أمره فتداركته عنايته الالهية واخرجته من هذه الطريق الضيقة المسلك الى طريق السعادة كما حكى الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) الى أن قال (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) وعدد من أهل هذه الطائفة الذين اتبعوا الطريق ... عليهم الخوف وطنوا انفسهم المرتدون. وما كان لنا أن نتكلم على أحوال هذه الطائفة الآن لانا في طريق تقتضي الوصول الى نهايتها بيانا وايضاحا حتى تتبين الرشد من الغي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فمن كان هذا حاله كان من الذين ردوا الى اسفل سافلين بعد رفعهم في
المعراج الروحية واليهم الاشارة بمثل قوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين)
لان الذي يدخل دار الخلافة متسللا بلا اذن ولا مرشد لا ينتهي امره
الا الى الطرد والخزي لانه معرض نفسه للسير والتحول فيتيه بل ربما قوبل
بالنهر والزجر العنيف والله لا يحب المعتدين

وأما الفريق الثاني وهم الذين وقفوا موقفهم الموسوية فهم صمدوا ولا
زلوا فأصبحوا بدعمهم هم الذين كفوا نفوسهم من شهوات حدود الوقوع
في المناهي الشرعية يصلون بذلك الى رضوان الله تعالى والى الاقتدار على
سلوك طريق المحجة التي هي سبيل الاخلاص التي لا يسلكها الا من امتطى
الجواد الذي صرحنا به الشرقي في كتابنا المسمى (تحفة العقل والدين في الرد
على سفهاء المتمردين) وهؤلاء هم الذين للاسلام الذي رضيه الله لاحبائه
أنبيائه كافة اورسله ومؤمنين من أول فرد من أفراد النوع الانساني
الى أن تنتهي مدة الدنيا فلهم [illegible] كل هذه الجهة ترقى الى الخلافة الكمالية
من طريق الفتوحات الربانية [illegible] الالهية [illegible] ويسعدونه [illegible] هذا الت
موقف الضعفاء عادة أن ورد مورده مرة ووصل [illegible] فيغدو
كظمآن عاقه عائق عن ورود ماء علم أنه قريب منه من المورد عذبة وقد
وردها الواردون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

وأما الفريق الثالث وهم أهل الاختصاص الذين منهم الرسل والانبياء
وأكابر الاولياء الذين هم الورثة للنبيين فهم الذين لا يزالون في رقي وصعود
حتى لا يبقى بينهم وبين مطلوبهم الذي هو أم المطالب الا قدم واحد
وذلك القدم هو المشار اليه بقوله تعالى ثم (دنى فتدلى فكان قاب قوسين

او أدنى) وتلك المعارج منها ما تكون عن رياضات وهي معارج أهل المجاهدات ومنها ما يكون اصطفائياً وهي معارج الرسل الكرام ومن سبقت لهم العناية من المقربين الذين أصبحت سيآتهم حسنات الابرار ومن أراد أن يعلم كيف تكون حسنات قوم سيآت آخرين فليطالع من كتاب الفتوحات مقابلة المقامات بأضدادها التي منها ذلك "لان الكامل الذي عرف أنه مربي العارفين متقدماً هناك مبيناً حال المتوكل مثلا ثم يرجع الى بيان حال المتوكل . وهكذا عمل بكل مقام من مقامات السالكين فمن سلك تلك المقامات كان من الابرار ومن ترقى الى اضدادها كان من المقربين فتكون تلك الحسنات بالنسبة الى هؤلاء بمنزلة السيآت والله يقول الحق ويهدي السبيل

وما أوردته هنا من الكلام الا ليعلم أولوا الالباب أن منح الاصطفائية التي دعى الله اليها أحبابه ليطلعهم على عجائب مملكته لا تقاس بها المعارج الروحية التي يتلقاها الذين يسمون على أي حال كانوا أي سواء كانوا سعداء أو أشقياء وكذلك لا تقاس المعارج الاصطفائية بعضها الا قررناه سابقا اذ قلنا أن منها ما يكون ناحية العناية ومنها ما يكون ناحية الوقاية كما سبق بيانه ووصل لشكوكين وقد كنا مكتفين أيها الاخوان بأن نبصر القوم الذين جعل الله على أبصارهم غشاوة حتى يتبينوا الامر على ما هو عليه لا في ذلك من معارضة الاقدار الالهية في أعمالهم ولكننا نسطعين بارشاد من شاء الله أن يهديهم والله لا يهدي من هو مسرف مرتاب

فليعلم العقلاء منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الا سراجا منيرا داعيا الى الله باذنه ولقد بينا لكم من قبل قليلا من فوائد

ـ به وسنأتيكم بأكمل ايضاح في النهاية والله ولي التوفيق والهداية فمن
رجاء منكم من نفسه ثمانية ارتياب في ديـه أحدثتها تمويهات هولاء
الضلال فليطالب هؤلاء المنكرين ببرهان التكذيب فان مدعي الصدق منا اذا
لم يجد برهانا يساعده على صحة دعواه الا الشهرة والتواتر والاجماع لكان
له الحجة الدامغة اذ لا نجد منتسبين لأي دين دليلا على صدق دينه الآن
الا هذا البرهان وما المكذبون فقد جاؤا ببهتان عظيم

فان قالوا نحن لم نعرف ماهو المعراج الا من أنباء المتقدمين كما زعموا
نقول ليس الشأن هنا دعوى معرفة اسم المعراج ولكن الشأن هل عرج
به أم لا وذلك أمر ادعاه بين قوم عقلاء فصحاء أهل نباهة وادراك وقد
حاجه في تلك الدعوى الغالب منهم وأقام لهم البراهين الدالة على صدقه
وصدقوه وآمنوا بأنه ما حدث الا بما رأى وما كان الخلاف بين علماء
الامة في العروج هل كان أولم يكن ولكنه كان في حاله هل كان بالروح
أو الجسد وسنتكلم على ذلك بما يقنع كل مجادل

وان قالوا ان الامور التي شاهدها في السماء لا يقبلها العقل وما هي
الا منقولة عن خرافات المتقدمين كما زعموا نقول ان نبأ المعراج جاء
من طريقين طريق القرآن وطريق الحديث فاما طريق القرآن فقد
أجمل انه في الاخبار به كل الاجمال كما نعلم من مطالعة الآيات التي
جاءت في موضوعه في سورة الاسرى وفي سورة النجم ولقد علم العقلاء
صدق القرآن من طريق اليقين التي لا يتخللها ريب بوجه من الوجوه
اليقينية وما علينا من هذي المجانين من بأس

واما طريق الحديث فقد ثبت منها صدق العروج والاسرى بكل

حديث منقول في هذا الشأن وما كنا مكذبين بأي حديث سمعناه منها سواء اتصل سنده ولم يتصل لموافقة كل الاحاديث للكتاب والسنة وهذه هي القاعدة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ونبين لحديثه الشريف وما علينا من بأس في قبولها كلها اذ العقل السليم لا يجد مانعا من قبولها وذلك لوجوه منها ما ذكرناه قبل من ارتباط العالم العلوي بالسفلي وجواز حلول من تتوفر فيه شؤون القوابل والاستعدادات في أيهما حل كما سبق ايضاحه لان الله سبحانه وتعالى ليس بعاجز عن الاتيان بخوارق العادات ولو بحثنا في كل مصنوعاته لوجدناها كلها على غير مثال معهود ومن زعم أو يزعم أن قدرة الله تحكم عليها الطبائع والعادات فما هو الا كافر جهول ولقد أشار الحق سبحانه وتعالى الى عظم قدرته بمثل قوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فمن كان مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الموجد لجميع الموجودات ثم شك في قدرته على أن يبدل حالها فليس بذي عقل ولا فكر سليم

اذا فليس من المحال رقي من اراد الله من البشر رقيه الى السماء بأي حال يريد

وعلى هذا يسوغ لنا أن نتناول جميع الاحاديث الواردة بالقبول والتسليم وان وجدنا فيها تناقضا فعلينا الا التأويل لدى يزيل التناقض ان استطعنا اليه سبيلا ولكن أهل العدوان ربما أولوا آيات القرآن الحكيم التي لا تقبل التأويل الى ما يلائم أغراضهم وقد صادفهم حديثان بينهما خلاف لفظي شنوا الاغارة على الرواة ظلما وعدوانا وما الله غافل عما يعمل الظالمون .

جاء القوم السفهاء ينكرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بعثه ويجحدون المعرج جهلا بشؤن الالوهية . وتعجيزا للقدرة العلية واتباع الهوى واستزادة لا وراثة التعصب الى الذي أركس الجهلاء في جهنم جميعا لما سمعوه من أنه رأى آدم وغيره من الانبياء الى آخر ما أوردوه ثم سموه خرافا

وانا لمرشدوكم يا ايها الاخوان الى معالم الحق المبين لتقعوا في مطالعة مؤلفات هؤلاء الجهلاء عند حد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وما من نادم تحيط به حسراته يوم القيامة وتطول عليه زفراته أشد ندما ممن يصيب بسيآت ظنونه الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو ينكر على أولياء الله احوالهم وما من غريق للجهلاء اسلم من طريق تسليم الاحوال لاهلها واتقى بالجهلاء اهل الغي والزيغ الذين اضلهم الله على علم واحاط بهم الغرور والطيش فظنوا ان اولياء الله كاذبون وان قدرة الله لاطاقة لها بقلب العادات طبيعية التي عليها الاشياء جهلهم بانها حقائق لايمكن قلبها وما علموا انها في الحقائق اذ لا يحيط بحقائق الاشياء علما الا موجدها وما اجهل من يجهل كثيرا ما في نفسه ويدعي علم ما غاب عنه والله على كل شيء وكيل

فاما استنكار القوم عروج بالجسد فما هو الا جهل مهلك وضلال بين وذلك لاننا لو سلمنا صدق الحديث الوارد عن عائشة عليها السلام فلا نجد فيه وقعة توجب الشك في صدق الحديث النبوي لانه من المعلوم انها ما كانت تقضي ليلها منبقظة حتى يقال انها جاءت مكذبة للاحاديث

ولكنها ما شهدت الا بما علمت ولو قلنا انها لم تنم في تلك الليلة لكان لقائل ان يقول ان قدرة الله صالحة لان يمثل لها مثال نائم كيلا يزعجها فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم تجده كما انه لا حرج علينا ان قلنا انه أسري به بروحه حالة كونها متجسدة كما تتجسد الارواح النورانية ولا يهولنا مسألة شق صدره وغسله بماء زمزم وافراغ الحكمة فيه فان ذلك امر كان ملكوتيا لا يدري كيف كان الا من تولاه من الملائكة اذ من المعلوم انه لم يكن عمل طبيب جراحي ولا فتكا بغاية جارح كما توهمه اهل الفسوق والجدل ومتى كان أمرا ملكوتيا لا يستبعد وقوعه للجسد البشري او للروح المتجسدة الا كل غبي معتوه لان الاله القادر على رتق وفتق الاجساد الطبيعي الذي يحصل بالآلات الجارحة يعود الجسد على ما كان عليه بالحال التي لا يعلمها احد غيره الا من طريق النقل قادر على كل ما يريده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

وانه لمن المسلم ان المعراج ما كان له من داعية الا ما اراده الله سبحانه وتعالى من اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على عجائب مصنوعاته ليكون اذ ذاك الذي هو بمعنى العلم هنا علما عيانيا لا تخالط أنواره ظلمات الشبه بوجه من الوجوه وليخبر أمته بما هو الامر عليه في الشؤون الغيبية التي ضل عنها أبو العلاء المعري فقال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

يحطمنا ريب الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد له سبك

ضاحكا من قال منهم أنه * في سعة من مائه أو في نار

وماعني بقوله منهم الا الاموات ألا فاعجبوا لغباوة ذلك الضال وقد كان أزكى أهل زمانه ولفساد فكره اذ كذب انباء النبيين وانكر البعث بعد الموت محتجا بذلك القول الفاسد مع علمه بأن النائم لا تصل اليه انباء

ب حوله من المشتغلين محال من الاحوال كما لا يصل بما ما يراه في نومه
اسم وهو بجسمه ونصب أعينهم مع أن روحه لم تفارق جسده مفارقة
كلية فكيف اذا كان حال الميت الذي انتقلت روحه الى عالم غير الذي
كان فيه تزول بجامع طامع عاقلا كان أو معتوها في أن تصل اساؤه اليه
مع تباين الحالين تباينا كليا ولذلك أرى الحق سبحانه وتعالى نبيه أرواح
النبيين متجسدة بالحال التي شاهدها ليعلم هو وأمته علم اليقين أن البعث
ذ... وبه تم ... محال آدم عليه السلام الذي ... اياه مع بنيه
ليعلم كل من بلغته دعوة الرسالة أن الجزاء لا بد منه ثوابا وعقابا وما كانت
أعمال الله سبحانه وتعالى بجالية عن حكم عليه فويل يومئذ للمكذبين
وان من عجائب الصادق أن الامام ابن عربي محيي الدين رضي الله
تعالى عنه كان يطوف حول الكعبة والناس في شديد ازدحام فرأى من
عن ... الكعبة روحه متجسدة في طواف تخالل أجساد الطائفين وهم
لا يشعرون بحسن طره عليها حتى أدركها وقال لقد لك الحمد من انت
... حمك الله فقال له أنا السبتي أحمد هارون الرشيد وقد كان غلب زمانه
سأله عن أشياء واجابه عنها ثم غاب عن بصره وما ... مكانه
وكثيرا ما يرى أولياء الله لا رواح متجسدة ويخاطبونها ولكن أهل الزيغ
في ضلال مبين

وليعلم كل منكم أيها الاخوان أن النوع البشري ما حمل امانة
أصعب ولا أشد خطرا من تبليغ الرسالة ولا يكلف الله سبحانه وتعالى
بها الا من علم منه القيام بأداء واجباتها علما وحالا وقولا وعملا ولا يكون
هكذا الا من علمه الله واطلعه على كثير من أسرار الربوبية اطلاعا مبالغا

ليكون متثبتاً في أمره صادقاً في عزيمته داعياً اليه على بصيرة من الامر وما كان المعراج روحياً كان أو بدنياً الا لهذه الدواعي وعلى أي حال كان به العروج فما كان الا محمولا حملا ملكوتيا يجهله الزائغون و ينكره المضلون وما كان البراق الذي حمله من الدواب التي تشارك المنكرين في أوصافهم البهيمية من أكل وشرب و براز وما كان مسرجاً ولا ملجماً بما تسرج وتلجم به الدواب ولكنها شؤن ملكوتية لا يعلم كيف كانت الا بارئها ومبدعها (فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

وان من أعجب ماوقع من هؤلاء الضلال أن قالوا ان بسم الله الرحمن الرحيم مأخوذة من كلام بعض الكتب القديمة المحتوية على رسائل كان أول كل رسالة منها بسم الله المعلي الغافر الرحمن العادل فلو فرضنا أن البسملة كانت في كل كتاب منزل أو غير منزل بحروفها والفاظها هذه فهل يكون وجودها في القرآن قادحا في صحته وهل جاء القرآن بطريق في العبودية والآداب تخالف طريق النبيين والكتب السماوية وهل افتتح صاحب تلك الرسائل رسائله بهذا القول الا بالهام من الله او نقل عن رسول من رسل الله او لكون الرسائل منزلة

وعلى هذا يجب على المؤمن الحق ان يسأل اهل الباطل بقوله اذا كانت البسملة كما تزعمون وقد علمنا بركتها واسرارها واتخذناها مفتاحا لكل عمل نرجو بركته والانسان لا يعامل الا بظنه ونيته وقد اصبح حالنا في اعتقاد البسملة وجميع آيات القرآن يقينيا لا ظنيا انه من عند الله . فما حالكم ايها السفهاء في كلمة الكفر التي افتتحتم بها عباداتكم اذ تقولون

بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد مع علم كل عاقل ان تعدد الآلهة ممنوع وانه لايكون الابن ابا ولا الاب ابنا ولا يجتمع الوصفان في موجود واحد الا اذا كان الأب ابا لغيره والابن ابنا لغيره فتم التناسل والتسلسل يصح ان يكون الأب بعد ما كان ابنا صار أبا كما هي حال البهائم والآدميين وجميع المخلوقات فكيف اذاً تتصورون كون الأب ابنا وأباً ومعها ثالث ويكون الكل واحدا فان كان التصور معقولا ندركه المتصورون فقرروه لنا تقريرا ندركه من طريق التصور . وان كان ذلك امرا وهميا فبثونا بأي طريق توهمتموه

ألا قاتل الله الغبي وقومه * ومن كان ميالا لتي غباوته
ولاسر يوما بالغبي صديقه * ولا فرحت بالوعد افت لخالته

ثم قال الا لعنة الله على الظالمين الا هل من قائل لهؤلاء الاغبياء اتنكرون القيامة وما فيها ام تعترفون بها وما فيها فان انكروها علمنا انهم من الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا وظنوا انهم الى الله لا يرجعون ومن كان هذا حاله كان هو وعبدة الاوثان سواء فلا حاجة لنا بجداله . وان اقروا بصدق القائلين بالبعث والنشور فيسألهم السائل عن حال القيامة كيف يكون ومن أين رصلتهم أنباؤها واذا لم يكن فيها نار ولا جنة ولا ميزان ولا صراط فماذا يكون فيها فان أجابوا بوجود أشياء غير التي جاء بها القرآن فليقل لهم بأي حال تميزت أنباؤكم عن أنباء القرآن حتى يكون الوثوق بها أقرب من الوثوق بآيات الكتاب الحكيم فان قالوا ان الانجيل صادق الانباء فليقل لهم انه قد تشابه على الناس أمره بمغايرة بعض الكتب لبعض

واعترافكم بأن من الاناجيل ما هو مصطنع ومكذوب ثم يقول ما أ
السفهاء ما وجهتكم في تكذيب أسفار ماطعنتم على أصولها وما [illegible]
من الله تكذيبها لكم والله في ضلال مبين فهل كانت [illegible]
للأنبياء التي تناولها القدماء عن [illegible] في [illegible] ام [illegible]
بالمسيح [illegible] في كفركم بآيات الله ورسله أم انتم [illegible]
الزائغين الذين افتتنوا [illegible] فاصبحوا حائرين
ثم قال واعجبا لطغيان من لا يستحي ولا يخاف كيف [illegible]
وبئس الورد المورود فأم لقوم السفهاء [illegible] أن سلمان [illegible]
الله تعالى عنه كان أحد المعلمين لمحمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
ه فهل من عاقل يرى هؤلاء الضلال [illegible]
أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وأعقل منه وأوفى [illegible]
منزلة فلماذا لم يكن عند القوم [illegible]
لم يدع انه صاحب الفضل ولماذا لم تأتونا [illegible]
استفادها محمد صلى الله عليه وسلم من [illegible]
يكون ذلك مع ما هو معلوم أن [illegible] الصحابة كا
يستفيدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجون اليه من
التعاليم والآداب وهل تكون استشارته له ما كان الدبنيق دليلا على انه
كان يعلمه القرآن اولم يقل له ربه (وشاورهم في الامر) ألا فعل من
صاعقة كصاعقة عاد وثمود [illegible]
المجانين تختطف كل من تعالى [illegible] مجال الجحود الى حد
لا يخاف فيه لومة لائم ([illegible])

(الكلام على الفصل السادس)

قل للنزيل وقد طالت اساءته ✱ يامزعج الجار لاحييت من جار
أترك هواك وكن للرشد متبعاً ✱ فظلمة الغي قد تلقيك في النار
أتدعون وأنتم مظلمون كي ✱ تنوبر أفهام أهل النور ماقار

ثم نادى ذلك الرجل اهل ذلك النادي وقد غربت شمس ذلك اليوم ونادى منادي الصلاة حي على الفلاح قائلا أيها الاخوان لقد أمسينا وأمسى الملك لله الواحد القهار وسنصبح ان شاء الله نحن وأنتم في كنف الله وفي كنف رسول الله وفي كنف القرآن العظيم وفي كنف بسم الله الرحمن الرحيم .

ثم قال لقد افتتحنا يومنا هذا باسم الله وبحمد الله اختتمناه فبكروا في الغد بكور الغراب فما اجتمع جماعة من المؤمنين الا وفيهم ولي الله لاهو يعرف نفسه ولا القوم يعرفونه ثم انصرف قائلا عند سماع الاذان اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك اغفر لي اللهم احيا مؤمنين طائعين . وتوفنا مسلمين تائبين . واجعلنا يوم الفزع لاكبر آمنين . وثبت اقدامنا على الصراط المستقيم وادخلنا برحمتك وكرمك في جنات النعيم يابر يارحيم ياحليم يا كريم

ثم لم تشرق شمس الغد من هاتيك الليلة المباركة الا وقد تم الاحتفال واستقبل القوم قادمهم الى ا... بشاشة ال... ل وهشاشة الترحاب فجلس مكانه بالامس ثم استدعى ذلك المؤلف وقال . اللهم اني اسئلك الآن أن تدفع عني كيد الحاسدين وظلم الحاقدين وشر المعاندين واحمني تحت سرادقات عزك يااكرم الاكرمين وباعد بيني وبين اعدائي كما باعدت

بين المشرق والمغرب واخطف عني ابصارهم بنور قدسك واضرب رقابهم بجلال مجدك واقطع اعناقهم بسطوات قهرك . واهلكهم ودمرهم تدميرا كما دفعت كيد الحاسدين عن انبيائك . وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك وقطعت اعناق الاكاسرة لاتقيائك واهلكت الفراعنة ودمرت الدجاجلة لخواصك المقربين وعبادك الصالحين فنجني واعني على جميع اعادي انك على كل شيء قدير . اللهم من كادنا فكده ومن تعدى علينا فخذه ومن ارادنا والمسلمين ضررا او سوءا فيا غياث المستغيثين فانه لا يعظم عليك يا رب العالمين

ثم تأمل في ذلك المؤلف طويلا وقال بعد ما تبسم ضاحكا متعجبا من سفه القوم وسوء اختيارهم . لقد صدق القائل ان اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وما اوقع هؤلاء القوم في مهواة هذا المقت لاسيما الذي ارتكبوه في حرم جيبه فالبسوا الحق بالباطل لا خسة الطباع التي الجأتهم الى الطمع فيما لا مطمع فيه بغير تمييز بين النافع والضار ولقد قيل رأس العقل التمييز بين الجائز والممتنع واني لاعجب من هؤلاء الاغنياء كيف يرزقون ولكن الامر كما قال الشاعر

يعاش الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تجري على الحجا * هلكن اذا من جهلهن البهائم

ثم قال ما ابين حماقة وما اضره باهلها وما من حماقة اعظم ضررا من حماقة من جاء يهدم قواعد دين قويم متين مضى عليه ثلاثة عشر قرنا وهو متين الاركان قويم البنيان . وهل تعمل معاول الزيغ والزندقة في قوائم الحق القويم شيئا الا ان هذا هو الضلال البعيد

قيل لبعضهم ايسرك ان يكون لك مائة الف درهم وتكون احمق قال لا والله قيل ولم قال لأني أخاف أن يجني علي الحمق جناية تذهب بالمال ويبقي الحمق . وقال بعضهم من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه . ويهين نفسه في اكرام دنياه . وهل من عصيان اكبر من معادات سيد المرسلين وهل من اهانة أشد ضررا من التقرب الى جهنم بافساد عقائد المسلمين

ثم قال واعجبا لحليف المزابل كيف لا يقع الا في أعراض الملوك وهل من الأدب أن يفتخر جاهل بسعة جاه الانبياء وبنسبته الى بعضهم مجرد انتساب ديني مع ما هو عليه من قبح الاخلاق وقد قال القائل

أيها الفاخر جهلا بالنسب انما الناس لأم ولأب

انما الفخر بعلم راجح وبأخلاق حسان وأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته (اعملي يا فاطمة فان محمدا لن يغني عنك من الله شيئاً) فكيف اذا يسوغ لهؤلاء الجهلاء . التفاخر بالانتماء لدين المسيح وما علموا ما هو الدين ولو أنهم تدينوا بدينه الحقيقي لأنزلوا الناس منازلهم ولما خاضوا في ما ليس لهم به من علم ولا لآبائهم ثم اشتد غضبه فقال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ولقد ورد في كلام النبوة . من لا حياء فيه لا خير فيه . واذا لم تستح فاصنع ما شئت

ولقد علمتم أيها الاخوان ما كان عليه المسيحيون والمسلمون من الروابط الودية . من عهد النبوة المحمدية . حتى الآن وعلمتم ما كان منه سفهائهم في هذا الزمن اذ جاؤا من السب وسوء الأدب بما لم يأت به من

أسلافهم الا بعض افراد كانوا من حلفاء الطيش والفتون وما كانوا الا ممقوتين في أعين عقلاء تلك الأمة وما كان لهم من سيرة تذكر. ولا من أخبار تنشر. واما سفهاء هذا الزمن منهم فقد قذفوا بأنفسهم في مهواة الهلاك من حيث لا يشعرون وما كان لحالهم فيما جاؤا به من الاضاليل من شبه الا حال سفينة جاورت كراما قد أحسنوا جوارها وعاملوها بما تقتضيه اخلاقهم الطاهرة فكانت كلما آلوا الى اكرامها أضمرت لهم الاهانة حتى قويت شوكتها فأطلقت لسانها عليهم بالسب والقول الفاحش واستعملت معهم كل قسوة وفظاظة وخيانة وقامت تدبر كل حيلة لكيدهم والله لا يهدي كيد الخائنين .

لقد جاء القوم في هذا الفصل السادس بما يضحك أولي الالباب وما محصله الا أنهم استدلوا على أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا عقلاء وكان منهم في زمنه من يسخر من الاوثان وعبادة العابدين لها ويعترف لله بالوحدانية ومنهم من كان على علم بدين ابراهيم عليه السلام. وانهم كانوا يحثون كل البحث على الاديان الصحيحة. وذكروا ابياتا لبعضهم في هذا الشأن تدل على أن صاحبها كان ذا خبرة بالدين الحنيفي وكان يوحد الله وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخذ عقيدة ذلك الرجل عمدة في اقامة دينه وزعموا أن آراء زيد بن عمرو أثرت على دين محمد تأثيرا عظيما وأنه استغفر له ولم يستغفر لأبيه وما ذلك الا لأنه كان يساعده على مباديه الدينية الى آخر ما زعموه . ثم اعترفوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالمهارة والزكاء ووفرة العقل وحسن السياسة . ثم اعترفوا بأنه اتى من أحكام التوحيد بأمور نافعة بعد ما جاؤا بما جاءت به صاحبة منار الحق الخاطئة من أن آيات القتال الواردة

في القرآن الكريم دلة على أنه من مخترعات محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا
كله دعوا الناس الى تلاوة الانجيل ومتابعة المسيح عليه السلام والاعتراف
بألوهيته الى آخر ما جاؤا به من الخرافات التي تزري بقدر من يتفوه بها ان
كان السامع عاقلا وله من الذوق نصيب يدرك به ما أضمره المتكلم من فحوى
الكلام اذ الكلام ماهو الا صور تتجسد بها أرواح ضمائر المتكلمين . فتحتذيها
اوعية الآذان لتعرضها على نقاد تصورات المخاطبين ، فلا يقبل ما كان منها
معلولا لا من لا يحسن التصور والله يقول الحق و يهدي السبيل

زعم السفهاء من القوم فيما قبل هذا الفصل أن أنباء عاد وثمود واصحاب
الفيل كانت من الخرافات المعروفة في قريش وانها كانت تذكرها
العجائز في أندية صباحاً ومساء الى آخر ما زعموا وانه لكلام مدهش
لا من طريق أنه ضرب من الجنون لا ولكن من طريق أنه صدر من
قوم جاؤا بأنباء كثيرة من كتب متفرقة وأوردوها بتواريخ وغر تثبت صحة
وجودها في تلك الكتب أثبتوا بذلك أن لهم في الاطلاع والمعرفة القدم
الثابت والنظر الواسع ولكنهم لما ادعوا دعواهم الباطلة في أنباء عاد وثمود
وأصحاب الفيل أحدثوا في العرب شكاً في حالهم يفيد أن النصوص التي
جاؤا بها في مؤلفهم ما هي الا تعاليم فيلسوف ماهر زنديق ألقاها اليهم
ثم تركهم في خوضهم يلعبون لانهم لو كانوا أهل اطلاع ونظر وكانت لهم
قلوب يفقهون بها لسبق الى فكرهم ما أدركه المطالعون لاقوالهم الزينية
الآن من أنه لو كانت أنباء عاد وثمود معلومة هنالك في قريش كما زعموا وكانت
من تخاريف العجائز منهم لكانت هي الضربة القاضية اذ ذاك على رسالة من
جعلها قرآنا وادعى أنها من الوحي السماوي ولكانت سببا في نفور من آمنوا

به منه . ولقالوا له مقالة قوم موسى لموسى ما حكاه الله عنهم بقوله(قالوا اتخذنا هزوًا) فأجابهم بقوله (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) فهل لعاقل أن يتصور أن رجلا عاقلا كاملا شهدت له بالزكاء ووفرة العقل ومكارم الاخلاق وحسن الآداب اعداوٌه . وشهدت برفعة من اقتفى أثره الى ذروة المجد أحباوٌه يصدر منه عمل كهذا العمل الذي زعموه فيأتي بخرافات سمعها الاطفال من عجائز الحي كما زعموا ويدعيها وحياً بين قوم عادين منكرين متكبرين وبين أمة آمنت برسالته لما تحققوه من كمال عقله ونزاهة أخلاقه تالله ان هذا التصور لا يكون الا من ذي عقل مفقود وجنون مشهود أو اضلال مقصود (فما لهوٌلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا) وان تعجب فعجب قولهم ان نبأ اصحاب الفيل من الخرافات مع أن تلك الواقعة الشهيره النبأ ما كان بين الزمن الذي كانت فيه و بين زمن البعثة الا اعواما لا ينقرض فيها كل من شهدها وما كانت تلك الواقعة الا في مواطن قريش و بين منازلهم اذًا فيكون تكذيب هوٌلاء الضلال لجميع الانباء ما هو الا من هذا القبيل وانهم اذًا لهم الكاذبون لأننا لم سمعنا بمن كذب واقعة الفيل من كفار قريش الذين كذبوا القرآن والرسالة وجحدوا الألوهية وكانوا كلما جاءهم بآية قالوا ان هذا الا افك مبين . فكانوا هم الاحق بتكذيبه في دعوى وقوعها والوقوف في وجه قائل ذلك القول وقوف المجادل المحق وربما كانت تنهار دعائم دعواه اذ ذاك بتلاطم أمواج ذلك الافتراء المتتابع الذي ما جاء بمثله مخلوق غير المشعبذين الذين لا حرفة لهم غير الاباطيل واختلاق ما لم يخلق . وهل لمتصور أن يتصور أن انسانا يدعي دعوى باطلة بين أقوام عقلاء أهل نباهة ثم يبني قواعد دعواه الباطلة

على الاكاذيب والخرافات المتداولة بينهم ثم يغدوا مؤيداً منصوراً في الحياة وبعد الممات ثم تمكث دعوته ألف عام وثلاثمائة عام. وهي مرفوعة الاعلام كأنها غرة في جبهة الايام أظن أن ذلك المذي لا يحوم حول دائرة التصور بوجه من الوجوه الا هل من متأمل. الا هل من منبصر قوي الشوكة ذي ساعدين يصفع بهما وجه كل طليل مهبول

قام القوم الضلال بين تسان أزمانهم وفي وجوه جهلاء العامة في اوقاتهم قيام الفتيان الذين اغتصبوا حرفة الرافضات وأخلاق الباغيات فأصبحوا ممقوتين في أعين الخلق والخالق وانها لحرفة تشين الاحوال. وتزري بالرجال لا خجلين ولا خزايا يقولون ما نقله عنهم أصحاب هذا المؤلف وما كان لهم أن يتبعوا آثار هؤلاء السفهاء الذين جاؤا بما أوردناه مجملا وسنأتي به مفصلا فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ذهب القوم الذين ما شبهناهم بمن وصفوه العوام بوصف الحول الا لجرأته على الفظائع وعدم المبالاة والاكتراث بلوم اللائمين واعتراض المنتقدين الى أن قربنا كان منهم من هم الموحدون والباعصون لعبادة الاصنام وزعموا أن أولئك القوم الذين كان عددهم أربعة أشخاص كما زعموا كانت اعتقاداتهم هي مبدأ أصول الدين الاسلامي ثم أوردوا شعر زيد بن عمرو دليلا على ذلك وأبدوا ذلك الدليل بأن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له ولم يستغفر لأمه وقالوا انه كان ممن لهم اليد الطولى في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم

ألا فاعجبوا أيها الاخوان. من هؤلاء الحوان. كيف أودى بهم الجهل وأداهم الى أن لا ينظروا كيف تكون عاقبة مكرهم فكأنهم ظنوا أن

لا يصغى لما قالوا الا من لاعقل له فوهوا بأباطيلهم تمويها لا يتوهم صدقه الا كل غبي مفتون وذلك لان الشعر الذي أوردوه لا يؤتى به برهانا الا على من يدعي أن الله سبحانه وتعالى ما كان معروفا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانه ما كان على وجه الارض من موحد قبله اذا فيكون لمورد ذلك الشعر أن يقول له كذبت لان زيد بن عمرو كان من الموحدين وكان قبل محمد . ولكن هذه الدعوى لم يدعها مدع لا في زمن محمد ولا في ما بعده اذ اليهود كانوا موحدين لا يعلمون لله شريكا وكم من أمم انبياء ورسل كانوا موحدين قبل نبوة هذا الرسول الكريم وكم كان في الكون من أديان مختلفة وكان الغالب من أهل تلك الاديان يعتقدون وجود الله ووحدانيته حتى أن عبدة الاوثان كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) كما ذكرنا سابقا فأي وجه لهؤلاء الضلال في الاستشهاد بتلك الاشعار أو بعقائد هؤلاء الاشخاص الذين ذكروهم أولم يعلموا أن الله الفاعل المختار كلما اقتضت ارادته ايجاد موجود يغاير حاله حال الموجود في الزمن الذي يكون قبل وجود ما تعلقت الارادة والقدرة بايجاده يهيئ له استعدادات وقتية تجري عليها احكام الوقت سواء كان صلاحا أو فسادا فيما يراه الناس وان العقلاء ليعلمون ذلك ولقد شاهدنا وقائع ذلك في مثل واقعة الدايين التي جعلها الله سببا لضعف الايمان في قلوب كثير من الناس وقلوب اغالب من الوجهاء وسببا لهجر المناسك الدينية من القوم الذين أصبحوا لا دين لهم فكنا في ذلك الوقت لا نسمع من الاطفال مما تلهج به ألسنتهم الا التغني بقولهم

يا ديني يامه منادبلي يامه وكانت في مفاتيح الاغاني العرابية سيف

ذلك الوقت وما كانت الا نميا للدين والمناديل التي تضعها النسوة على وجوهن ورؤسهن عند التستر عن أعين الناظرين وما زالت تلك الاغاني الخانيهم حتى استغنوا عن الدين والمناديل بالتمدن والابتذال وكذلك اذا اقبلت الاقدار بخير ما بقتها الالطاف ببوادره فما كانت بواعث الخير التي بعثت زيد بن عمرو ومن معه الى تفقد الدين الحقيقي الا بوادر الطاف . وعناية اسعاف . حتى اذا جاء صاحب النبوة وجد قلوبا ملهوفة . وافئدة مشغوفة الى ماجاء به من الحق ولكن كثيرا من الناس لايفقهون ولن يتحقق ماذكرناه الا من كان ذا أذن واعية وقلب يقظان له عيون تبصر سر سريان الاقدار الالهية في الاكوان والله على ما اقول وكيل

وما كان استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الا لما علمه منه من صدق العزيمة على الرشد لو وجد مرشدا بدليل مانقل عنه من قوله لربه اللهم لو انى أعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكني لااعلمه وما كان هذا القول منه الا عن طوارق اذعان . وبوادر ايمان فأي نبي يسمع عن رجل هذا الكلام ولا يستغفر له وان في ذلك القول لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وذلك لان ذلك الرجل العاقل كان في أمة اجتمع فيها اليهود والنصارى وعبدة الاوثان فما ميز دينامن الثلاثة عن الآخر ولو أنه وجد في احد الاديان الثلاثة خيرا لاتبعه ولكنه مارأي الا قوما ضالين فهجر الكل والتجأ الى جناب الحق سبحانه وتعالى ليهديه سواء السبيل

فلو اننا قلنا ان الله سبحانه وتعالى بث في قلب ذلك الرجل وامثاله طلائع الحق وبوادر الدين في دياجي تلك الظلمات الزيغية مقدمة لانوار

الرسول الكريم كما يكون الاسفار البين للشمس قبل بزوغها أيكون ذلك نقصا في درجة النبوة أو عيبا في الدين (كلا) ان القوم لفي ضلال مبين

فيا ايها العقلاء سلوا هؤلاء الجانبين عن الوعد والوعيد الذي جاء به زيد بن عمرو في شعره بالجنة والنار من أين أتى بهما وعن توحيد الاله من أين عرفه وعن الموءدة والتي حرمها وأحلها اليوم علماؤهم ما كان منشأ هذا كله هل جاء به زيد بن عمرو من تلقاء نفسه أم هو من الروابط الدينية التي تدين بها الخليل عليه السلام وكذلك سلوهم كيف علم أن الله سبحانه وتعالى له اسماء منها الغفور ومنها الرحمن هل كان ذلك من نبأ الانبياء أو من مخترعات زيد أظن ان كل عاقل يعلم علم اليقين أن هذا كله كان من الدين الحنيفي الذي زعم زيد أنه لم يكن في ذلك الوقت من القوم من هو على ذلك الدين غيره كما نقل عنه أولئك الضلال بقولهم انه كان يسند ظهره الى الكعبة عند ما أدركه الكبر ثم يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم من احد على دين ابراهيم غيري

ثم سلوا هؤلاء الاوباش هل خالف اسحاق ابراهيم في دينه الى دين آخر أو خالفهما يعقوب أو خالف داود جدوده أو خالف موسى الكل أو جاء عيسى مخالفا لدين داود وموسى فان زعموا مخالفة واحد للباقين فقد كفروا وضلوا ضلالا بعيدا وان انطقهم الله جل جلاله بالصدق واعترفوا بأن دين الكل واحد وانهم كانوا على دين ابراهيم فسلوهم ماهي الدواعي التي اخرجت محمدا صلى الله عليه وسلم عن هـذا النظام النبوي والارتباط الديني وقد كان أشبه الكل في كمال الاخلاق بأبيه ابراهيم بل

كان هو الشمس التي علا نورها واشتد ضوءها فاحتجبت تلك النجوم بكمال ذلك الضياء (والله ذو الفضل العظيم)

أيها الاخوان تأملوا في سفه هؤلاء السفهاء وقبح اخلاقهم اذ يقولون ان العرب ما اطلقوا على زيد ومن معه وصف حنفاء الا لانهم تركوا دينهم فوصفوهم بوصف حنيف الذي معناه باللغة العربية والسريانية نجس أو مرتد كما زعموا فهل هؤلاء الضلال اعلم من محمد صلى الله عليه وسلم بلغة قومه وبمقاصدهم ان كان كما زعموا انه هو محكم القرآن أم هم اعلم أم الله اذا كان القرآن من الله كما تحققه المسلمون فكيف يكون ذلك الوصف ذميا ثم يصف الله به ابراهيم أو يرضاه محمد لابيه وصفا ان هذا لهو البهتان العظيم

وانه لمن علامات الجهل بمواقع الخطاب قولهم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم في زيد انه يبعث يوم القيامة أمة وحده هو بمثابة التصديق على مبادي زيد ومدعاه تالله انهم لفاسقون

وذلك لانه ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا نصراني ولا نصرانية ولا من اليهود من يقول بخطأ زيد في اعتقاده ومبادئه وما كان قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبعث أمة وحده الا لعلمه بأن الله سبحانه وتعالى يجمع الرسل يوم القيامة ثم يقول لهم (ماذا اجبتم) فيكون كل رسول شاهدا على امته وما كان زيد بتابع لرسول من الرسل وما كان مخالفا لرسول منهم بل كان حاله في الاعتقاد موافقا لما جاؤا به بدون متابعة فلا بدأن يكون في المحشر امة وحده لانه ليس بعاص ولا بطائع . ولكنه كان علي اعتقاد مطابق للواقع ومن كان هذا حاله كان قليل الخوف

وضعيف الرجاء يوم القيامة لانه لارجاء الا عن عمل صالح أو معرفة تامة ولا خوف الا عن قسوة وعصيان وليس في الموقف من يكون هذا حاله الا من كان كزيد بن عمرو لانه لاعمل له برنجي به رفع الدرجات والقبول ولاجريمة يخاف عقباها فيكون وحدامة لا كالامم لانه لايجد امة يتحيز اليها يكون حالها كحاله فكأنه يكون غريبا من جميع الامم وان عصاة الامم التي أرسلت اليها الرسل معذبون وطائعوها مثابون بأعمالهم واهل الفترة لامعذبون ولا منعمون واماهوفن المرجون لامر الله ولا ينال الفاز والنعيم الا بحسن الظن وسلامة الطوية هـذا هو معنى قول رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي كان لا ينطق عن الهوى ولكن الظالمين في ضلال بعيد

ولقد جاء هؤلاء الضلال من الخزعبلات الزيعية بما لم يكن في حسبان الطالعين ولا تتصور مدركات السامعين ولا يأتي بمثله الا سفهاء المتلاعبين فما حاكوا بتلك الخزعبلات الا ذوى السن من الاطفال الذين يتنادون أو يتناجون بمثل قولهم لبعضهم حال التحاور الصبياني بالمناوشة المزاية (لتك ما تتك وكتك خري ستك) وما ذلك الا لجهلهم بما هي النبوة وما هو القرآن وماهو القول الحق اذ لو كانوا ذوي أذواق سليمة وقلوب تفقه القول لما قالوا أن سورة الكهف من خرافات العجائز كما سبق ايراده والتكلم عليه بما تسعه عقولهم اقتداء بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم وانا لنقول الآن ونقسم بكل قسم اقسم الله به في القرآن وانا لصادقون . لو ان سورة الكهف او القرآن كله لم يأت بكلمات تحوي من الاسرار ودقائق الاشارات ودقائق الحقائق الا قوله تعالى في وصفه

حال اصحاب الكهف اذ قال (وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) لكانت هذه الآية الشريفة أقوم حجة وأقوى دليل وأوضح برهان على ان الله سبحانه وتعالى هو صاحب القول الحق المحكم لما حوته هذه الكلمات من الحقائق وما تحتها من الاسرار والاشارات التي لا يقف على حقائقها ولا يحيط بها علماً الا من علمه الله سبحانه وتعالى وأطلعه على أسرار صنعته ولطائف تكوينه لا فاسألوا الاطباء عن معنى الضرب على الآذان وكيف يكون وبماذا يكون ولماذا خص قائل هذا القول الآذان بالذكر دون جميع الحواس وكيف يكون حفظ الاجسام الزمن الطويل بوجود جميع احساسات الحواس فيها ما خلا الآذان ولذلك قال ذلك القائل الذي عليه الراسخون في العلم من هو (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) وهل كان ذلك التقليب لتلك الاجسام الا لتستريح الجنوب من طول الاضطجاع فكانت تتقلب بغير شعور كما يتقلب النائم اذ لو سلبت الاحساسات الحيوية لما تميزت عن اجساد الموتى ولو انها كانت غير فاقدة الاحساس وطال بها الاضطجاع على جنب واحد لتمزق ذلك الجنب ولكن الحكمة الالهية قد فعلت بهم من الصنع البديع مالا يعقله الا من هو العالم بأسرار التكوين (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ألا فأتونا بطبيب ماهر مجرب عالم بفن التشريح وقد درس جميع العلوم والفنون العلمية فان جاءنا بما يوقفنا على حقائق هذه الكلمة واسرارها وما ذكرناه من الاستفهامات بكلام صدق ثابت الصحة واضح البيان اكون اذ ذاك اول معترف بأن القرآن جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه وان لم يأت بشيء من ذلك وادعى ما يدعيه الفلاسفة من ان حفظ الحياة على الاجسام الزمن

الطويل بالحال التي جاء بها القرآن غير معقول تقول له انك لجهول كفور وانا والله لمؤمنون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

فمن اين لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا العلم الذي صدرت عنه هذه الكلمة التي لا يعقلها الا العالمون ولا يصل الى غاية ما تشير اليه من الحقائق التكوينية والابداعات التركيبية والنظامات الخلقية الا من يرشده الله سبحانه وتعالى اليها بوحي او تلقي الهام فهل قالت له مارية القبطية هذا القول او تعلمه من زيد بن عمرو كلا ان كيد الكافرين لفي ضلال

ثم قال لقد تخيل القوم خطأهم وعلموا عبثهم وخافوا مقت القلوب لهم فتوهموا انه ربما رد عليهم راد بما قالوه من انه اذا كانت مصادر الاسلام كلها لأقوام متفرقين فما لكم سميتم الدين لمحمد اليس ذلك من الاجحاف بحقوق اهل هذه المصادر ثم انكم ان نسبتموها لاهلها وقلتم ان محمدا نقلها عنهم فلا يتصور العقل ان هذا العمل كله مع ما هو عليه من الظهور لم يكن لمحمد فيه اثر الى آخر ما حاولوا ه

ثم اجابوا عن ذلك الرد المتوهم بضرب مثال المهندس الماهر الذي يجمع الاحجار والاخشاب وغيرها مما تحتاج اليه المباني فيصورها قصرا مشيدا ثم اعترفوا له صلى الله عليه وسلم بالحذق والمهارة وكمال العقل وسعة المعرفة والعلوم وشدة الخلق ورقة البلاغة الى غير ذلك من الاوصاف الكمالية ليتوصلوا بذلك الاعتراف الى اثبات اقتداره على الاختلاق والتصنع ثم شبهوا ما زعموا انه تناوله من القوم من الانباء والاعتقادات بمياه متواردة من جهات متعددة صبت في مكان واحد فصارت كنهر متغير اللون والرائحة وزعموا ان دينهم كالنهر الصافي الذي ظهر من ينبوع واحد ثم

دعوا الناس اليه ليكون سببا لنجاتهم

ثم قالو انه لم يخلص لمحمد من آيات القرآن الا آيات القتال لانه هو الذي ابتدعه من بين قومه بغير تعليم وجاوا بغالب آيات القتال الصادرة في القرآن كما اوردوها في بعض مؤلفاتهم التي قابلناها بما فسقها واثبت ضلالهم في كل ما كتبوه فيها والآن نقول على وجه الاختصار

ان القوم قد ارشدونا الى معالم الرشد بأقوالهم هذه فما على الحكم الا ان يتبصر والله خير الحاكمين

هذا هو النهر الذى جاء به محمد ما زال جاريا الى الآن وهذا هو نهر المسيح عليه السلام لم يزل بين جدران ديارهم فان ارادوا بالنهر الكتاب أي القرآن أو الانجيل فليذق الذائقون من كل نهر شربة حتى يتبين العذب الفرات من الملح الاجاج من جميع الالفاظ والمعاني ودلائل الرشاد والارشاد في الكتابين ومتى اغترف الحكم من كل نهر غرفة بيد الاطلاع او السماع فوصلت بها تلك اليد الى ذوقه تصور الصواب في الحكم وان كان غبيا

وان كان المراد بالنهر هو العبادات والآداب الكمالية فما على الحكم الا ان يجمع بين أقوم ركن من صلاة الرسولين الا وهو الفاتحة من صلاة محمد صلى الله عليه وسلم التي علمها لامته . والدعاء الذي امر به عيسى عليه السلام قومه ان يصلوا به الذي فيه قوله آتنا خبزنا ومتى تبصر الحكم فحوي الخطاب من ركني الصلاتين علم مزايا القائلين وهم المصلين وسيأتي الكلام على ذلك بعد اجل قريب

واما آيات القتال التي ذكروها فقد بيناسواقصها في كتاب مثبت العقل والدين ردا على الخاطئة صاحبة منار الحق وسنورد قليلا من ذلك القول

لتنب المطالع ان لم يكن متيقظا بصيرا فنقول

انما الدليل الشرعي على امر الله نبيه بالقتال هو وقوعه من الانبياء السابقين من بني اسرائيل وغيرهم كما يشهد بذلك كل كتاب سماوي واما الدليل العقلي فان كل عاقل يعلم علم اليقين انه لا يستقيم أمر من الامور قام به قائم وقاومه قوم عادون الا بالقتال متى كان ذلك الامر يستدعي الدوام والبقاء دهورا سيما اذا نشأ ذلك القائم بذلك الامر بين قوم جبارين أقوياء اولي نفوس أبية وأنفة وتعاظم وما امر الله سبحانه وتعالى نبيا من انبياء بقتال قوم ضعفاء قط اذ لا يكون ذلك من مقتضيات نزاهة الحكمة العلية عن العبث في اعمالها ألا ترى قول قوم موسى فيما حكاه الله عنهم اذ قال لهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين) فأجابوه بقولهم (يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) وليس بمجهول ان العداوة والحسد وشدة الغيظ والحنق لا ربوا رابيها في قلوب من تلبس بها الا اذا ازداد المحسود وارتفع شأنه وتعالت كلمته فكلما ازداد كمالا ورفعة في مراتب المجد اشتد حنق حساده وتجمعوا على معاداته وايصال الاذى اليه ومن المعلوم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من الرسل من هو مقارن له في صفاته واعماله وانتشار دعوته وقد كان كثير الحرص على ايمان القوم الكافرين شديد الحزن على شدة جحودهم لانه كان مأمورا بتبليغ الدعوة لكافة الناس فلذلك كان جهاده وقتاله الشديد وما كان ذلك الا عن امر الحق اذ ليس من الحكمة ان يأمر الله نبيا بتبليغ دعوة الحق لكافة الناس ...

عن القتال او يتركه وشأنه كلا ان اهل الجحود لفي ضلال مبين اذ لو كان الامر كذلك لما ايد الله موسى بآياته البينات ولا اعان عيسى على اعماله الروحانية ثم لما كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا عربيا قرشيا كامل الهمة علي النفس شريف الحسب لم يكله الى خوارق العادات بل اسعفه بالفتح والنصر المبين ولولا ذلك لبطش به وبقومه القوم المجرمون ولله در القائل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

فلو أن القوم عقولا يعقلون بها أحوال الرجال. أو أذواقا يميزون بها مراتب اهل الكمال. من أعمالهم وأحوالهم واقوالهم لعلموا الفارق بين محمد صلى الله عليه وسلم و بين عيسى عليه السلام بمجرد الاطلاع على سيرة كل منهما اذ الكمالات البشرية والاخلاق الشريفة والهمم العالية لا تخفى على من يتبصر في سير القائمين ويتفقد مآثرهم وان هذا لمصداق المثل الذي اشتهر بين العامة حتى في أفواه أطفالهم اذ يقولون من جهل أصله فدلائله فعله وليس من المعارف الأصلية والادراكات الذوقية ان يحكم المميز بين اهل الكمال بالفضل وكمال الشرف لمن جاء يشفي مريضا أو يبرئ اكمه اوابرص او يخلق من الطين طيرا فان هذا وما شابهه ليس من الكمال في شيء لانها اعمال روحانية تابعة للاختصاصات التكوينية التي خصصتها الارادة لافراد من النوع الانساني موافقة لمقتضيات النظام التكويني اذ سمعنا من العجائب الكونية أن امرأة تظهر في كل عام في فيافي بعض الاقطار شديدة النفور ممن يراها ومن خواصها أن من ذبحها وشرب من مرقها يخبر بالمغيبات الى غير ذلك من الاحوال التي جاءت بها عصا موسى وجلد بقرة قومه وعمل بعض

العقاقير التي اذا وضعت على مرض زال وكذلك الشؤن التي تصدر على أيدي أرباب المجاهدات الرياضية الخارقة للعادة ومايصدر من العيان اي الحسود الذي ربما أمات من قصد موته في الحال حيث يتكبد من المشاق غير فطرة واحدة ومن كان ذا عقل واعتدال وانصاف في الموازنة اذا تأمل في شؤن الرسولين يرى أن عيسى عليه السلام ما جاء في أعماله واقواله بأكثر مما جاء به كثير من أتقياء امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا ربانيين ولا تكون كثرة العمل دليلا على التفاوت في الفضل فقد قال الله تبارك وتعالى (انه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا) ولكننا مع المشابهة في كثير من الاعمال والاقوال بين المسيح عليه السلام وبين كثير من اكابر هذه الامة لانجد بدا من حفظ حقوق النبوة له عليه السلام اذ لا يوازي ولي نبيا قط ولا لكان الاولياء الذين جاؤا بما جاء به عيسى من الاعمال كعيسى وليس كذلك ولكان الواعظون من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين جاؤا من بلاغة القول وثمرات الحكمة بما لم يأت به نبي من بني اسرائيل مقارنين للمسيح في الشرف حاشا أن يتصور مسلم عاقل ذلك . كما لا يتصور من له ادنى ادراك ذوقي أن رسولا من الرسل يساوي محمدا صلى الله عليه وسلم في كمالاته وعلو همته كما سيأتي بيانه ولا ينكر علينا مانقول الا كل صعلوك جهول

ثم قال ايها العقلاء أما دعوى الوهية المسيح أو بنوته فقد سقطت شرافات قواعدها وجدرانها الزيغية . من عهد الرسالة المحمدية . وسقطت منزلة مدعيها من اعين الخلق والخالق بما جاء به الذكر الحكيم من البراهين

القطعية والدلالات العقلية والقول الفصل الذي لا يعارضه الا كل أفاك أثيم وانها لدعوى باطـلة مهزولة القوي لا تقوم لها قائمة الا اذا ادعاها المدعي بين اقوام ضلال جهلاء استولت على عقولهم بساطة العته وغفـلة الغباوة أولئك القوم الذين طبع الله على قلوبهم واصمهم واعمى ابصارهم فاصبحوا في مقـاعد افتتانهم وديار جهلهم جاثمين الذين اطاعوا افرادا سفهاء يتركونهم في مظلات منازلهم ليحملوا خطايا النساء بمجرد الاعتراف وربما كان الحمل بينهم متبادلاً واستغفرالله والله على كل شيء شهيد

ثم قال ولقد تقرر لكم في تصحيح الترجيح ومثبت العقل والدين ما فيه الكفاية لبطلان تلك الدعوى ولو كنتم على يقين ثابت وايمـان صحيح صادق لما طلبتم بعد الكتاب الحكيم دليلا ولا اتخذتم الى البحث في هذا البحث سبيلا . فليس بعـد السراج المنير بيان . ولا وراء العقل السليم ميزان . ولكن الشأن كما قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة الكهف التي كذب بها المجرمون (من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشدا)

ثم قال وأما ما ذكروه من أمر اسماعيل واسحاق عليهما السلام فلا يعد عند العقلاء الا من قبيل مثل العوام اذ يقولون (قرعة تباهت بشعر بنت ابن خالتها) وما كنا ممن بلغ بهم الحمق وسوء الافتتان الى الخوض فيما لا يعني من الفضول في القول الذي لم يعلم له عالم من حقيقة الا رب اسماعيـل واسحاق سيما وقد نهانا الله عن مثل ذلك الخوض بقوله (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولو أن الفضـل يكون بين الفضلاء بالبركة في النسل لكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه الذي

ورزقه الله مائة ولد من صلبه يجاهدون في سبيل الله ببركة دعاء النبي له أفضل من عيسى عليه السلام الذي لم يأت بولد واحد ولو أن كثرة الانبياء في نسل الافاضل يحدث أفضلية لكان آدم افضل من كل مخلوق سيما عيسى عليه السلام فانه مامن نبي ولا رسول ولا ولي ولا مؤمن ولا مؤمنة الا وهو من نسل آدم عليه السلام وعلى زوجته الكريمة رضوان الله وصلواته ورحمته وبركاته عليهما وعلى من صلح من ذرياتهما وكان الله بعباده خبيراً بصيرا ثم ان كل ذي ذوق سليم حتى من العامة ليعلم علماً أدبيا أنه لاحظ للمسلمين ولا للمسيحيين في تفضيل أحدهما عن أخيه ولا يجب ان يبحث في هذا المبحث الوخيم الذي لا يميل الى البحث فيه الا كل أحمق محروم العقل لا يدري اي الخصال كمال ولا يعلم من الاعمال ماهو القبيح والاحسن وأما ماجاؤا به من ضرب الامثال وزخرفة الاقوال فقد قام الحق في مقابلتها من قبل أن تقاومها في قلوب أهل الايمان يدافعها بقوة اليقين وصدق الايمان ونور المعرفة حتى زهق الباطل (ان الباطل كان زهوقا) ثم قرأ ذلك الرجل قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) ثم مزق ذلك المؤلف بأشد مايمزق به الثوب الذي شبت النار بذيله أو الكتاب الذي كتب من ضعيف ممقوت لقوي محبوب . قال

أقول وقد شاهدت أسنى المشاهد وما كنت خصماً لا ولست بشاهد
ولكنني مثلت حالي وحال من رأيت يجاسرني سعي خلف رائد

وما زاد [illegible] من أراد افتتانهم ... وحجة [illegible] بحث لتفاسد

حثثت ار[illegible] وباشوم ما أرى ... وإني أرجي الآن أهل التشهد

أرى اليوم فوق ما ار[illegible] مالكم ... فقد تم لنا في حيث كل مرصد

يقولون أزمعت على هدم دينكم ... وتخريب ما تدعونها بالمساجد

وتخفيض اعلام الديانة كلها ... ودمع معابدها وترك لمعاهد

وجئنا الى [illegible] شيوخكم ... وصبيانكم كي يطهروا بالتعمد

فنادت هل في القوم يا قوم مطمع ... وهل لكم في فعلكم من مساعد

فقالوا [illegible] لكل في [illegible] ... كذات [illegible]

ومنهم أناس [illegible] عدو [illegible] ... ورحرقة الأقوال صد لمعضد

فقمت [illegible] ... عسى أن يفوزوا بنعيم المؤبد

وكي يعبدوا الأمم الصليب ويخدموا ... لعيسى اله الناس في كل معبد

فقلت [illegible] ... هو الأب والابن الوحيد المجدد

فقلت [illegible] ... [illegible] للورى غير [illegible]

ولو أنهم كانوا [illegible] ... [illegible] خلف [illegible]

وأنى [illegible] الأب والابن واحد ... أسهل ثبوت اثنين في ذات [illegible]

ومن ذا الذي منهم أتى متجسد ... وقد كان محكوما لطور التجسد

فان كان [illegible] الكل في بطن مريم ... فياشومه [illegible] بأضيق مرقد

به كانت الأكوان من غير حاكم ... اذا لحدث مثل الهباء المبدد

وان كان ابن الله قد حلت به ... ولم يك خلقا للاله الممجد

نقول لماذا ما تشابه حاله ... بحال أبيه في [illegible] التولد

ومن لم يشابه أصله كان ظالما ... لمن حملته حين [illegible] المتلد

وشتان ياروح الغباوة بين من | اذا ما ارتوى بالامس يظمأ في الغد
وبين عظيم قد تعالى سموه | عن الماء والماعون ياشر معتدي
الا فاذكروا وجه التشابه انه | بعيد عن الادراك فأتوا بمسند
والا فلم يولد كذلك لم يلد | يدود ان ريب الشك عند التردد
وان ختموه كلمة قد تكونت | تقول كلام الله غير محدد
اذ الكل من كل الوجود كلامه | ومن لم يصدق كان الفجر جاحد
ألم يتكلم ربنا غير كلمة | اذا كان وصف الحي وصف الاماجد
تعالى اله العرش عما ظننتمو | وما ظنكم الا كاحلام راقد
ألا هل نرؤيا كم ترون معبرا | سوى ذي ضلال مفسد متعمد
يدس لكم سم الضلال لتهتدوا | لما ابتدعوه من ضلال التعمد
وأكل خمير خمروها ليسحروا | بتخميرها من بكروا للمعابد
فيا شؤمه تعسا له من معمر | يعبر عن رؤيا الخصي بمولد
وسحقا لوغد يدعي العلم كاذبا | وما علمه الا كطيش المعربد
يظن كثير النفع ضارا وعكسه | ويفسد بالاضلال حال العقائد
فخير لكم أن تقبلوا النصح والهدي | ولا تعبثوا بالدين من غير مرشد
فما ينبغي في الدين جهل تعصب | ولا سوء تصميم لضال ومقتدي
فما أهلك الباغين الا غرورهم | وتقليد أهل الزيغ أقبح مورد
ألا قل لمن قاموا يقولون اننا | أتينا لهدم الدين دين محمد
أيا معشر الاشرار يا عصبة الخنا | ويامجمع الاوباش من كل شارد
ضللتم ضلالا ما سمعنا بمثله | ولا في خرافات الوهيدي بن معبد
أساءتم اله الصاب شر اساءة | واسلمتوه للعدو المعاند

وما القتل قلتم ثم بالموت تؤمنوا ... فيا ام حنا كيف ياحن تسعدي

لمصلب رب قصته يد العدا ... وظلما أعدوه لأشنع مشهد

ألا قبح الله الجهول وجهله ... وألجاه للخزي لا لتمرد

فما ذنب طه يا مجانين عندكم ... وما كان لا خير هاد ومرشد

وما عيب قرآن حكيم تكاملت ... به كل آيات الرشاد لمهتدي

أتى ساترا عوراتكم وعيوبكم ... بنفي الذي لم تثبتوه بشاهد

سوى فرد تلميذ تخوف فاختفى ... وحائفة بغي اعدو المهدد

وما جاء جبريل لقدس كاذبا ... ولكنه والله أخبر رائد

وأصدق قوال تنزل موحيا ... الى خير مبعوث بأكمل مرشد

ألا تخجلوا يا أخسر الناس صفقة ... اذا قيل للاعضاء في الموقف أشهدي

من الزور والتزوير والافك عندما ... تقولون أن العبد بالرب يفتدي

وان عبيدا يصلبون الهكم ... ويؤذونه بالقتل يا شر أعبد

فحبكوا عيسى يحاكي تماسة ... محبة حلاف صب للفند

كتاب أبي شادوف ينبئكم به ... فما أنا بالراوي ولا بالمؤيد

ولكنني يا قوم أقبلت ناصحا ... لكم فاقبلوا قولي بغير تردد

فقد جئتكم أبغي التودد زائرا ... مشوقا لرؤياكم على غير موعد

ألا فامنحوني لفتة من قلوبكم ... لما قلته عن حسن ظن ومقصد

لعل فتاة الحي منكم اذ رأت ... محاسن أقوالي وصفو مواردي

تميل لارشادي اذا جئت ناصحا ... وتجعلني في عينها شبه اثمد

والا فما زلتم حميرا ولم يزل ... بكم كل ضال للخرافات يهتدي

عليكم عذاب الله أضحى محتما ... ولعنته في الليل والامس والغد

أبى له لا [illegible] تسكون [illegible]	[illegible] طالما [illegible] الثرى
[illegible] كيف [illegible]	[illegible] نويه كل مجاهد
و[illegible] معشر لا [illegible]	وأطمع فيه كل عال ومفسد
[illegible] وعد [illegible]	عن الرتب [illegible] لا يعان كل التباعد
وعن [illegible] آيات لكتاب [illegible]	وعن منهج لدين أهل التعبد
و[illegible] لا [illegible]	[illegible] لا [illegible]
[illegible]	[illegible] لا [illegible]
وهو [illegible] الكفر [illegible]	[illegible] كل [illegible]
وقد [illegible] للجحود [illegible]	[illegible] الأ[illegible] كل [illegible]
[illegible]	وما كان [illegible]
[illegible] كل [illegible]	وقد [illegible] تباعد
[illegible]	لكيلا يكونوا في [illegible]
[illegible]	[illegible] في [illegible]
[illegible]	على كل [illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible] لا [illegible]	[illegible]
[illegible] حقوق [illegible] حتى [illegible]	[illegible] كل [illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible] لا [illegible]	[illegible]
[illegible] في [illegible]	[illegible]
[illegible]	ولا [illegible] الرافد

مه زاك الا ش منكم وثامهم … كانوا لعيسى اليوم أول ماحد

لا نظلام لجهل أسى قلوبهم … فاميروا اوحود من حال موحد

ألم يعذوا ان ادعي اوحد لورى … تنزه عن اكل وشرب ومولد

وهل يحل لحبار من فرج مريم … وتهوه عما سوى التمهد

تمسح عنه مه … قدورات ما اتبه في الامعى والكبد

و ليت شعري نى أتاه خاويا … على مسه د ذلك في كل مرقد

عاد اذا ندعوه عصبة الحنف … الى رشاده هدو نعسى اليوم نهتدي

لا هل عند ان يقول لانه … ى سيد له من بامريم اسجدي

فتصد قوم ما احسوا غربيه … وقدسه وفي الحهول في دير مسجد

فلو انكم مسلمون عقلتم … معاني حديث مسند عن محمد

كما وتدوم من الذكر محكم … في رشد اصدق الى خير مورد

كلهم على عد عروبن منهم … و يس من معايس معربد

وكلكم ستدرون … يوم كم جهلا كيد انعامد

وكم من موس فيه هيل معه … وقد عسد بوست الامر رافد

فصوره عن لاو من وعلى فيه كلا … ولا تدخلوا حق الدنيا والمفاسد

ووه عد لله من ولسى … محاربكم لكن لا والحسد

ولا … مقت لاله ويسحه … فكم صرح ... ايد يهتدى

وقيل اعشو حرمين وجورهم … فاطش شديد بطش ادهى مبدد

مه كم من مد أن قدم كم … وكرمكم مطى خير قائد

قد مون هل له من حديث اركبو … حديث لي ما ليم تلك المشاهد

والله وارب الصادق … شاهد كل شي الى المقاعد

ولكنها حجب على الناس أسدلت ... ليخفى مصير الجحد عن كل جاحد

لك اليوم يامولاي لدنا تبرأ ... من الجار و لمجرور من كل معتدي

ويارينا يامذهب الحزن والعنا ... ويامهلك الباغين عند التمرد

أزل عن ضياء الدين ظلمة جاهم ... ورق حجاب الطيش عن كل مفسد

وبين لعباد المسيح ضلالهم ... لعل ضليل القوم للحق يهتدي

عهدناك يامولاي بارا ومحسناً ... ود رحمة مشفوعة بتودد

ألا هل يحول السخط يارب بيننا ... وبين رضاك اليوم ياخير منجد

وتتركنا للمقت والفوت والجفا ... وأنت لنا أوفي مرب وسيد

بعطف تحنن يا الهي تكرما ... بنفحة رضوان لتأتيك عن يد

فنحن لئام يا كريم فبعد ما ... تعهدتنا باللطف في كل معهد

نر ينا من الاعراض والمقت ما نرى ... وما انت لا خير ورد لوارد

فصل الهي بكرة وعشية ... على خير مشهود و عدل شاهد

وموسى وعيسى والنبيين قبلهم ... صلاة بتسليم الى يوم موعد

ووصل حبالي بالمحبين واهدني ... لى نصرة الدين القويم لمؤيد

وقوم بسيف نصر حالي وحيلتي ... وحمل به احوال كل مساعد

عليك صلاة الله ياخير مرسل ... ويا خير من أوصى و ياخير مرشد

وارجوك يا كهف الهيف هشاشة ... ذا ما تلاقينا على الحوض في غد

وبالله فاشفعها بحسن شفاعة ... لناظم هذا والمليجي احمد

وأكرم أبي والام ياخير شافع ... اذا ما دعوا للعرض أم محمد

وسلام على المرسلين و لحمد لله رب العالمين

ثم جلس الرجل مستريحا واستدعى بكأس من الماء القراح فلما روي

قال لاحول ولا قوة الا بالله العظيم مالي ارى الناس ينقسون في شؤنهم طوع أهوائهم واغراضهم تقلب الانعام في مراتعها كانهم حشرات هائمة على وجوهها لا يهتدون الى الرشاد الارشاد ولا يميزون الغوي من الهادي ولقد مالت قلوبهم الى زعماء الزندقة باشد مما كانت تميل به قلوب المتقدمين الى الهداة المرشدين . ومال الوقت قد صار مظلما واهله يتخبطون في مساعيهم تخبط العشواء في الغيهب الحالكة مع ان السراج الذي اهتدى به السابقون لم يزل شديد الضياء كثير الحفاظ يتلى في مجامعهم غدوا وعشيا وما زالت مؤلفات المرشدين الذين شيدوا قواعد الدين بين ايديهم وفي خزائنهم وملء مكاتبهم وهم فيها لا ينظرون . كانهم عمي لا يبصرون . فواعجبا لصنع القدرة ذات الاقتدار . وواعجبا سرعة نفوذ الاقدار . ويادهشة العاقل من رؤية هذه التقلبات الوقتية وسرعة حلول المقادير الالهية ورضي الله تبارك وتعالى عن صاحب الحكم العطائية في مناجاته حيث يقول الهي ان اختلاف تدبيرك . وسرعة حلول مقاديرك . منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء . واليأس منك في بلاء ثم تغير حال الرجل واضطرب واصفر لونه وارتعدت فرائصه خوفا من الله سبحانه وتعالى وطال شخوص الحاضرين اليه حتى صار كل شخص لا يكاد يرتد اليه طرفه وقد استطلع كل من القوم من حال ذلك الرجل دهشة الموقف الهائل وشدة الكرب يوم الفزع الاكبر ثم قام ذلك الرجل باكيا منتحبا يترنم بقول القائل

فرض على الناس ان يتوبوا	لكن ترك الذنوب اوجب
والصبر في النائبات صعب	لكن فوات الثواب اصعب
والدهر في تصريفه عجيب	وغفلة الناس عنه اعجب

وكل ما يرتجي قريب … لو تناسى كل ذلك اقرب

ثم انصرفنا ضحى مستقلين

ومكة صابني لا تجاوبني … وجئتها يوم لهو ليكنب

يدعو المعتمد من قد … عدا ه اطيافي شر مركب

لمهجتي مسرح تمد مهاد … كل مسرح لعالم اصيب

وبين يدي طلائع من لم … يمسو تناديتا مؤدب

ومن مثل العروض ضحى … يمشي تدلى فما تقرب

وكل زحي لاله عدو … الا حتت مدالك انشعب

حيث وفي وآب ودي … ومن عيبه أخشى وأرهب

بهن الجهل مشغولها … وحدودها من كل ما قدمته

وانعم قوم طهري قبلي … منهم وحق انني المهذب

وما تحمي الا عزال … في حدوده في الناس أحرب

فلا نوم من لم يفني … كل ولاه اسى ولوب

ولا تعدوا من فدوه … على لا له لمات والصلب

لهم ذنب عيب سود … هم ترآى في شرع مأرب

في ذروهم وخمشهم … ان وجهوكم في تي مضرب

وهم حدثهم خمسوهم … عشر عدوهم محرب

وانى تحقر مرجهم … ما سوى منه غطاه مهرب

ليلك في محبت وحقي … ويوم في ليلك أرعب

فصبر لي عسى حبات … حكل ذهل لولا تحسب

ولا نامسني أهيم جهلا … ولا كلامي الى الدهب

من لم نعنه في الناس فرد ... سوى تقى الملك يهرب
يا الهي أنت نرجى ... وما لقلبي سواك مطلب
من [illegible] نصابك ... مع المسيحي الشقي بصدب
[illegible] من عهدت [illegible] ... [illegible] الكلب
يا الهي [illegible] ... [illegible] من البـ[illegible] اقرب
وقبل [illegible] لقدس [illegible] ... [illegible] الذي تدندب
وعسى [illegible] ... على المعادي [illegible]

ثم [illegible] ومصيبته [illegible] في بقايا هذه الامة لمعنى الذي يشهد الله سبحانه وتعالى لا [illegible] من الامم في كتاب من كتبه السماوية مثل ما يشهد به في محكم كتابه المجيد اذ قال وهو أصدق القائلين (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ولا معنى للوسط [illegible] في اسمها [illegible] كما قال [illegible] حين لاحظ [illegible] ونصح [illegible] من [illegible] كل [illegible] يكون عليه الخيار منهم من الاخلاق [illegible] على [illegible] التي والخوف والحياء [illegible] والعمل بمحاسن الآداب [illegible] اهلها ونكفير الطبيعيين وتباعد [illegible] يعني وترك ما لا يعني من القول والعمل [illegible] ومن الاخلاق الادبية والاعمال المرضية حتى [illegible] صار [illegible] الاقدار

المنيرة لا يكاد مواجهم أن يطيل النظر الى وجوههم مما يخجله ويرهبه من سطوة الجلال وهيبة الوقار فكانوا كما قال الامام البوصيري رضي الله تعالى عنه في برأته الميمية

أحل امته في حرز ملته　　كالليث حل مع الأشبال في أجم

والآن قد هاجرت الى الله أوصياؤهم . وتسارعت الى الاجداث اقياؤهم وأمناؤهم . وما تركوا فينا الا بقايا خلف خلف من بعدهم قياشوهم من خلف ما سارعوا الا الى اللهو وما هم الا او باش حداث اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وركنوا الى خزعبلات السفهاء منهم الذين تدينوا بالتمدن واحتضنوا الحضارة فصاروا كناقصات العقل والدين . وقد عمدوا الى ما شيده اسلافهم من الدين فهدموه . ثم تعاونوا على اعانة الباطل فتشادوا قواعده بخزعبلات تمويهاتهم واقاموه . فلا تسمع منهم اعتراف معترف بفضل المتقدمين . ولا ترى الا عائبا لأعمال افاضل الأئمة المجتهدين . ولا ترى من سفهاء العامة الا مغرورا بزخرفة اقوال اهل الزيغ والزندقه ولا من اهل الجدل مزدريا بكمالات الدين السابقة واللاحقه . حتى صبحوا مسرح فكار القائل ولله دره

يا حسرة الآباء في اجداثهم　　ذ خجلتهم خيبة الابناء

يا دهشة الاموات ان ردوا ولم　　يجدوا الذي ظنوه بالاحياء

ان لم نشيد ما اقام جدودنا　　تبا لنا والله من خلفاء

ثم اتبع ذلك بقوله

يا اهل هذا العصر يا فصحاءه　　والعالمون ومعشر النبهاء

ايليق بالانسان بعد شهوده　　سبل الرشاد ومنهج الادباء

ان يعدو خلف دوي الرذائل هائما ... في الغي طوع تقلب الاهواء
حتي اذ ارمت الشرور بقلبه ... جحد المهيمن موجد الاشياء
تربو الشرور مع الغرور متى ربا ... وتهيج حمي الطيش في الاعضاء
ما اسرع الطغيان ان ضرب الغبى ... اوتاده سيف مرتع اللؤماء
ما اقرب الشيطان للانسان ان ... آذانه صمت عن النصحاء
ما اوقح المفتون اذ سمحت له ... صدف الظروف بهجعة الرقباء
او بالتعالي بعدما اتضعت به ... حسرات معشره لذات خفاء
او ان تطاول في الفنون مطالعا ... ليكون معدودا من العلماء
وليوسموه اذا غدا متكلما ... فيقال هذا خاطب العلياء
ما افخر المحروم ان دانت له ... بعد الدناءة عالة الضعفاء
ما اغدر المغرور ان سبقت له ... نعم الاله بوفرة ورفاء
ما اجرأ المفتون ان لم ينهه ... عند التغالى راجر العقلاء
ما اقدم الغاوي على اغوائه ... ان لم يخف من سادة فضلاء
يا قوم ويح صغيركم وجهولكم ... من تشققات اسافل البلغاء
هم زخرفوا ما صنفوا بعبارة ... في طى زخرفها اشد بلاء
دسوا سموم الزيغ فيما دونوا ... فظننتموها نفحة الحنفاء
لكنها شبه تضل ضجيعها ... وتذوده عن مشرب الطرفاء
أولم يجئكم مرسل ببيانه ... كالبدر شق غياهب الظلماء
أوصى بأن لا تعدلوا في سيركم ... عما يوافيكم مع الامناء
فهجرتمو تعليمه ووقفتمو ... طوع المذبذب موقف السفهاء
وغدا التمدن والحضارة دأبكم ... وهما وربي ديدن الحمقاء

فبدا لنا من حالكم ما لو بدا ... لأخي الرشد بات بالاغراء
لكنكم عمي القلوب تقودكم ... فمي كل غيبة عشواء
قل للمبشر ما مبشر انما ... شرتنا باذا العمى عباء
شرك خفي في جنون طاهر ... وظنون سوء حالبات ...
يا ليت ... لم ... وليتنا ... لم نأت في ... المشتد ...
ان الوباء أخف منكم وطأة ... يا موطئاً لأصاغر الجهلاء
أنتم شياطين الزمان وعندنا ... من هم لكم منا من النصراء
يا فيلسوف وانت اجرم من طغوا ... أتكون عونا للضريب النائي
أفسدت احوال العوام بما به ... أصبحت تهذي يا أخا لمرضاء
وعدوت حربا للعقائد معلناً ... ... غالب ... الاسماء
أنكرت كل كرامة لمقرب ... وطفقت ... ما ... راني
مازلت تعي بالجرائد دينه ... وتعض الاموات للاحياء
حتى استخفوا بالفرائض كلها ... واستحسنوا الاذيان بالفحشاء
فغدوت قوادا تقود الى الزنى ... والى المعاصي الكل كالأحراء
ولكم دمتم يستحل حرامنا ... اذ كنت ذوته وأكل ...
لا كنت يا هذا ولا كان الذي ... يوليك عطف محبة وولاء
أخفيت دين الله بعد ظهوره ... حتى لنا وصلت بد الجراء
ثكلتك امك يا كفوراً لم يكن ... عما لحري الشمس والجوزاء
وهو الذي ينهى ويأمر في الورى ... وهو الولي ومعلم العلماء
ونهى الافاضل عن متابعة لهوى ... كيلا يميلوا طوع كل هواء
ولعله ان ابن آدم لم يكن ... ذا في علم وهو في الاحشاء

بل أخرجوه من البطون كأنه — مقذوف سوج أو نبيذ عراء
وعلى التوالي عرفوه كما يرى — هل انت أعمى ياقليل حياء
أوصاه ان لا يستقل برأيه — فبظل طوع جوانب الاعواء
فلم انثنيت عن الرشاد لما — سرنا نمدك اتمس الخطباء
جاء الكتاب بمعجزات لم تكن — الا تحرص ألسن الخصماء
فدوت تنكره بحث مؤولا — آي الكتاب بنقشقات شتاء
هل نار ابراهيم تمسى ربه — اذ قال كوني رحمة كالماء
أوليس من جعل الحرارة طبعها — ذا قدرة صالة عليـاء
أالجاهـل انكار مالم يدره — هل كنت منه وانما بجداء
اوكنت ذا هدخلقها اذ كونت — عالج فؤادك ياشقي بدواء
انا وقد كنت الكذوب و انت — علتا الى التضليل والاغراء
أوصح ذالاثبات حجة قائل — شؤم القوابل قادكم للداء
اذ ليس في الامكان ارشاد التقي — انصح حكم الطبع في الاشياء
فاعقل اذ قولي ولست عاقل — ان التلون صفة الحرباء
اذ يحضروك تقول اني مؤمن — واذا خلوت كفرت باستهزاء
وتقول قول المؤمنين وتنثني — فتزيغ كالملهوف العجلاء
تبا لمن درسوا العلوم على عمى — وتبصروا ببصيرة عميـاء
سحقا لقوم يشهدوك كانهم — ولدان ام بادرتهم بغذاء
فتريق في افواههم ماازدرت — اذ هم على ظمأ لاي رواء
يامسـلمون تفطنوا وتعقلوا — اني لكم من ارحم النصحاء
فالامر للعقلاء صار ممتقا — مابين اثبات ونفي اليـاء

من قوله بي كان ماقد كان في بدء وبي ماقد يراه الرائي
فاذا علمنا انه هو عالم بعلم الاموات والاحياء
وهو المدبر للورى وشؤنهم تدبير مولى محكم لولاء
قلنا اقتدار الحق جل جلاله يأتي بما يخفى على النجباء
واذا جهلتم ما نرى وتواردت ريح الفتون توارد الانواء
وعلى القلوب سطا الجحود بجنده والم جيش الطيش والخيلاء
قلنا لكم ياويلكم من عصبة سقتم الى البلداء كل بلاء
ياجيرتي يارفقتي يا اخوتي هلا حفظتم لي حقوق اخائي
ووعيتموا ما القي في آذانكم فقلوبكم للرشد خير وعاء
في اعيذكمو بمن رفع السما وأزال ظلمة ليلها بضياء
من ان تسوقوا للبلاء نفوسكم بخداع محتال شديد دهاء
اشقاه شؤم هواه واستمداده طوع المشيئة بل وسبق قضاء
ان ابن آدم كيف كان ميسر ومسخر ككواكب العلياء
لا يلهكم عن ربكم تمويه من اضحى يواصلكم بشر اذاء
فتصرموا عنه لهدى نبيكم وقفوا مواقف رشده بإزائي
ايسوغ ان تصغوا لمغرور طغى فغدا يقود لما وراء الخاء
خوف وخسران وخيبة طامع وخطيئة عظمت وا كل خراء
ايضل ضالكمو بخدعة رائغ يدعو لخوض بلية سوداء
ونبيكم والله اكرم مرسل لكموا ابان طريقة السعداء
فاستكشفوها من مأثور اهلها من اصبحوا في الناس كالغرباء
لا من خطابة زائغ ومذبذب يطغي ليغدو اعظم العظماء

لكنه عنـد العظـيم محقـر ولسوف يعلم خيبة النكباء
ماجئت أعى مارقا من بينهم لا والذي أوحى لكل سماء
لكن أوجه كل لومي للذي لايهتدي لمذاهب الأمنـاء
ان الفسوق تمكنت أطنـابه من كل سارفي دجا الوعساء
ترك المناسك وامتطى من فكره مالا يقيه تلاعب الاعـداء
فتأمـلوا وتجمـلوا بمتـابكم وتنصلوا ممـا مضي ببكاء
وتحببوا وتقـربوا بوفائكم وتجنبوا بالذكر كل جفـاء
وتحفظوا من زائغ ومسر أضحى يصيح بمتهد الغوغاء
غوغالئـام بالسباب مجمـلوا فتحمـلوا ثقـلا من العرماء
ويل لهم يوم المعاد اذا دعوا للعرض يوم تفقـد الشفعاء
ورأوا العذاب فأصبحوا في حسرة في طيها متتابع الاغمـاء
وعموا فكانوا كالذي يخطوا على شوك القتـاد بليلة ظلماء
ودعوا فصموا ويلهم للعرض اذ كان المخاصم أوجـه الوجهاء
اذ تخجل الجاني حقارة حاله في جانب السفراء والسمراء
ذرهم يخوضوا يا أخي ويلعبوا ان الرذائل مبدأ الارزاء
واصبر فان الله أجل خزيهم لمجامع عدت لفصـل قضـاء
صـلى الاله على النبي وآله في كل صبح مسفر ومساء
عد الرمال مع الحبوب كذا النوى وهواطل الامطار والانداء
والآل والصحب الكرام ومن أتى يهدي سبيل الرشد والتهداء

ثم قال اني ياقوم لأعجب كل العجب ممن لا يعترف بوجود موجده مع مشاهدة عجائب آياته . والعجب العجاب ممن يعترف له ويعرفه ثم

ينكر اقتداره على جمع أجزائه واحيائه بعد مماته . والاعجب من ذلك كله قول من يقول انه كان والدا ثم أصبح مولودا . وانه مكث في بطن مريم وفي حجرها زمنا محدودا . وانه كان يأكل ويشرب وينام . وانه تقلبت به أطوار البشرية ما بين جنين وطفل وغلام . وما علينا من بأس أن نقول هذا هوس أو ضرب من ضروب الجنون . وكم في الناس من غبي ومعتوه ومفتون ومجنون . على أن العبث في القول والعمل مما لا عقول لهم ليس بالامر العجيب ولا اشراك الذين أشركوا بربهم لظلمة قلوبهم بأمر في الاقتدار الالهي مريب . ولكن العجب ممن يدعي أنه متدين بدين الاسلام . وما نرى حاله مع ربه الا كحال بهيمة الانعام . فأما في أمر دينه فما هو الا في جبن وجهل شديد . واما في أمر دنياه فما تحقق الا بحقيقة قول جهنم يوم القيامة هل من مزيد . فياقومنا ماهي العلامة التي تميزتم بها عن المخالف لدينكم . وما هي الحقيقة التي تحققتم بها من حقائق ايمانكم . أتظنون انكم بمجرد الايمان وقراءة القرآن تدخلون ملكوت الرب كما يزعم ضلال المسيحيين . أم تتوهمون انكم بمجرد الشهادة لله بالوحدانية تكونوا من خيار المسلمين . كلا ان الامر وراء ما تظنون . وان الحق والله خلاف ما تتوهمون . اما سمعتم قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فأروني أي طريق اتخذتموها مأمنا من ذلك العذاب . وأي واق يقيكم من كل وعيد أتاكم به محكم الكتاب . لقد اشتغلتم والله عن مآلكم بما نراه فساد أحوالكم . وما من حسن التفاتكم الا الى مسابقة من هم في الضلال

من أمثالكم . ولقد أوقفكم الجهل في موقف الحيرة وضلال حيارى القلوب . وما منكم الا وهو في ريبه يتردد كأنما هو مجرد من العقل مسلوب . فمن قائل ان المؤثر الاكبر خلقني وخيرني في أعمالي . وجعل همتي هي المنوطة بما اربي وآمالي . وهذا هو الذي زعم العقل والمعرفة . واشتهر فيما بينكم بأنه من زعماء الفلسفة . ولقد بينا لكم غلطه في غير موضع من كل كتاب . وعرفنا كم انه حليف الشرك الخفي وانه ممن حقت عليهم كلمة العذاب . ومن جاهل فتح فاه باهتا حينما شخص ببصره في مجامع المبشرين . حتى كأنه انما تربى بين أقوام من عبدة الافيال أو الوثنيين . ظانا أن هؤلاء الضلال على علم بصحيح الاديان . لانهم جاؤا مجادلين في كثير من آيات القرآن . ألا يتبصر الجاهل منكم بأمر دينه في شؤن هؤلاء الاشرار . ثم يتذكر أحوال القوم الذين سبقونا بالايمان من الاكابر والاخيار . أيها الجهلاء أخير انتم أم أبوا بكر الصديق أخير انتم أم الفاروق ابن الخطاب عمر رضى الله تعالى عنهما أخير انتم أم باقي الخلفاء الراشدين أخير أنتم أم عمر ابن عبد العزيز أخير أنتم أم مالك ابن أنس الذي كتب الشعر على بشرته بقلم القدرة مالك حجة الله في أرضه أخير انتم أم محمد ابن ادريس الشافعي الذي كان من الاوتاد . أخير أنتم أم أبوا حنيفة النعمان الامام الاعظم الذي صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنه أخير أنتم أم الامام بن حنبل الذى فدى شرف القرآن بروحه وجسده . أخير أنتم أم خيار الامة الذي عبدوا الله حتى صاروا ربانيين يقولون للشيء كن فيكون ألم يأن لكم أن تتفقدوا آثارهم حتى تعلموا كيف تكون الرجال وتفقهوا مزايا الدين انكم والله لفي

شك مريب فعلى ماذا عكفتم وفيم ترددتم أتعكفون على أصنامكم الذين نطق الشيطان في أفواههم وتمكن من قلوبهم حتى أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . أم تترددون في أمر دين ملأت أنواره الاقطار . وكم اودع قلوب المتفقهين فيه من انوار واسرار حتى بهر العقول ام تشكون في امر نبي ما احاط بكنه وصفه الجيل واصف . ولا تمكن من الوصول الى ادراك حقيقة ذاته الشريفة عارف . ومن جهل منكم شؤنه صلى الله عليه وسلم فليطالع صلوات العارفين به عليه الذين منهم الامام ابن مشيش عبد السلام رضي الله تعالى عنه اذ قال اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقه الى آخرها وانها لمسطرة هي وكثير من صلوات العارفين في صلوات الاستاذ الشيخ احمد الدردير رضي الله تعالى عنه . او يتبصر في صلوات ابن عربي الامام محيي الدين رحمه الله حيث قال اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليمات على اول التعينات المفاضة من العماء الرباني وآخر التنزلات المضافة الى النوع الانساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثاني الى مدينة وهو الآن على ما عليه كان محصي عوالم الحضرات الخمس في وجوده وكل شيء احصيناه في امام مبين وراحم سائلي استعداداتها بنداجوده وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الى آخر ماجاء به من الدر المنظوم والمعاني التي لم يحاكيها من قبلها من القول منطوق ولا مفهوم وما أوجد الله امثال هؤلاء وفتح لهم ابواب ..حاته الربانية الا ليكونوا قدوة لامثالكم وأمنـاً من الشك والشرك

لضعاف أفئدتكم ومرضا قلوبكم فلم لم تطلبوا سبل النجاة من مآثرهم الفاخرة ولماذا لم تتبركوا بمطالعة اسرارهم العاطره انكم اذًا لانفسكم لمن الظالمين ثم اجل ذلك القوال بقية القول الى الصباح واستجمع أطراف رداثه عازماً على الرواح وقال لاخوانه استودعناكم الله الذي لاتخيب لديه الودائع ثم انصرف مستغفرا وقال ليكن كل منهم اذا اصبحنا بعون الله لباب هـذا المكان اول قارع وانصرف خلفه القوم حيث لامسرب لهم الا المتاب والتقوى . ولا مآرب لطويات عزائمهم الا التمسك من الدين بالسبب الاقوى (والله يهدي من يشاء والله ذوا فضل عظيم)

فلما أدبر الليل بدياجيه وجنوده . واقبل النهار بما فيـه من طيب مشهده ومؤنس شهوده أقبل القوم على موعدهم مسرعين مثنى وفرادى وما تواصل مددهم وتكامل عددهم الا وقد أقبل ذلك الزاجر زائرا بهيبة وقاره وسكينه سكونه وانكساره وقد كان يناجي ربه بمناجات صاحب حزب الشكوى فما وافي القوم حتى وصل الى قوله اللهم انا أصبحنا لانملك لانفسنا دفعا ولا رفعاً ولا ضرا ولا نفعا فقراء لاشئ لنا ضعفاء لاقوة لنا واصبح الخير كله بيدك وأمر كل شئ راجع اليك اللهم وفقنا لمـا به أمرتنا واعنا على مابه كلفتنا واغننا عن كل شيء بفضلك ورحمتك واجبر كسرنا وما فات منا بعنايتك وكرمك أيدنا بالتوجه اليك بحولك وقوتك يامالك ياقدير ياسميع يابصير ياقريب يامجيب ثم مازال يتضرع ويبكي الى وصل الى قوله الهي قد عجزت قدرتي وقلت حيلتي وضعفت قوتي وتاهت فكرتي وأشكلت قضيتي وساءت حالتي وبعدت أمنيتي وعظمت حسرتي وتصاعدت زفـدتي وانفضح مكنون سريرتي وسالت عبرتي وانت ملجئي ووسيلتي

واليك أرفع بثي وحزني وشكايتي وارجوك لدفع ملمتي يامن يعلم سري وعلانيتي الهي بابك مفتوح للسائل وفضلك مبذول بالنائل واليك منتهى الشكوى وغايه المسائل الهي ارحم دمعي السائل وجسمي الناحل وحالي الحائل وشبابي المايل يامن اليه رفع الشكوى ياعالم السر والنجوى يامن يسمع و يرى ويامن هو بالمنظر الاعلى يارب الارض والسما يامن له الاسماء الحسني يامن له الدوام والبقا يارب عبدك قد ضاقت به الاسباب وغلقت دونه الابواب وتعذر عليه سلوك طريق أهل الصواب وزاد به الهم والغم والاكتئاب وانقضى عمره ولم يفتح له الى فسيح تلك الحضرات ومناهل الصفو والراحات باب وتصرمت ايامه والنفس راتعة في ميادين الغفلة ودنى الاكتساب وانت المرجو لكشف هذا المصاب يامن اذا دعي أجاب ياسريع الحساب يارب الارباب ياعظيم الجناب يا كريم ياوهاب رب لاتحجب دعوتي ولا ترد مسئلتي ولا تدعني بحسرتي ولا تكلني الى حولي وقوتي وارحم عجزي وفاقتي فقد ضاق صدري وتاه فكري وتحيرت في أمري وانت العالم بسري وجهري المالك لنفعي وضري القادر على تفريج كربي وتيسر عسري رب ارحم من عظم مرضه وعز شفاؤه وكثر داؤه وقل دواءه وضعفت حيلته وقوي بلاؤه وانت ملجأه ورجاؤه وعونه وشفاؤه يامن عم العباد فضله وعطاؤه ووسع البرية جوده ونعماؤه وما زال يبكي ويتضرع حتى تم تلك المناجاة ثم تلاها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال . تم نورك فهديت فلك الحمد . عظم حلمك فعفوت فلك الحمد . بسطت يدك فاعطيت فلك الحمد . ر: وجهك اكرم الوجوه وجاهك اعظم الجاه وعطيتك افضل العطية واهنأ

قطاع ربنا فتشكر وتعصى فتغفر وتجيب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ولا يجزى بآلائك احـد ولا يبلغ مدحتك قول قائل سبحانك سبحانك ثم قال اللهم اجعل اول يومنا هـذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا ثم اشرقت الشمس فقال أشرق نور الله وظهر كلام الله وثبت امر الله ونفذ حكم الله استغيث بالله ماشاء الله لا قوة الا بالله تحصنت بخفى لطف الله وبجميل سـتر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة سلطان الله دخلت في كنف الله واستجرت برسول الله صلى الله عليـه وسلم برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته اللهم استرنى في نفسي وديني واهـلى ومالي بسترك الذي سترت به ذاتك الاقدس فلا عين تراك ولا يد تصل اليك فاحجبني من القوم الظالمين بقـدرتك ياقوي يامتين وصـلى الله على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

ثم قال ان من الفوائد المأثورة والفرائد الموفورة أن من كان له الى الله حاجة يحب قضاها فاليجلس مستقبل القبلة على طهارة بدنيـة وتوجه واخلاص ثم يقول اللهم صل على النور الساطع الذاتى الاحـدى يامددي خذ يدي وعليك معتمدي بألف الف كهيعص حمعسق بدوح بدوح بدوح وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة ثم يسأل الله حاجته فانها تقضى كائنة ما كانت ثم قال وبها الاذن والاجازة لكل داع

وقال أيها الاخوان انكم لتشاهدون برأيا العين مانحن عليه من الحزن الشديد والهم المديد والاسف الزائد والحسرة المدهشه واظنكم تظنون ان منشأ مانحن عليه من هذا الحال المحزن هو تعدي العـادين

وبغى المعاندين وجرثة المجرمين من السفهاء الذين تمادي غرورهم واستطالت شرورهم بما جاؤا به من الخزعبلات الخرافية والتمويهات التضليلية كلا والله ذلك لم يكن عندنا في حسبان العناية بمعدود ولا فيما نحن بصدده بالامر المقصود لانكم تعلمون ان العاقل لا يحزنه حال المخترعين لضروب الملاهي والشعوذة لعلمه بأن استعداداتهم وقوابلهم لا تقبل بفتح التاء ولا تقبل بضمها الاعلى ما يلايمها وما خلقت له فلا لوم علي اهل الاستعدادات والقوابل فيما ابتدعوه من الملاهى ولكن اللوم على من يحوم حول حاناتها ويتلاهي بملاعبها عما يعنيه

ان تسمعوني فما في الكون لاهية الا الغرور وشؤم الطبع والشبق

ألا ترون ان المشعوذ قد يضع ألعابه في افواه الطرق ليستميل اليها قلوب المتفرجين فلا يقبل عليه الا الصبيان وجهلة النساء وأوباش الرجال الذين فقدوا مزايا العقل والمعرفة وهل كان حال هؤلاء السفهاء وحال من يأوى الى مجامعهم الزيغية الا كحال من ذكرنا فما كان لنا ان نهتم بشؤنهم ولا أن نشتغل بشعوذتهم ولكنا نتضرر ونتضجر شدة الضجر من حال من كان منكم قليل المعرفة بامر دينه عديم الثبات في ايمانه ويقينه فما حالنا معكم الا كحال رجل عاقل يرى في حال أخيه الشقيق آثار مبادي الجنون فيحزن عليه فمن شام منكم من نفسه شبهة في ايمانه أو شكا في صدق رسالة هذا النبي الكريم فليناديي ربه بما حكاه الله عن بعض الانبياء بقوله (رب لا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ثم قال لقد وعدناكم وعدا صادقا فيما سبق ان نبين لكم بعضا من مزايا دينكم القويم حتي تقابلتها بمزايا الاديان قبله تعلمون فضل نبيكم المأمون

وصدق رسالته فنقول

جاء كل رسول من الرســل يدعوا أمته الى طريق النجاة ومعالم السعادة الدنيوية والاخروية بما يلقيه الله اليهم من التعليمات الأدبية والاحكام التشريعية اما بوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فطلب نوح عليه السلام ومن بعده من الرسل التي تعاصت عليهم أممهم من يعظوه بما تلقوه عن ربهم فلم يجدوا في أممهم من يعي ما يقولون فكان من امرهم ما كان من استحقاق العــذاب وانصباب البلاء عليهم حتى جاء موسى عليه الســلام قومه بما جاء به وأيده الله سبحانه وتعالى بتسع آيات بينات فآمنوا به وبما جاء به من الاحكام الشرعية ولم يجد فيهم من هوذوا قابلية تقبل التخلق بالآداب الكمالية ففارقهم عند ما جاء أجله وهو في شدة أسف وكآبة احزان وأشهد الله وآياته عليهم وكان ما كان منهم بعد موته وحال حياته ثم جاء عيسى عليه السلام قومه بمـا جاء به من الآيات البينات ومــا كانو الا من بقايا بني اسرائيل الذين كثيرا ما قتلوا من انبياء كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الحكيم فقام يخاطبهم من الوعظ والارشاد بما تسمه قلوبهم بضرب الامثال التي يراها المطالعون للعهد الجديد وما وجد فيهم من يتلقي عنه اسرارا من الاسرار الملكوتية الا الحواريين الذين سموهم رســلا وما كان من أمته من له ادراك ذوقي يسترشــده به عن امر دينه وعن طريق الوصول الى الغاية الابدية بل كانوا أقواما جهــلاء لا يأتونه الا بالمرضى والعمى وكل أكمه وأبرص لينالوا الشفاء ببركته وربما فارقوه بعد ما يروا الآيات وهم في شك مريب كما يتبادر للمطلع على الانجيل من فحوي كلامه . وما زال يتعهد الصيادين

للسمك بالمواعظ ويطوف البلاد وحيدا أو في شرذمة قلية من المتفرجين الذين لا هم لهم الا الاحاطة بحاله كيف يحيي الموتى وكيف يبرأ الا كمه والابرص وذلك لأنهم كانوا من أمره في شك مريب وكان الغالب منهم اقواما متمسكين بشريعة موسى كتمسك العوام بما نقلوا عن اسلافهم ووجدوا عليه آبائهم حتى فارقهم برفعه الى السماء كما يقول القرآن المجيد أو بالقتل والصلب والموت كما زعم سفهائهم

ثم بعد ذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم رافلا في حلل كماله مرتديا رداء سكينته وجلاله قائما في قومه مقام الغريب متخلقا فيما بينهم بأخلاق الادباء حتى جاء ابان نبوته وقد كانوا يشاهدون منه علاماتها التي تناولوها من الرهبان والكهنة مثل الشامة والعلامة التي كانت بين كتفيه الشريفين ففجأه الوحي الذي جاء به جبريل عليه السلام وضرب الرحمن جل جلاله بكفه الذي لا يعلم كيف هو الا هو بين كتفيه فوجد برد انامله في صدره فعلم علوم الاولين والآخرين فقام يبلغ دعوته وينشر رسالته وقام الاطغياء منهم في مقابلته يقاومونه طورا بتعنت السؤال وتارة بقبيح الاعمال حتى عاجله ربه بالنصر والفتح المبين كما هو معلوم من القرآن ومما سطر في كتب التواريخ والسير المشهورة المتواترة ولا حاجة للاطالة بذكرها

فجاء صلى الله عليه وسلم في رسالته بأكمل الالقاء والتلقي لمساعدة ظروف الاحوال له ومعاونة الاقدار ولكمال استعدادات قومه وقوابلهم فكان كما قال لهم حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم وقام فيما بينهم يدعوا الى ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء يدعوا الى الله بالحكمة لذوي الالباب الذين استنارت قلوبهم والى اصلاح الاحوال المعاشية بالموعظة والى الايمان بالآخرة والعمل لها

بالتي هي أحسن

وما كان جهاده فيمن جاهدهم بقوة قتاله لغرض من الأغراض الدنيوية كما يظن زعما الفلاسفة وسفهاء القوم الضالين الذين ما علموا من الدين الا ظاهرا من القول . ولكنه كان ليتمكن من تأسيس قواعد الدين في قلوب القوم بحال لا تبيدها الدهور ولا تفنيها الايام ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما حدد هذا المكث بأجل فلذلك كانت غايته القيامه وان قل عدد القارئين له والعاملين به مع طول الامد ولذلك قال جل شأنه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) يريد من النسخ والضياع الى يوم ينفخ في الصور وتذهب الريح اللينة بارواح المؤمنين قبل تلك الصيحة التي أشار الله اليها بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى اصلاح الاحوال المعاشية التي لا قوام لها الا الاكل الحلال والاعتدال في جميع الاحوال بمعلومات تعلمها عن ربه وحيا والهاما ما بين أوامر ومناهي قد أحاط بها الامام الغزالى علما فجمعها في كتابه المسمى باحيا العلوم ثم فصلها تفصيلا فابتدأ الاوامر بالتوبة التي معناها الرجوع الى الله اجماليا وهذا الرجوع يشمل الاقلاع عن الشرك وعن المعاصي وعن كل ما يبعد عن مكانة القرب والتمكين وعما يشعر بنقص في أحوال الكمل المقربين فكانت توبة كل تائب على قدر حاله مع ربه ثم تصورها رضي الله تعالى عنه مركبة من علم وحال وعلم كما هو مقرر في ذلك المؤلف الذي هو ضالة كل مسترشد الى طريق الفوز والنجاة والله يهدي

من يشاء الى صراط مستقيم

ثم بين رضي الله تعالى عنه كل ما أمر الله به سبحانه وتعالى عباده في كتابه العزيز من الاوامر التهذيبية وسماها مقامات يقيم بها السالكون السائرون الى الله بالتدريج ثم ينتقلون من مقام الى مقام بعد التحقيق بالمقام الذي ينتقل منه السائر الى غيره فمن أراد ان يقف على حقائق تلك المقامات فاليدرس ذلك المؤلف الشريف بتحقيق وتأمل حتي يهتدي الى نهاية ما ترمي اليه سهام أغراض ذلك العارف الاكمل والامام الافضل

ولقد كان من تلك المقامات مقام التوكل الذي تشير الى وجوب التحقق به آيات كثيرة من القرآن الحكيم وقدمته القوم الضالون من الفلاسفة وسفهاء الامة الذين اتخذوا الحضارة وسيلة الى الحقارة عند الله وعند الصفوة من عباده وجعلوه علامات الكسل ومجلبة الفقر والتقهقر الذي قابلوه بالتقدم ولا أعلم لذلك التقدم من غاية الا ادراك دركات السعير التي خير الله فيها عباده بقوله(لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر

ثم بين ذلك الامام رضي الله تعالى عنه المناهي وسماها موبقات وأوضح ضرر كل موبقة منها وعلم المطالعين طريق الفرار من غوائل تلك الموبقات فمن شاء ان يتعلم التقوي ويعرف كيف يكون تخلص الانسان من حبائل أشراك الشياطين فليتبصر في ذلك البيان فانه تبصرة وذكري لاولي الالباب ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

وما كان ذلك الامام رحمه الله نبيا ولا رسولا ولكنه فرد من افراد الاتقياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تتبع آثاره واقتفى اخباره واهتدي بمعالم أنواره وتحقق باسراره فعلم ما هو الذي جاءت به الرسل فاصبح

وراشدا مرشدا مهتديا هاديا والله يقول الحق ويهدي السبيل

ثم لما أصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب من صحبوه بما ذكرناه استنارت بصائرهم وتنزهت افئدتهم عن محبة الدنيا والتكالب عليها قام يرغبهم في الآخرة بالتي هي احسن بمثل قوله لمعاذا ابن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله بقوله يا رسول الله بم أتق النار فأجابه بقوله بدموع عينيك وبمثل قوله لاصحابه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقوله لو تعلم البهائم ما تعلمونه من الموت ما أكلتم منها سمينا وقوله ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الترغيبات القوليه والحاليه والعملية حتى غدا الغالب من قومه كأنه يرى الآخرة وما فيها بعيني رأسه كما يشهد بذلك قول سلمان الفارس له عند ما سأله كيف اصبحت يا سلمان فقال أصبحت كأني أرى عرش ربي بارزا وأرى أهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها واهل النار في النار يتعاوون فيها فقال له صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ثم لما استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستنارة بصائر قومه وعلم شهادة الله سبحانه وتعالى لهم بما سبق بيانه قبل واستأنس بكمال الايمان وثبات اليقين من احوالهم جاء يقربهم الى مقامات القرب والتمكين بالحكمة التي القاها اليهم في مثل قوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وقوله عن الله سبحانه وتعالى ما تقرب اليه عبدي بشيء أحب الى من اداء ما افترضته عليه ولا زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فلو انه صلى الله عليه وسلم جاءهم بمثل هذا الحديث في مبدء أمره اذ كانوا كأهل هذا الزمن في حالة ايمان لا حقيقة

له لما فقهوا لهذا القول معني ولكذبوه كما كذبه اغبياء الفلاسفة الذين ما ذاقوا للقرب طعما ولا علموا ما هو القرب الذي يكون من الله لعباده الاخيار الاصفياء وكذلك كان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملاء ذكرتك في ملاء خير منه وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الي سعيت اليك وان سعيت الي هرولت اليك وان سألتني اعطيتك وان لم تسألني غضبت عليك فكان

كل ذلك وامثاله من طريق الحكمة التي أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وما لها من أهل الا الاتقياء الذين يعلمهم الله ويجعل لهم من ظلمات الجهل مخرجاً ويرزقهم المعرفة من حيث لا يحتسبون وما أحسن دقيق اشارة الصديق رضي الله تعالى عنه الى نهاية المقامات القربية التي يتحقق بها الصديقون التي تفطن لها العارفون من قوله . العجز عن الادراك ادراك . وذلك لأنه اذ اتقرب العبد من ربه بالنوافل حتى أحبه وتولاه كما يتولي الصالحين باتحاد الارادات والمرادات والأخذ بناصيته الى معالم السعادة لا يدري العبد اذ ذاك من هو القائم به لأنه شاهد في نفسه ما لم يكن يعهده فيها من قبل وقد أحيط به من كل جهاته ومعالمه الحسية والمعنوية وزج به في موج من الانوار القدسية فصار كله نورا والله على كل شيء قدير

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاء به من التنزيل والذكر الحكيم وتكلم بما تكلم به في قومه من الاحاديث الصحيحة وحفظها عنه قومه بغاية الدقة والضبط لانهم هم أهل لا اله الا الله وكانوا أحق بها

وأهلها كما قال القرآن وما كانوا أحق بها الا لان استعداداتهم وقوابلهم قابلة لكل كمال وخلق حسن بدليل شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهم بقوله رحم الله أباذر لو لم يخف الله لم يعصه وبدليل أن عمر بن الخطاب لم يعص الله في الجاهلية ولا في الاسلام وبدليل ان عليا رضي الله تعالى عنه ماوصفوه بقولهم كرم الله وجهه الا لأنه لم ينظر الي عورة مدي عمره حتى ان عمر بن العاص ما افتدي منه عند القتل الا بكشف عورته فحول بصره عنه وأقاله وهكذا كانت استعداداتهم كلها كمالية فلذلك ضبطوا قواعد الدين واركانه من بعده وحفظوها حتى تناولها التابعون وتابعوا التابعين حتي الآن بكل دقة وصيانة فجاء العلماء الذين هم ورثة الانبياء من بعده فيما دونوه استنباطاً من القرآن الحكيم ومن أقوال الذي كان لا ينطق عن الهوى ومن أحواله وأعماله بما لم تأت به أمة بعد رسولها كما هو مشاهد ومعلوم لمن يعقل ومن لا يعقل وما سمعنا بمن عاب هـذا العمل الصالح الذي لولا توفيق الله سبحانه وتعالى لمن قاموا به وعنايته بهـذه الامة لم يكن كما ترونه الآن فقد جمعت أبواب المعاملات الفقهية جميع مايحتاج اليه الانسان في حفظ الآداب الانسانية وصيانة روابط النظامات الاجتماعية مما لو تعامل به المتعاملون ما بغي خصمان على بعضهما ولقـد أحاطت فصول العبادات من الآداب القربية بمـا لو استقصاه متجمل بأنوار الهداية واسرار التوفيق لكان صديقا ولقد طالعتم من أنباء أتقياء المتقدمين ما به علمتم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل ولكن شياطين الفلاسفة قد القوا اليكم ان المحققين من أتقياء هذه الامة الذين اشتهروا بالتصرف في عوالم الملك والملكوت كانوا

في اعلى طبقات الجنون وطالما كان الكفار يقولون هذا القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد به القرآن الحكيم وما كان بالمجنون كما قالوا ولا كان أتقياء أمته مجانين كما زعم السفهاء الضلال ولكنهم قاموا داعين الى الله على بصيرة كما أخبر بذلك الله سبحانه وتعالى في قوله لنبيه (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني)وما كانت سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحضارة والتمدن الذى دعى اليه الممقوتون الآن حتى يقال لهم هم ورثة الانبياء ولكن طريقه القويم وصراطه المستقيم هو ماعليه اهل التحقيق الذين كانوا قليلامن الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون واذا مروا باللغو مروا كراماً الذين لاتلهيهم اموالهم ولا اولادهم عن ذكر الله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الذين هم في صلاتهم خاشعون الذين هم من عذاب ربهم مشفقون الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة . الذين لايخشون الا الله . الذين وصفهم الامام البكري صاحب ورد السحر بقوله

الهي باهل الانكسار وحقهم ومن بك قدنالوا المقام المعظما
ومن اطلقوا الاكوان حباً وطلقوا الــمنام ولم يشكوا لزاد ولاظما
ومن مرغوا للخلف في ترب ارضكم ومن للهوي يالسقم والحال اسقما
عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهمو اضحي لهالكون خادما

وما كانت الملوك عبيدهم الا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم من اطاع الله اطاع الله له كل شيء ولما وردفي بعض الكتب السماوية عبدي اطعني تكن ربانيا تقول للشيء كن فيكون فهؤلاء هم الذين عناهم الله بقوله (ومن اتبعني) ان كنتم تعقلون

وما كانت عناية الله بهم الا لانهم هم محط نظره من خلقه فخلقهم واختارهم لخدمته ولاهم بمحبته . وخصص وجودهم في زمن هذا النبي الكريم لما بينهم وبينه من المناسبة الاستعدادية فصدقوه وآمنوا به ايمانا لا تزلزل ثباته حادثة من الحوادث ولا عارض من العوارض فلو اننا قارنا بين ايمان جميع من عبدوا العجل في أيام موسى عليه السلام وبين ايمان عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حينما كان في الجهاد في خلافة أحد الخلفاء الراشدين وحاصروا مدينة من المدن ومكث الحصار أياما فقال لقومه ضعوني في منجنيق وارموا بي على أعلى السور وأنا أقاتلهم حتى افتح الباب فقالوا له الا تخاف الموت اذا رميناك قال لا قيل ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته أسر لي أني سأكون واليا على مصر والى الآن ما وليتها وما كان رسول الله كاذبا فانظر الى ايمان ذلك الرجل الكامل كيف أداه الى المخاطرة بنفسه لشدة يقينه بصدق هذا النبي الكريم وما ذاك الا لما شاهده من شؤون كماله . وصدق حاله ومقاله وأين حال هذا المؤمن من حال القوم الذين عبدوا العجل ... لما رأوا قوما يعكفون على أصنامهم (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) وانكم لتعلمون أن في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هو أكمل من عمرو بن العاص ايمانا وأشد منه يقينا فقد قال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقينا ومن كان هذا حاله كان سعيدا في الدنيا والآخرة ووجيها ومن المقربين كما كان عيسى عليه السلام وكما كانت أنبياء بني اسرائيل

ثم غلا دم ذلك الرجل فاحمرت وجناته واقشعر جسده فارتعد

وارتعش وكان كما قال القائل

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتعش العصفور بلله القطر

وكما قال آخر

اذا اهتزت الارواح شوقاً الى اللقا * نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعنى

ثم قال أيها الاخوان ان نبيكم صلوات الله تبارك وتعالى عليه نبي لا كالأنبياء ورسول لا كالرسل وعالم لا كالعلماء وأديب لا كالأدباء وظريف لا كالظرفاء وخليفة لا كالخلفاء وأمته أمة لا كالأمم وأصحابه أصحاب وأنصار وأحزاب لا كالاصحاب والانصار والاحزاب وخلفاؤه خلفاء لا كالخلفاء ومن تفقد تواريخ الأمم وأنبيائهم والكتب المنزلة عليهم وأمعن النظر وأتقن المقارنة وحقق التأمل وكان ذا بصيرة نيرة يعلم الفارق بين الفريقين ويتحقق حق اليقين ان الله سبحانه وتعالى اتخذ هذه الأمة ورسولها صفوة خلقه واختارهم من خيرة عباده وجعلهم زينة الدنيا وعرائس الآخرة وما عنيت بالأمة من كانوا أمثالكم وأمثال علمائكم وفقهائكم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ولكني أعني بالأمة القوم الذين أشار الله اليهم بقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والله سبحانه وتعالى لا يقبل الا شهادة من كان عدلا مقبول الشهادة ولا يكون العدل الا مؤدبا ظريفا معاديا للعدول والميل الى طريق الشيطان والشهوات كما كان القوم الصالحون منهم فلو أنكم ذووا أذواق سليمة وأفكار ذات موازين صحيحة لخجلتم من نسبتكم الى هذه الأمة عند ذكر الخيار منها

ثم قال ان من كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه . أيها الناس

أجملوا في الطلب فالرزق مقسوم وفي القنوع بلغـة والزمن الآتي يفوت
كالذي مضي والذي مضي كأنه لم يكن وكل ما هو آت قريب

ولولا أني أميت بدعة وأحيي سنة ماسرني أني أعيش فكم ساعة واحدة.

فأين هذا الخطيب المرشد من ضلال خطبائكم وعلمائكم الآن الذين لا يحثون الا على الحضارة والتمدن ويزعمون أنهم أبلغ القوم قولا وأهداهم الى الرشاد ارشادا انهم والله لكاذبون وما كانوا الا كما قال الشاعر

تميم لطرق اللئم أهدى من القطا

أولئك قوم كانوا ناطقين بالحق هادين الى الصواب ومع ذلك كانوا يستغفرون الله من وعظهم خوف الخطأ والنسيان أو معارضة الاعمـال للاقوال وأما الواعظون منكم الآن فيخوضون في الخطأ خوضا ويغرقون في مراحيض الضلال غرقا ثم اذا هجعت قرائحهم واختبت في زوايا أشداقهم ألسنتهم أخذ منهم التفاخر والتباهي والخيلاء والاعجاب بأنفسهم مأخذا عظيما وما أقبح هذا العمل وما أسوأ حال من كان هذا حاله

ثم قال ان من وصايا بعض السلف الصالح لبعض الوعاظ قوله اذا أحسنت القول فأحسن العمل ليجتمع لك مزية اللسان ومزية الاحسان والقوم الآن لسان طويل وخير قليل وحال وبيل ومن كلام الحكماء اذا أراد الله بقوم سوأ امنحهم الجدل ومنعهم العمل فكأن هذا القائل كان مع علمائكم المتشدقين وخطبائكم المتفلسفين الا لعنة الله على القوم الفاسـقين

قيل للفضيل ابن عياض ما أعجب الاشياء فقال قلب عرف الله ثم عصاه ثم قال الشهوة خا..ة ... وغادرة لالباب ومستحسنة للقبائح وما

بن عطب الا وهي السبب ثم قال القلوب المعلقة بالشهوات محجوبة عن
الله تعالى والقوي من غلب هواه . والكريم من كف أذاه وانا لنرى
من متلائك الآن أقواما يؤذون الله ورسوله متابعة لاهوائهم وتنفيذا
لاغراضهم وأصبحوا موضع اشارة قول القائل

اذا رزق الفتى وجها وقيحا * تقلب في الوقاحة كيف شاء

فأين أنتم اليوم من أولئك القوم أولئك كانوا قوما عدولا أمناء
أدباء اتقياء أصفياء أبرياء شهد الله لهم في كتابه بما سبق ذكره قبل من
الآيات القرآنية التي تشير الى أوصاف المؤمنين وما وصفهم القرآن الا
[illegible] حفظا [illegible] البلاغة [illegible] الايجاز [illegible] أراد ان يعلم كيف
[illegible] مرآتهم

[illegible] وصف [illegible] بالزهد والتقوى
[illegible] عليه وجهه [illegible] تجاه القبلة فانثنى راجعا وقيل
[illegible] الادب [illegible] الحلال الا [illegible] لانه
[illegible] على ذلك [illegible]
[illegible] حتى [illegible] أنما [illegible] أولياء
[illegible] الوقت قليلا من كثير وما
[illegible] خزائنكم ولا [illegible] كلمتهم
[illegible] ولكنكم [illegible] مستهزؤن ومن [illegible]
[illegible]

و [illegible] اوصافه [illegible] الواصفون وما تمكن من
ادراك حقيقة [illegible] المقدسة العارفون ولله در ابن عربي حيث يقول واصفا له

في صلواته عليه بعد كلام قد اتينا به فيما سبق نقطة البسملة الجامعة لما يكون وكان . ونقطة الأمر الجارية بدوائر الأكوان . سر الهوية التي في كل شيء سارية . وعن كل شيء مجردة وعارية . أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل . وموزعها كلمة الاسم الاعظم . فاتحة الكنز المطلسم . الى ان قال الطود الاشم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين . والبحر الخضم الذي لم تكدره جيف الغفلات عن صفاء اليقين الى آخر ما جاء به من القول الذي لا يعقله الا العالمون وما كان ابن عربي ولا كنت داخلا في حوزة قول القائل (كل فتاة بابيها معجبه) كما عليه سفهاء الامم الآخرين ولكنها اثنة متبصر أرشدته اشارات التوفيق والهداية وأوقفته عبارات التحقيق من بوادر الحق على البداية والنهاية . وان كل عاقل ليعلم علم اليقين أن لام القسم من قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قد أحاطت بكل وصف من الاوصاف الكمالية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

شكا موسى قومه لربه عند ما تعاصوا عن القتال فتيههم في التيه اربعين سنة وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قاومه المشركون (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) الى غير ذلك من التكريمات الحنانية والتعطفات الرحموتيه التي لم ينلها غيره ولم يحظ بها سواه ومن أراد استقصاء ذلك فعليه بكتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الشمائل وما شاكلها فما من أعمى الا ويجد قائدا . كل اقام مسترشدا . وما ضر أهل هذا الزمن الا التعاصي والتغاضي فكانوا كبغال قوية منها ما هو شموس ومنها ما هو جموح فكأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة والله بما يعملون محيط

ألا ان العاقل المنصف لو تفقد أحوال الرسل وتعليماتهم وأعمالهم ومزايا حركاتهم وسكناتهم اعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان على حال كمال فوق طاقة البشر . واعلم ان الذين عابوه من سفهاء المسيحيين لا ميزان لهم في افكار العقلاء . ولا منزلة لهم بين الفضلاء . لانهم لو قارنوا بين قول الله تعالى لموسى (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) وقوله تعالى لداود على لسان الخصمين المسخرين لعتابه (وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وبين المرأة التي طلقها زوجها بارادته واختياره لبغضها له ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة لانها كانت قرشية لما وجد بين الاحوال نسبة ولما شهد لهؤلاء السفهاء بغير الجنون وهوس الخبال فلو أنه صح أن القليل من الهفوات البشرية التي لا تصدر عن غلظة طبع ولا قسوة قلب ولا عن مقصد سيء يخرج الآتي به من دائرة النبوة لمحا الله اسم موسى عليه السلام من دفاتر الانبياء وكذلك داود كما وردت به التوراة ولا وقف سير المسيح الذي أعرض عن أمه وأنكرها عندما قيل له في مجلس الوعظ ان أمك ومن معها في انتظارك لان هذا مخالف لامر الله سبحانه وتعالى الصادر في شأن بر الوالدين فأين هذا العمل من عمل الرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي سألته أمه ان يسقيها فلما جاءها بالماء وجدها نائمة فوقف عند رجليها حتى اصبح خوف ان تتيقظ ظمآنة فلا تجده وما جئت بهذه المقارنة تحقيرا لقدر المسيح الامجد ولا اعابة لعمله لانه ربما كان ذا مقصد لا ندريه ولا يحيط بأسراره امثالنا ولكني جئت بها لاظهر لهؤلاء السفهاء ان اعمال الرسل لا ينبغي للجاهل الخوض فيها ولا اعابتها بحال من الاحوال وما كان حال من يفتري

على الله الكذب في حق الرسل ويقوم بينه وبينهم بالنميمة التي لا تصدر الا عن فسوق وكفران وخبث طوية الا كحال احمق جريء فاقد العقل والادب نقل له ان بعض خاصة الملك جني ذنبا وعاتبه الملك عليه وعفا عنه فبادر ذلك الاحمق الى مصارع حتفه ومواقف خذلانه بالخوض في عرض ذلك المقرب واغراء الخدم بازدرائه فتعجب الملك من جرأة ذلك الاحمق السفيه وامر ان يكون تحت المراقبة حتي يأتي اليوم الذي تعاقب فيه المجرمون

ثم قال تالله لولا ان الجزاء من جنس العمل لما جوزي رسول الله صلى الله عليه وسلم على عفافه وكتمان محبته وصبره ورجوعه الى ربه بقوله سبحان مقلب القلوب بالتمكن مما احبها بالامر العالي القرآني الذي لم يعارضه في انفاذه معارض ولا يتتبعه فيه متتبع بأقل انتقاد الا القوم الخاطئون الضالون كعجائز النساء اللاتي لا حرفة لهن الا اعابة اعمال العالمين لما يتوهمنه من انهن بذلك يكبرن في اعين جهلة النساء

ثم قال ألا فانظروا بعين التأمل في احوال الرسل كيف كانت مع أممهم اذ كانوا لا ينظرون لهم الا بعين الازدراء والاحتقار كما يشهد بذلك قول موسي عليه السلام لقومه فيما حكاه الله عنه اذ قال (ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) ثم أعقب الله ذلك بقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وكذلك كان حال عيسى مع قومه كما يشهد بذلك الانجيل واما هذا الجليل الذي تجمل جماله بالجلال فقد كان من أمره مع قومه ان قال لهم (لا تفعلوا بي كما تفعل الاعاجم بملوكهم ان أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد) ولقد وصف حاله

معهم الامام البوصيري بمثل قوله

كأنه وهو فرد في جلالته ☆ في عسكر حين تلقاه وفي حشم

ولقد علم الله سبحانه وتعالى قومه الادب معه بقوله (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)وبقوله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أ كثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتي تخرج اليهم لكان خيرا لهم) الى غير ذلك من الآداب الكمالية التي اختصت بها هذه الامة المكرمة

ولقد كان من تواضعه وأدبه صلى الله عليه وسلم مع ربه أن كان اذا صافحه مصافح من الفقراء لا يتجاذب به يده حتى يكون ذلك المصافح هو البادي بالانصراف عملا بقوله تعالى في سورة الكهف التي زعم القوم أنها من خرافات العجائز (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) ولقد كان من أدبه الكامل ونزاهة اخلاقه أن قالوا له حينما أثر الحصير في جنبه الشريف هلا اتخذنا لك وطأ فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولقد بينا المعنى المشار اليه بهذه الكلمة الشريفة في كتاب نشر الاسرار البشرية فلا حاجة لايضاحه الآن ولو اننا أردنا ايراد آدابه صلى الله عليه وسلم واحصاء مكارم اخلاقه لأعيانا ذلك اذ لا طاقة لامثالنا بالاحاطة بتلك الآداب الكمالية ولقد قسمت مزاياه الادبية على أتقياء أمته كل على مقدار قابليته واستعداده فكانوا لها لوحا محفوظا حفظها الله بهم من الضياع ولا تزال

محفوظة حتى تقوم الساعة لانها هي القرآن ولذلك أثني الله عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) وقال له ولأمته أليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وما كان اكمال الدين الا تنوير البصائر وانقطاع الوحي عن التنزيل وما كان اتمام النعمة الا بيان الاخلاق الكمالية التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لتتميمها واما الاسلام فما هو الا الدين الذي ضربنا له المثل في مثبت العقل والدين ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال وانا لنلتمس لهؤلاء الضلال عذرا في جهلهم مقدار ما أوتي هذا النبي الكريم من انواع الكرامات الاحسانية والمواهب الصمدانية والعلوم اللدنية لأنهم قوم يجهلون ولكننا لانجد لكم عذرا في شهود محافلهم وعدم الاعراض عنهم اذا خاضوا في آيات الله مع قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) اذاً فما هي الضرورة التي تلجئكم الى مجالسة هؤلاء الفساق والاصغاء لخزعبلاتهم فوالله لانجد لحالكم معهم شبهاً الا حال جهلة نساء القرى اللاتي تأتيهن المرأة المحتالة من نساء الاغجار فتنادي بينهن بقولها (نبين زين ونضمر زين) فيترامين عليها ظانات انها تعلم الغيب وتخبر عما في الضمائر فتناجي الواحدة منهن وقد قبضت على كفها بقولها أضمر لك ضمير تقعي في البير قولي ان شاء الله فتقول كما لقنتها لجهلها وغباوة فهمها فهكذا هو حالكم مع هؤلاء المحتالين الاغوياء وانه والله لحال سيئ لا ينبغي أن يتلبس به المؤمنون سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ثم قال

اني لاضحك والاحشاء باكية * من لهو قومي ومن تهويل اعدائي
اذ ذكروني بأنثي البوم اذ نهضت * تريد قنص خيال النسر في الماء
فقابلتها قطاة وهي قائلة * هل صح صيد لعميا بنت عمياء
وهل لمثلك والاضواء تولمها * أن تحسن الصيد أو تسطو بظلماء
فهل تخيلت أن النسر الجاه * كسر الجناح الى وكر من الماء
حتي همت به ياشر خائنة * هامت على وجهها تهيام حمقاء
أو ان قوته بالسقم قد وهنت * فليس يقوى على ادراك عرجاء
هلا رفعت لفوق الفوق طرفك كي * يبدو لك النسر في انحاء عليـاء
هلا خجلت وجند الطير ما وصفوا * من أفرختك بوصف غير شوهاء
أليس هذا مليك الطير يحذره * أولوا الجناحين من صقر لعنقاء
فلم تزل أم حرب في غوايتها * حتي دها هادوي الدال والياء(١)
من ضارب زاجرات الطير تفزعه * فليس يبقي على الدانى ولا النائي
وهذه حال قوم لا خلاق لهم * قد حاولوا هدم مجد الطاء والهاء
مثلتها للـذي بالذوق يفقه ما * أبهمته باشاراتي وايمـائي
وادهشني من ملاهيكم وغفلتكم * عمـا أسر حايف الشين والراء
فياذوي السقم قد جئنا نعالجكم * بالمشتهى من فكاهات كحلواء
فمازها كم سوى تشخيص ذى مرض * أضحى يداوي عضال الداء بالداء
فأسأل الله ان يجلي بصائركم * بنور مشرق شمس الميم والحاء
وان يقيض للبوم الرماة وان * يرمي بها من مساويها بأسواء

(١) يشير الى مايمثل به الصبيان عمل الآلة النارية القتالة اذا ما تشابهوا بالمحار بين ومدوا عصيهم الى الهوا قائلين دي ها هيا

ثم اعرض ذلك الخطيب بوجهه عن القوم اعراض المسار علي ذات الرائحة الكريهة وقد عارضته في طريقه قائلا اين هؤلاء الضلال واين حقارة قدرهم وغباوة جهلهم من عظمة جلال مقدار محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يضارعه مخلوق في كمال مزاياه وعظم جاهه وارتفاع مجده كلا ان القوم لفي ضلال مبين

كل ذلك والقوم باهتون خاشعة ابصارهم لانتظار عودة اقباله فما لبث ان اقبل بوجهه قائلا

(يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) ان الذين صادموكم ليصدوكم عن دينكم ما كان حالهم معكم الا كحال كاذب محتال نصاب حاول فتنة كريم ذي مال وعيال عاش في اهله مسرورا بماله وولده متمتعا بنعمته وداره التي ورثها عن سلفه الذين كانوا اهل وجاهة وجاه عريض فكان من حسد ذلك الخائن وحقده وخبث طويته ان قال له ياهذا هل أدلك على أب اوجه من ابيك واوسع منه جاها ونعمة فلو انك انتميت اليه مجرد انتماء لكان لك اكبر نفعا وارفع مجدا فقال له ياهذا وكيف يكون ذلك وما نفعني من قبل مجرد انتمائي لسلفي بل الذي أعلمه اني ماحرزت ماتراه من النعم الا بعد مشاق الخدمة وحسن الاخلاص والعمل بكل وصاياهم فقال له ان الخطب لهين وان مجرد الانتساب لهذا الاب ليجعلك في أرقى درجات النعيم فأطعني والا كنت من النادمين . وقد كان ذلك المحسود المنصوح غبي الفهم فاسد التصور لا يفقه خبايا خدع المحتالين فأوشك أن يميل الى فتنة ذلك المحتال وخدعة ذلك الغرور المغرور فناداه أخ له ياهذا هل وصل بك العته والغباوة الى حد تكون فيه حليف الضياع صريع

الافتتان مغلوب الغرور مكبلا بقيود الشقاء فاقد التمييز فاسد التصور لاتحسن التصرف في حالك اذا يجب على كل عاقل أن يحجر عليك فقال وكيف ذلك قال لان أباك الذي يريد هذا الضال منك أن تقطع انتسابك اليه ما كان جاهلا بحال ذلك الأب الذي يذكره لك هذا الكذاب المضل ولا بحال أبنائه الذين أشبعوه عقوقا وهم لا يشعرون ولقد تبرأ منهم فلا تركن الى خزعبلات هذا الكذوب فانه مفتون وان أطعته كنت قد ألقيت بنفسك في مهواة الهوان وفقدت مابين يديك وأصبحت صفر اليدين مذموما مدحورا وخسرت خسرانا مبينا ثم قال

اذا أنت للاعداء ألقيت مسمعا * وكنت غبي الفهم غير بصير
رجعت من الخذلان والخزي والبلا * ومعظم انواع الاذى بكثير
فما خدعة الاعداء الا حبالة * لايجاد أخطار وفقد نصير
ومن لم يحاذر من عدو مخادع * قوي احتيال مفسد وغرور
غدا مضغة للماضغين وان عسى * يكون اسير الغم بعد يسير
ومن سره أنس ابتسامة ذئبه * فما احتل الا موحشات قبور

ثم قال أيها الناس من كان منكم في ريب مما قررناه فايلق على مسامعنا ماحاك في صدره لنذود عن قلبه رائد الشك وظلمة الشرك ان الشرك لظلم عظيم

واذا برجل قام من بين القوم وقد تزيا بزي سكان البلاد المغربية الذين اتخذوا ثيابا من صوف أبيض لها فوق اكتاف اللابسين قطعة مجوفة مستديرة قد نسجت من ذلك الصوف على هيأة التاج قائلا وهو يلوي الى لغة اهل الغرب لسانه ليظن السامعون أنه مسلم مغربي الاصل وقد تنصر

أيها الخطيب الواعظ لقد اطلت الوعظ على غير طائل واقبت الينا مالا تقبله القلوب الواعية ولا تميل اليه العواطف لانه بعيد عن الصواب

فأدهش القوم قوله وقاموا على أقدامهم صارخين في وجهه بالزجر العنيف وهموا أن يبطشوا به فاشار الخطيب اليهم ان يكفوا أذاهم عنه وان يجلس كل قائم مكانه فجلسوا داهشين وقد أخجل الرجل حالهم واخافه ماشاهده منهم من حماس احمية . وغاظة الغيرة الدينية . وهاله قيامهم على قدم واجتماعهم على كلمة واحدة فلما رأى الخطيب عليه علامة الخزي والخوف لاطفه باللين والتعطف قائلا

ياهذا لايهولنك مارأيته من اجتماع الجماعة على مقابلتك بمؤلمات الزجر العنيف فانهم ماسمعوا منا ما حاد عن طريق الصواب ولا مايضاد الكلمة التي ضرب الله لها في القرآن المثل بقوله (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس والله [illegible] ازدياد ما اهديناه الى [illegible] الا [illegible] ن [illegible] واق على قلبك ملحفة الا طمئنان ويبرح فؤادك بروحه اهدو واسكن لمنطق لسانك [illegible] وتحرج ما اخبأته في طوايا سر يرتك من العقائد التي هي [illegible] در الاعمال الدينية من كل عامل ولا تخف من القوم بأسا ولا رهقا

فاستحضر ذلك الرجل الغربي من عقله ماغاب في فيافي الذهول وأودية الدهشة التي فاجأته من حيث لم تكن في حسبانه . ثم تهيأ لاستخراج مقذوفات قريحته بمنطلق لسانه فقال

ايها الخطيب اني كنت مسلما صالحا ثم ان ابي وامي كانا مسلمين وطالما كنت اذكر الله في الجلوات والخلوات وفوق السقف من كثير من المساجد المشهورة بالبركة بين المسلمين وكنت كلما ازددت ذكرا ازددت ميلا للشرور ثم استعملت كثيرا من الرياضات لعلي اصل الى نيل ما تلهج به الالسن من كرامات الاولياء فما شممت رائحة قبول ولا توسمت علامة وصول. حتي جاوزت سن الاربعين وانا كثير العمل طويل الامل. الى ان طرق قلبي طارق القنوط واليأس من نيل مارجوته مع بقائي على تلك الحالة فأطلت البحث في الاديان فما وجدت دينا اقرب للفوز والنجاة ودخول ملكوت الرب غير دين المسيح الذي وصفه قومه بأنه الاله المجد الذي هو الآن عن يمين ابيه فبادرت بالتنصر ووافيت البطرك متعمدا وها انا الآن من اكبر المسيحيين وهذا هو الصليب في عنقي وصورة المسيح في جيبي اسجد لها كلما رأيتها الى ان أراه بعد الموت فيتعطف علي ويحسن مثواي ويحمل عني الخطايا ويجعلني عند أبيه من المرضيين

فعند ذلك تبسم الخطيب ضاحكا وقلب كفيه متعجبا وحوقل واستعاذ ورفع يديه الى السماء قائلا اللهم انت عياذي فبك اعوذ وانت غياثي فبك استغيث وانت ملاذي فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له اعناق الفراعنة اعوذ بك من خزيك ومكرك. وكشف سترك. ونسيان ذكرك. والانصراف عن شكرك. انا في كنفك ليلي ونهاري ونومي وقراري. ظعني واسفاري. وحياتي ومماتي ذكرك شعاري. وثناؤك دثاري. لااله الا انت تعظيما لاسمك وتنزيها لسبحات وجهك سبحانك

سبحانك سبحانك. ما اعظم شانك سبحانك سبحانك سبحانك . ما اعز سلطانك. سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك (والله المستعان على ماتصفون)

ثم قال ياهذا لقد استحكم الجهل في جميع معالم ادراكاتك كما تحكم في فؤادك الشيطان حتى لم تجد لنفسك من ضيق الخبال والفتنة مخرجا وقد اصبحت وامسيت فاقد الشعور والاحساس حتى جهلت ما انت عليه من سوء الحال وخيبة المآل وصرت على حال كحال القائل ولله دره فقد كان اعلم منك بنفسه

دهشت لطول الصد حتى كأنني * تعاطيت مايطغى لمطعمه العقل
وحرت فلا ادري الى اين مذهبي * وكيف يطيب العيش ان عدم الوصل
وقد ضاق بي رحب الزمان واصبحت * تحاكي فلاة الارض مايحفر النمل
ولست اري الا العـذول مسامرا * ولا قرب الا من رقيب له جعل
فوافيت قصرا قد تزيا مزخرفا * بزي قصور الخلد ليس له قفـل
فلما ولجت الباب وامتد ناظري * لقيعان ذاك القصر من حيث لاتخلو
بصرت بقوم كالبغـال تتابعوا * الى مامن الاعشاب ليس له مثل
فطأطأت رأسي كالبهائم راتعـا * كما رتع الاقوام يقدمهم عجل
واصبحت استدعي الجياع لمرتعي * ومن لم ير العيش الجاه الجهـل

ثم قال يا هـذا لقد علمنا ما ألجأك الى الفرار مما اعتنقه العقلاء ان كنت من الصادقين وسنوقفك على سيئات أحوالك بواضح البيان. وساطع الحجة والبرهان. ولكنا نحب أن نعلم ما نلته من الخير وما حويته من المزايا بعد ما كان منك من محو هـذا الدين القويم و ما واصلته من العبادات على الطريقة المسيحية فكن على نفسك من الشاهـدين ولا تكتم الشهادة

ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله على كل شيء شهيد

فقال انما نعمر الكنائس في أوقات الصلاة ونجيب الناقوس ونتعبد بمزامير داود ونسجد للصليب والمصلوب ونتلوا الانجيل فندخل ملكوت الرب

فقال له الرجل ومن أي باب من أبواب الملكوت دخلت ان كنت صادقا فبهت الرجل هنيهة ثم رجع الى حسه قائلا ان ملكوت الرب لا أبواب له فقال وما علامة دخولك ذلك الملكوت الذي كثيرا ما نسمع سفهاءكم يذكرونه ويرغبون الناس في الدخول فيه وما برهانك على صدق دعواك ان كنت من الذين يزعمون أنهم دخلوه

فقال كما يقول السفهاء والاغبياء منهم ان هذا الامر لا يليق التصريح به ولم يكن في امكان الداخلين فيه التعبير عما يشاهدونه من آياته فقال له ألا هل من حال يظهر على أولئك الداخلين من احوال الصالحين ويتميزون به عن غيرهم او علامة يعرفون بها بين الناس فقال المفتون لا فانها اسرار باطنية لا تكشف أستارها فناداه يا هذا ان أصحاب الاسرار هم الذين يأتون بالأنباء الغيبية ويطلعون على ما في قلوب الذين معهم وربما حدروهم او بشروهم ببعض الغيبيات التي تأتي بها الحوادث الدهرية كما كان عيسى عليه السلام وكثير من اولياء امة محمد صلى الله عليه وسلم فهل فيكم من يكون حاله هكذا فقال ذلك الاحمق ان هذا لا يكون ولم نسمع به فقال له اذا فما هو الملكوت الذي تدعون الناس الى الدخول فيه فهل تنادون في الناس بالترغيب في شيء ما علمتموه ولا دخلتموه وما له عندكم من باب ولا علامة ولا حال يتميز به الداخل فيه عن غيره ان هذا لهو الضلال البعيد

فقال الرجل انما ندعوا الامم الى اصلاح مستقبلهم في الآخرة ولا

ريد بالملكوت لا ملكوت الرب الذي جلس فيه ابنه عن يمينه ويقول ان من آمن بألوهيته وتلا انجيله كان معه في ذلك الملكوت في كتب أبيه فضحك الرجل طويلا استهزاء واستخفافا به وخجل المتكلم خجلا شديدا حتى كاد ان يفر هاربا فلاطفه الرجل وقال له ياهذا ما هو الأمر الذي به تحققت فضل الدين المسيحي وما هي الحال التي صيرتك فارا من دين الاسلام

فقال لاني ما وجدت في ذلك الدين خيرا فقال له وأي خير تريد هل أردت خير الدنيا أم خير الآخرة أما خير الدنيا فطرقه معلومة عند أهل الدنيا وأما خير الآخرة فقد تحققنا جهلك به من حالك الذي سألناك عنه ان كنت في جوابك من الصادقين فما رأينا من هو أجهل منك بشؤون نفسه وما هي عليه من الغباوة والبله والتهيام الذي لا يحاكيه الا حال الدابة الجموح التي نفلتت من قائدها فصارت تعدو حيث لا تعلم الى أين تذهب

فقال المفتون وكيف ذلك فقال له يا هذا ان الاديان لا يرغب فيها الراغبون الا لاصلاح أمرين ونوال أمر نالت ضربت فيه اعناق الطالبين وفنيت في طلبه همم الراغبين وماتت في سبيله نفوس المتشوفين.

أما الامران الذان لا يصلح حال الانسان الا بصلاحهما فهما أمر الدنيا والآخرة فأما أمر الدنيا فما هو الا الآداب الكمالية التي اذا تأدب بها الانسان حسنت معاملته للخالق والمخلوقين وتتبع الاوامر الشرعية وتجنب المناهي طائعا مختارا وبذلك يطيب عيشه ويبتهج في خلافته الدنيوية كل على قدر ما آتاه الله من الطيبات التي استخلفه فيها من مال وعيال

حتى عوالم احساساته الذاتية فيكون محجوبا بالنفسه وغيره ومرضيا عند ربه
وأما أمر الآخرة فما هو الا الاخلاص في تناول تلك الاحكام
وفي التخلق بتلك الآداب بحيث لا يتحقق بحال من الاحوال ولا يأتي
عمل من الاعمال ولا يتفوه بقول من الاقوال الا ويكون مراده منه
مرضاة الله سبحانه وتعالى واتباع أوامره لارضاء المخلوقين والتزين في
أعينهم ومتى صح له ذلك المطلب الاهم كان قد فاز بشرف الدنيا وكرامة
الآخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهذا هو الصراط الذي
سلكه النبيون ومن ورثهم من العلماء العاملين وما اتخذ الله من ولي جاهل ولو
اتخذه لعلمه بمعنى انه يرشده الى مناهج الرشد بلا واسطة وكان ذلك
على الله يسيرا

وأما الامر الثالث الذي هو المطلب الاهم والمقصد الاعلى فذلك
أمر لا يتوجه الى وجهته الا الوجهاء الذين اسلموا وجوههم للذي فطر
السموات والارض واغتسلوا من كل درن يصيب القلوب وليس لذلك
الاغتسال حقيقة الا الحقيقة التي طلبها الامام ابن مشيش من الامام أبي
الحسن الشاذلي حينما جاءه ليسلك طريق القوم على يديه وما كان ذلك
منه الا بعد أن تلقاها عن عشرة من الشيوخ وما فتح الله له بشيء على
يديهم فلما خامره اليأس وحاول قلبه القنوط مر ذات يوم بسنور يتصيد
فرآه يطلب فارا فيفر منه الى جحره فيتركه ويطلب آخر حتى أعيته
الحيلة فأمسك بنفسه على جحر واحد مدة طويلة واذا به قد نال ماطلب
فقام أبو الحسن من وقته قاصدا خلوة ابن مشيش سيدي عبدالسلام رضي
الله تعالى عنه فلما وافاه علم مطلبه فقال له قم فاغتسل فقام أبو الحسن

واغتسل بالماء فلما أتاه قال له ما اغتسلت يا أبا الحسن لي ثلاث مرات فأدرك أبو الحسن الامر المقصود فتجرد من علمه وعمله وحاله وجلس بين يديه كأنه مولود من حينه فأوصاه بما أوصاه به مما لا تسعه أفهام الحاضرين ومن أراد أن يعلم كيف تكون وصايا العارفين فليبحث عن هذه الوصية بالسؤال من أكابر الشاذلية عنها لعلهم أن يطلعوه على سرارها وما حوت من الآداب الكمالية ومن لم يغتسل ذلك الاغتسال لا ينال من هذا المطلب منالا

ولا قدرة لانسان على ان يتطهر بهذا الاغتسال الا اذا صبت عليه مياه الرحمة وامطره الله شآبيب الاحسان . وهطلت عليه هواطل الرضوان كما أشار الى ذلك سيدي علي وفا رضي الله عنه في مناجاته اذ قال من يحبك سبحانك سار . ومن تحبه طار . ومن أبقيته بعد الفنا . نال غاية المنى وذهب عنه العنا . ياغنى فقر الطالبين . ويا أنيس وحشة المنفردين . الى آخر ما قال . وقد قال قبل هذا في موضع آخر . الهنا تجليت بوصف الألوهية فتولهت العقول وانفطرت القلوب وهامت الارواح وحارت الاسرار وذلت النفوس كل عزيز لسلطان عزك ذليل وكل جبار متكبر لعظمة عظمتك حقير من ناديته اليك أقبل عليك ومن حجبته عنك حرمته منك ومن فتحت له باب الوصال لبس خلعة الكمال ومن لم يسبق له منك المحبة لاينال من وصلك حبه فاجعلنا سيدي ممن حكمت له السابقة بسعادة العناية في الازل وأغنيته بك عن كل علم وعمل يامولاي ياواحد يامولاي يادائم ياعلي ياحكيم

وهذا المطلب النفيس هو الذي أشار اليه الامام البكري في ورد

سحر بقوله لهي صرت أعـق الخلق بـين دون الوصول الى ساحات حضرات العلية وتاردو سالك فصانوا معيشتهم لمرضيه واليه الاشارة بقول بن الفارض رضي الله تعالى عنه

ذ أنعمت عسم عي نظرة ، فذ سعدت سعدي ولا أجمات جمل

وبقول القائل رحمه الله

نظرت فـسم أنظر سواك أحبه ، ولولاك ماطاب الهوى للذي يهوى

وقليلا م يهتدي سالك لى معالم معاني ذلك الحمى الاعز الاحمى الا بسماع صد اصوات أنين صرعاه وربين المترمين بالاغاني ممن تمنعوا شتهي مشربه ولذيذ مرعاه وهذه مدرهم لغراء ينادي بلسان حالها المنكر عليهم بمعنى قول القائل

و ن كنت تنكر وصلا جرى ، وتزعم أن الرشا ما وصل

فهذا أثر لمسك في ردحتي ، وهذا في فيه طعم العسل

ثم قال يا هذا وفي المطالب طبت في وادي امرك ن كنت صادقا وما أظنك الا من الكاذبين لانك لو طلبت صلاح دنياك او آخرتك لا وجدت دينا قويا يرشدك الى ماتريد ويوصلك لى أكمل مقام من مقامات العبد. قرب مسلكا ولا اوضح دلالة من الدين الذي ألقينا على المسامع بعض آدابه السكاملة ودرر اشاراته البهيه وان كان المطلب الذي اشرت اليه هو الذي كان مرمى سهام اعراضك فما صدك عنه وحجبه عنك الا حرمنات امراضك لانه مطلب لا ينال بالهمم ولا بأن يكون لطالبه في العلم بالمعلومات اسبق قدم وما كان حالكم في دعوى دخول الملكوت للاسباب التي ذكرتها وذكرها كثير من سفهائكم في مسطراتهم الزيغية الا

كل الفلاسفة [illegible] لا [illegible] معبودات
حتى [illegible] وجه يكون [illegible] هو [illegible]
حاو على ذات [illegible] قوى ولا [illegible] ومعنى [illegible] فوق [illegible]
مدعي هذه الدعوى قول [illegible] من [illegible] يدعى [illegible]
[illegible] على [illegible] كن
يجري موت [illegible] وما [illegible] مدعي [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible] يقول [illegible] الذي [illegible]
الا [illegible] يرسل [illegible] لاول [illegible]
[illegible] اخرى [illegible] فكروا [illegible] يصفون [illegible] كل الاهد
[illegible] لا [illegible] ضيه تحتمل صدق [illegible]
يقول [illegible] الارض [illegible] سرعة لا [illegible] الآلام شدة سرعة الأرض
اعلم [illegible] الذي يكون سرعة
كما يقول لا يكون [illegible] صوعق [illegible] هو
وحده [illegible] الى سرعة [illegible] كما هو [illegible]
ومعلوم من [illegible] في [illegible]
السحب [illegible] فضة [illegible]
أنهم زعموا أن الارض [illegible] على [illegible] في الدوران
[illegible] من سكونه [illegible] كانت [illegible]
في [illegible] الاحدة معبودات الا دعوى
يحون لا يعقل وما هي لا [illegible] كم كذلك [illegible]
الذي [illegible] العقول [illegible] لا [illegible] أهل لأن [illegible]

بهم الراسخين في العلم منهم اذ قالوا ان الانسان اذ أدركته العناية . وقومه توفيق الهداية . لا تكون له همة الا أن يعمل على تطهير قلبه من الشواغل الكونية ويؤدي ما عليه للخالق والمخلوقين من الحقوق والآداب وينتظر ما يفرغ في ذلك الاناء مما قسم له في سابقة التقسيم الازلي من الانوار التي هي العلوم اللدنية وكلما ازداد في التطهير والتخلي تزايد في الادراك والتحلي بما يحليه الله به من الاسرار والانوار التي يقف على حقائقها المطالع لمؤلفاتهم اذ يذكروا فيها مبادي الفتوحات وكيف يكاشف المريد السالك بالمغيبات الملكوتيه والاسرار الكونية بتعليم الله له كما علم آدم الاسماء وذلك لأنهم أقوام يعتقدون كل الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو الوجود الحق وان ما سواه باطل ولولا انه كساه حلة الوجود لما ظهرت عليه طلاوة الحق مع كونه باطلا كما يشهد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعناه من كثير ان اصدق كلمة قالها لبيد

الا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

ولله در القائل حيث أتبعه بقوله

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

من مرثية رثي بها الناظم فقيداً من علماء الازهر الشريف كان في زمن مشيخة الامام الباجوري يقال له الشيخ منصور كساب كان رحمه الله على علم وتقوى وكان باراً بوالدته حتى قيل انه قبل موته بقليل من الدقائق الساعاتية جاءته أمه بتميمة لتعلقها عليه وأخرى لتبخره بها فقال لها ضعي النار والورقة وانتظريني خارج الباب حتى أتبخر فلما خرجت ولم يتم وعادت لتنظر ما يصنع أسرع بالقيام الى البخور خوف غضبها وهو

في سكرات الموت فما أعجب ما يعمل المتقون وما أقوم ما تمسك به المتدينون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ولما كان القوم على هذا الاعتقاد المخالف لمعتقدات الفلاسفة ثبت في قلوبهم ان الله سبحانه وتعالى أقرب لعبده من حبل الوريد وما احتجب الانسان عنه الا بما هو عليه من الحجب البشرية ألا وهي أغراضه وشهواته التي شغلته عن مطالعة ما يراه المبصرون الذين فتح الله أسماعهم وأبصارهم ولا يكون ذلك الفتح الا لعناية ولا تكون العناية الا عن محبة ولا تكون المحبة الا بعد انقياد وتسليم ولا يكون الانقياد والتسليم الا عن علم ولا يكون العلم الا عن كثرة المواجهة ولا تكون مواجهة بين من هو كلا شيء وبين من لا يشبهه شيء الا من الوجهة التي قدر مواقيتها الحق سبحانه وتعالى على ألسنة الرسل وفي الكتب المنزلة ولا تصح بغيرها للعبد مواجهة لربه فان المواجهة لا تكون الا بين الاجرام وأما مواجهة العبد ربه من الوجهة التي قررها الشرع وسماها الصلاة فما هي الا تجرد مشتغل عن شواغله الحسية والمعنوية والتفاته لمطلوب هو منه قاب قوسين او أدنى لو كان مبصرا ولا يكون لذلك القرب الشديد ظهور في مظاهره الا على مقادير الاستعدادات والقوابل التي عليها المجبولون ومتى استدامت تلك المواجهة حصلت المعرفة التي كانت الشواغل مانعة لقلوب المشتغلين عن التحلي بها ولا تزال تلك المعرفة تزداد حتى يرى العارف نفسه (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده) ويكون اذ ذاك قد تحقق بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه عرف ربه) وهنالك تفتح له أبواب الملكوت التي تزعمون انكم دخلتموها

فكذبين اراد ذلك يعمل لله معه عملا كلا عمل اتي [illegible]

الله عند متصيات الاحوال [illegible] لله [illegible] لأي

عمل [illegible] مصلحة [illegible] ولا يكون حوله في ذات احسن الاحوال [illegible]

موسى [illegible] قوله [illegible] ثم [illegible]

[illegible] لله [illegible] قوله [illegible]

عليه السلام ([illegible] في [illegible] ذي [illegible] لا [illegible] ولا [illegible]

ونحي [illegible] ذي [illegible] معي [illegible] دهب نحي [illegible]

فذهب [illegible] لاذن (كلا ولكن لاذن لالهي هو الله [illegible]

ولا [illegible] لا [illegible] قوله ([illegible]

[illegible] نقول [illegible]

[illegible] هو [illegible] لا [illegible] كل من [illegible]

[illegible] ولولا [illegible] يقول العمل والعلم بلا

حقيقة ومعرفة بلا تصور واطلاع [illegible] ومشدقة بغير تحقق [illegible]

بلا برهان وتقليد [illegible] وقور [illegible]

القوم من [illegible] اعقلا [illegible] من [illegible] الحقوق

بما واجه به قومه موسى اذ قال لهم فيما حكاه الله عنه (انكم قوم تجهلون

ثم قال [illegible] ان كان من ملوك [illegible] عاقل عادل [illegible]

الزكاة واعطاء خمس للسبعة هل ينبغي ان يولي منصب [illegible]

أهلها ويعطي عطاء لمن لا يستحقه حتى وان مكث على بابه زمنا طويلا

وهل يقال له غير [illegible] الا ترى ان كسرى انوشروان [illegible] اقبصر

عسكرا ليعلم ما عليه قاعدة ملكه ثم [illegible] يتقرب [illegible] حتى

كان من جوهر حد ه ركن لا حد حده كسرى ذلك ... فلما رأى

لنا له ... كثير من عيوب وتعب ... تعس لده

كسرى صاحبه لذي كان عنده ... ق مه لكل جوهره يجعل ولده

والي و ... عنده قال كسرى ... يكون من مره في صدح

ثم ... عوه تعيق ... الحال هذي هو ... فيه نكس ... عيد

ملك تصنع ... وحده ... مره ... كسرى في ذاك

... لم يكن ... قيصر ... لا ... صب ...

اهابا ... لا ... يكون ... مكر ... كل هذا ...

ملك له ... فكيف ... في ... عير

(... لرق ... في الارض ولكن ... قدر ...

فلو ... على ... سياسة ... الامر ... سكوته

بلا ... ولا ... وطاعه على ... مره

التي ... دي ... كره ... لا

يطيقه وكذاك حال كل مخلوق حتى ... وحوش ... عصى كل ...

خلقه ... ك ذو تصور ... لى ... حيوانات في

أوحد الله في كل ... عن ... يستحسنه

المعدة ... لى حتلاف ... من طيور ووحوش ... حتى علم

البحر ... هو المعني بكل مخلوق حق ... ولينه ومنعه ... لطف

وانظر ... لا سيما الانسان الذي هو خطر ... من خلقه ولا تصح حكمته

البلية شيئًا في غير موضعه فلو ... عندت الله سبحانه ... لى الف سنة

عما عنده ... وقفت على ... دهرا ... بلا تطاس عمر ... فتضبط

قاتلك وسمعه ذلك [illegible] ولا حصلت عن عينيك [illegible]

وما اظنك كنت سامعة الا في [illegible] لا مصير فيه لأن [illegible] وان كثيراً

من الخلائق قد سمعوا [illegible] ذات [illegible]

كثيرا من [illegible] قصو [illegible]

[illegible]

[illegible] تلك في قلوبهم [illegible] كانوا فيه من سوء

العمودية [illegible] فأصبحوا في

طعامهم يعمهون لانهم ما التفتوا الى [illegible] ان الكرامة

هي الاستقامة [illegible] الاستقامة على

[illegible]

[illegible] مستقيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سأل صاحباً له فقال: أخي ما رأيك في مجمع القوم الأمثل الذين
يدعون أنهم مستترون [illegible] كلمة [illegible] هؤلاء [illegible] من الإسلام
بحيث صدقوهم على ما يقولون

فقال له صاحبه: هذه دعوى لا تثبت لم تحط بها أحوال هؤلاء
القوم الذين لعن الله أسلافهم على لسان داود وعيسى بن مريم كما جاء في آيات
القرآن وكثير من جاءت الآيات القرآنية بلعنهم وذكرها أسماءهم وتصريحها
بكفرهم ونهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يفتح لهم أبواب المراء
والجدال بقوله في سورة الكهف (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت
فيهم منهم أحداً) لأنهم كانوا قد أرادوا أن يجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءوا المشركين منهم ليستهدوا بخبرتهم حتى إذا استفتاهم في الأمر الذي وقع
فيه الجدال جعلوا القوم حجة للمشركين من أصحابهم وكان ذلك منهم
الا خدعة ومكراً كما قال تعالى (يخادعون الله وهو خادعهم) وكان ذلك
الحال في كل كون منهم خلقة غريزية من طريق الوراثة والتقليد حتى
استفحل هذا الداء في هؤلاء القوم الذين مقتهم الله من حيث لا يشعرون
وأخذ نصوصهم إلى مصارع الانتقام وموقع الغضب عن ميل منهم إليها
وترض لأن دواعي تلك المصارع هي التي توافق قلوبهم وسنعتقد أنهم
قاموا على قدم وساق يخدعون العوام ويتخذون طرق التحيل في أغوائهم
ليضلوهم كما ضلوا ويهلكوهم كما هلكوا ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى رحمته
أن يهلك العوام استطراداً بما هلك هؤلاء لا تتقيه فإن آثار رحمة الله
سبحانه وتعالى ما زالت ظاهرة في أحوال هذه الأمة وأعمالهم وما زالت
ترامة الايمان في قلوبهم فترى أبسط العوام ذا رأي أمهر مشترك بالرأي

بي تعرض فيه أذن مفوت و به من القوم الصالين ولولا ان احجل يحول بيني وبينه لمكني عليه من ناصية الكاذبة الخاطئة والله لا يحب كل كفور أثيم

ثم حسن ذلك الخطيب اليه فيه وقابله من عداء الوقوف ومعاذاة لجمة الغصبية التي تقدحه كلما سمع به يقول هؤلاء الضلال وما ينحنونه من طريق التحايل والخدعة ثم امر القوم ان يتطهروا بوضوء لاداء فريضة ذلك الوقت الحاضر وكان هو الامام فما اتم الصلاة الا وذلك الرجل المطرود قد اقبل ومعه جماعة من المشترين فجلسوا في مجالس المصلين التي اتخذوها قبل الصلاة ثم ختم الخطيب صلاته وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته بالدعا مستقبلا يدعو بدعوات صالحات منها . اللهم انا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم . اللهم عليك بهم فانهم لا يعجزونك ارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . اللهم يا قائماً فوق خلقه ويا حائلا بين المرء وقلبه حل بيني وبين الشيطان ونزغه وبين من لا طاقة لي به من خلقك اجمعين . اللهم اكفف عني السنتهم وغلل ايديهم وارجلهم واربط على قلوبهم واجعل بيني وبينهم سداً من نور عظمتك وحجابا من قوتك وجندا من سلطانك انك حي قادر مقتدر قهار . اللهم اغش عني ابصار الاشرار والظلمة حتى لا ابالي بأبصارهم يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

ثم قام فجلس مكانه من قبل وقال للقوم هل من حاجة فقام رئيسهم قائلا ان هذا وأشار بيده الى المطرود قد شهد محافلكم أياماً وما من يوم

الا و يأتينا بأنبائكم فلا نستطيع ان نأتي لمقاومتكم او مناظرتكم حتى افتتح معكم باب الجدل وجاء يدعي انكم عندما علم القوم طويات أسراره كنت أنت المدافع عنه شرور الحاضرين وكففت عنه ألسنتهم وأيديهم ثم فاوضته الحديث وناصحته ولما لم يقبل قلت له امض الى حيث أتيت فلذلك حتى نجدد الجدل معك حتى نتبين الحق ونهتدي الى سواء السبيل

فقال الخطيب نعم ما فعلتم ان كنتم صادقين فقال رئيس القوم وهل ينبغي من قام يدعو الى سبيل الرشاد غير الحق . قال الخطيب نعم ولكن الحق لا يتجلى في أمر واحد بصورتين ولا يوجد الا في جيب أحد المتجادلين ولكننا نرى ان كل معاند مصر يدعيه ويزعم أنه هو الذي مد موائده وملأ من شهي ذوقياته أوانيه فكيف اذ ذاك يكون بيننا الوفاق . ومن ذا الذي يحكم للسابق منا بالسبق في مضمار السباق . فقال الرجل أيها الخطيب انا لو أردنا التقاضي لتقدنا القاضي والشهود . وأجلنا المناظرة الى أجل محدود . ولكننا لا نريد الا الرشاد والارشاد . ويكفي الشارد شروده ان اصبح محروماً من راحة المتابعة والانقياد . فاما أن تلقي واما ان نكون أول من ألقى (قال بل ألقوا) فقال ذلك الرئيس بأي سبب من الاسباب تنكرون ألوهية المسيح وبنوته وقد أثبتها الانجيل وصادقه القرآن على ذلك بقوله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وكيف تكفرونا وما ادعينا أن الله واقع مريم فجاءت له بولد ولكنا نقول انه كان ذاتاً قديمة جوهرية فحلت في بطن مريم لتتزيا بزي البشر فتحمل خطاياهم أليس هذا بمعقول أما بلغ منكم التغالي في مدح أوليائكم أنكم تقولون ان الولي في قدرته أن يلبس جسد غيره فيتكلم فيه بما يريد فلماذا اذاً لم توافقو

على ما اعتقدناه وتصادقونا على ان الله اتخذ من نفسه ذاتاً قديمة لتكون له ولداً وأباح لها ان تتزيا بزي البشر أليس هذا الاعتقاد معدلاً لدعوكم فاما ان تبينوا لنا وجوه المخالفة بدليل قطعي وبرهان معقول واما ان تعترفوا بصحة اعتقاداتنا وحسن اعمالنا واستقامة احوالنا

فقال له الخطيب يا هذا ان مثلك الآن كمثل من مسك رأس رجل يريد ان يقيه من صدمات المقاتلين فان سلمت سلم الرجل كله وان أصيبت بقتال من مقاتلها هلكت وهلك كل الرجل لان هذا الذي ذكرته هو رأس دينكم ومحور شريعتكم فما عليك الا ان تعيرنا سمعاً صاغياً. وقلباً وعياً. وميلاً الى الرشاد. وتباعداً عن العناد. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ثم قال يا هذا انما الحق الآن مستور ببرقع ظنونكم وتحت غياهب اوهامكم ولا يظهر الا اذا انجلت ظلمات شبه تلك الاوهام وانكشفت ستار تلك الظنون ولا ينقلب الشك يقيناً الا اذا تحققنا منكم احد امرين فاما ان تكونوا معتقدين ما يعتقده العقلاء من ان الوجود الحق ما هو الا للموجود الاول الذي هو واجب الوجود لذاته الذي اوجد موجود الا منه الذي ليس بمخلوق ولا يشابهه مخلوق واما انكم تعتقدون كما يعتقد سفهاء الفلاسفة الطبيعيين من ان الموجودات موجودة بطبعها وليس لها موجد بل هي كما زعموا قوى فعالة تفعل لا عن حكمة وتدبير ولكنما من اعمالها ما يكون طبيعياً ومنها ما يكون بحكم الصدف فان كنتم كهؤلاء السفهاء الضلال الذين ألهتهم زخرفة اقوال المتقدمين منهم عن الحق وأشاغتهم المعلومات التي اتبعوا فيها ظنونهم واهواءهم عن متابعة العارفين فما انا الى

عدو تكم من حاجة ومن كفر فان الله غني عن العالمين) لان اوراد هذه الطائفة هم أشد عبد لله وقد ورسوم هم اسس بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار) وان كنتم من تابعين لاهل لاعتقاد لاول فقد نقسمت منهم في فريقين فريق منهم يعتقد بعث والنشور وكل ما جاءت به الرسل من امر الآخرة والفريق لآخر يكذب ذلك كما قال قائلهم

موت ثم بعث ثم حشر * حديث خرافة يا ام عمرو

فان كنتم الفريق الثاني فما عليكم من تكذيب النبيين او تصديقهم من شيء . ولا ضرر عليكم شيء في اعتقاد تعتقدونه الآن اذ الكفار يدخلون النار بغير حساب ومن لاحساب عليه لا ضرر على من يطيل العكوف عليه ومنا بحث الآن في حال من هذا حالهم

وان كنتم من المتدينين الذين تابعوا الرسل وآمنوا بما جاؤا به ويخافون الله واليوم الآخر فما علينا من بأس في ارشادكم الى ما يجب على كل عاقل اعتقاده فمن منكم آمن واهتدى فقد هدي الى صراط مستقيم ومن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

فقال ذلك القسيس انا قوم نؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين الا نبيكم فما نحن له بمؤمنين

فقال الخطيب انما ندعوكم الآن لتوحيد الاله الا كرايس الا ومتى ثبت في قلوبكم هذا الغرس رجاء نثمر فيها من البركات ما يجعلكم من الناجين والله على كل شيء قدير

ثم قال يا هذا ان الله سبحانه وتعالى لم يطالب امة من الامم على لسان رسول من الرسل بدين من الاديان الا وفي مقدمته التوحيد ولا معنى لله

الا اعتقاد ان الله احدي الذات وحدا ني الاسماء فرداني الصفات . فان قلنا ان ذات المسيح نشأت عن تلك الذات كان المسيح حادثا والحادث لا يكون لا مألوها لان الذي انشأه هو الذي يكون الهه لا أباه

وان قلنا انها ذات كانت في الازل واحدة ثم تجزأت الى جزئين جاز عليها أن تتجزأ الى اجزاء كثيرة وكان لكل جزء ان يدعي الالوهية التي أدعيتموها لعيسى وذلك ممنوع عقلا وشرعا وان قلتم ان ذات المسيح ذات منفعلة عن تلك الذات لاهي عينها ولا غيرها نقول لكم هكذا كانت كل الموجودات من أول موجود لآخر موجود ولذلك قيل ان الايجاد لا يتناهى لدوام بقاء الموجد واستحالة بقائه بغير ايجاد

ومن كان منكم ذا ريب في أمر عيسى عليه السلام فليتفكر كيف خلق الله المخلوقات مع كونها كانت عدما وكيف كان هو علة وجودها مع أنه كان هو الوجود المطلق الحق الذي لم يوجده موجد ولا موجود معه ثم يتبصر في قوله تعالى (خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) وينظر فيما قالته التوراة من أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم واستحسن خلقه قال للأرض انبتي شجرا فكان الشجر الى آخر ما جاء في سفر التكوين

ومتى تبين المتفكر أن وجود ذاتين قديمتين محال وأن تجزأ ذات واحدة الى اجزاء متفرقة تحول علم علم اليقين أن المسيح مخلوق لخالق قديم لا ينبغي له أن يشابهه في شأن من شؤونه اللاهوتية حتى وان جاء في بعض أعماله بما يشابه أعمال خالقه لان أعمال المخلوق هي الا أعمال الخالق كما عقله أولوا الالباب مما يبدو في كثير من المواضع المختلفة من أن موت

كل مخلوق ما هي الا معارة أعارها له خالقه الى اجل معلوم ليكون بواسطتها ما أراده به ومنه وأنها كلها مكتسبة من المواد الخارجية التي لولاها لم تكن فلذلك ترى الحيوانات والنباتات دائمة الاحتياج لغيرها من الموجودات كما كان عيسى عليه السلام لو عقلتم ولكن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب

ثم اذا كان الامر كذلك فما هي الضرورة التي تدعوكم لأن تشركوا بالله ما ليس لكم به علم فهل جاء في التوراة أو الانجيل أن الله سبحانه وتعالى قال يا عبادي سأنزل الى الارض أو أنا نزلت في بطن مريم لأقيم فيما بينكم اياماً ثم تصلبونني فيكون لكم في ذلك الفوز العظيم

أو جاء فيهما اني سألد لكم ولداً وألبسه ثوب البشرية لتصلبونه (كلا) والله ما كان ذلك أبدا ولكنكم لما أكثر المعربون للاناجيل من ذكر البنوة والأبوة ظننتم أنها بنوة حقيقية وما ذلك الا لجهلكم بمعناها لانها ان كانت بمعني التناسل فهي من المحالات التي لا يتصور العقل وقوعها بالنسبة الى الله اذ لا نسبة بين الله ومريم وابن مريم الذي زعمت امة كانوا في ذلك العهد أكثر الامم عددا أنه ابن يوسف النجار . وان كانت بمعنى الاصطفائية فليست بمنكورة عند العقلاء لأن هذا المعنى هو الذى عقله المتفقهون في الدين من أقوال الانجيل ومن عقل من الفاظ الاناجيل سواء الصادق منها والكاذب غير هذا المعني فهو ضال ومعتوه لا يفرق بين خاء الخمار وحاء الحمار (وما ربك بظلام للعبيد)

ثم قال اذا كان الله سبحانه وتعالى لم يكلفكم باعتقاد ألوهية المسيح به ينبوء يدكم على انكارها بنوع من انواع العقاب ولا وعدكم من الخير

بجزء جزيل أو قليل على اعتقادها بل كثيرا ما صرح المسيح عليه السلام بأنه رسول الله وما جاءت آية لاثبات ألوهيته الا بعض اقوال متشابهة الالفاظ لا تتطرق معانيها الى اثبات الالوهية بحال من الاحوال ولا بقرينة من القرائن لاننا لو رأينا شبحا من الاشباح على بعد . ثم قال أحدنا هذا شبح حمار وقال الآخر ما هو الا شبح فرس وقال غيره بل شبح انسان فهل يكون أحدهم محقا الا اذا كان ذلك الشبح متصفا بأوصاف النوع الذي أشار اليه احدهم أنه منه

فهل يسوغ لنا أن نقول ان الجسد الذي يأكل ويشرب وينام ويحتاج لكل ما تحتاج اليه الاجساد من الضروريات يكون الها . وهل بعد قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يقال ان رب الملائكة سكن الارض وحكمت عليه أطوار البشرية انا اذا لفي ضلال مبين

ثم قال يا هذا وماذا عليكم أنه رسول الله وأنه رسول كريم فان كان ابن الله فما هو الا مرسول من عنده وقد آمنتم به وان كان كباقي الرسل كنتم على سلامة من ورطات هذه الشبهة المهلكة ولا حجة لله عليكم سواء كان هو الاله او ابنه لانه تزيا بغير زيه ومن تزيا بغير زيه لا تبعة على من أنكره

ثم ماذا عليكم ان كان الخبال قد خامر مخيلاتكم واصبحتم مصرين على الوهيته لو انكم اعتقدتم انه قد صعد لذروة ملكه ومكث طويلا حتى علم من الناس الفسوق فارسل لهم رسولا من عنده اسمه محمد ليرشدهم الى الطريق القويم هل في ذلك من نقص يلحق رتبة الوهيته او سفه

يدنس اخلاقه اومن قبح في اعماله كلا والله لا يكون ذلك الا من كمال قدرته وعظم ربوبيته وشدة عنايته بخلقه ولا يكون المنكر عليه هذا العمل الا من الظالمين

ثم قال يا هذا ان القول الذي قارنت به دعوانا في الاولياء بدعواكم في المسيح بعيد عن صحة التصور وصدق المقارنة لأن ما ذكرناه بالنسبة للاولياء ما هو الا مفعول انفعالات نفسية تقوم به النفوس القوية التي تساعدها العناية الالهية على ذلك الانفعال من طريق سر القيومية الذي به وقف ارباب البصائر والانوار الذوقية علي معنى وحدة الوجود وما تلك الانفعالات الا احوال وقتية لا دوام لها وما بينها وبين ما تدعونه في المسيح ادني مناسبة لانكم لو ادعيتم ان المسيح ذات قدسية انفعلت عن كلمة كن بلا أب لكنتم من الصادقين وكنا نحن وانتم في هذا الاعتقاد سواء وهكذا كان انفعال كل موجود انفعل عن هذه الكلمة الجوالة بدوائر الاكوان وكان الله بكل شيء محيطا

كل ذلك كان والقوم باهتون صاغون صامتون لا يرتد اليهم طرفهم الا لوقع ذباب او [illegible] عجاب

ثم قال يا هذا [illegible] ان المجرم جاء يوم القيامة يتفقد كل نبي ويتملق بدعوى المحبة لكل رسول لينال شفاعته ما استطاع شافع ان يشفع له الا اذا كان في [illegible] التي تشهد بها [illegible] وعليه صحفه وجوارحه بما يستدعي الشفاعة وان [illegible] السلام اشركت بالله كما اشركتم وزعمت ان لله ولدا كما زعمتم [illegible] من اتخذها من بين المشركين واذا كان الامر كذلك [illegible] تدعوكم لاشراك بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا

« هذا اني لضارب لك مثلا على فرض ان عيسى ابن الله لتتصور خطأك وخطأ من معك من المجرمين

ارايت ان احببت ولي عهد لأحد الملوك وكان من ابنائه ثم عصيت ذلك الملك فيما امرك به من طاعة بعض الولاة الذين انتدبهم لاصلاح احوال الرعايا فهل تتصور انك اذا دعيت لمواقع العقاب تنجيك محبة ولده و يكون لذلك الولد ان يقول اني ابن الملك وهذا من احبابي فلا تعذبوه اذاً لبطل نفوذ اوامر الملك بمصادمة ولده لها واذاً لادعى كل معارض محبة ذلك الولد واصبح الملك اذ ذاك مقيد النفوذ برضا ولده وهذا أمر لا يكون في ملوك الدنيا فكيف برب الارباب ومالك الملوك الذي (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) الذي ما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا الا بعد عيسى بما فوق الخمسمائة عام وما جاء يدعو الى طريق غير التي دعا اليها عيسى وموسى ومن كانوا من عهد آدم الى عيسى من النبيين والمرسلين ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال ياهذا هل تزعمون يا أمة المسيحيين بل يا معشر المبشرين أنكم يوم تبعثون يوم القيامة في موقف غير الموقف الذي تجتمع فيه الخلائق أم تظنون أن الزاني منكم او القاتل او السارق او مرتكب الكبائر كلها او بعضها لا يحاسب يوم القيامة لانه آمن بأن المسيح ابن الله أم تتوهمون كما زعمتم أن الاله الاعظم جل شأنه وتقدست أسماؤه حل في بطن مريم وتجسد بصورة بشرية كان اسم عيسى عليه السلام ثم أسلم نفسه للصلب لينجيكم من الخطية فلذلك لا تعذبون أليست كل هذه الاعتقادات أوهاما خرافية تزري بحال معتقدها وتجعله ساقط المنزلة والاعتبار

ثم قال يا هذا ما هي النسبة التي بينكم وبين المسيح ان كان الها أو
ابن الله كما تزعمون أو ابن يوسف النجار كما زعم اليهود أو مخلوقا لله خلقه
من تراب كما خلق آدم وباقي المخلوقات البشرية كما يعتقده العقلاء . ألا هل
من رابطة في الجنسية أو معاهدة سرية . أو مودة أزلية . أو أبدية
(كلا) والله لا هذا ولا ذاك وما كنتم يا بني اسرائيل ويا أمة المسيحيين
على اختلاف القبائل والعشائر منكم الا افرادا من افراد النوع الانساني
الذي تناسل من أبي البشر آدم عليه السلام وما كانت مريم الا من ذلك
النوع وما كان عيسى بن مريم الا منه وما جاء عليه السلام الا ليدعو الى
الله ويعلم مكارم الاخلاق التي جاء الشيطان يدعو الى ضدها . وما كان محتاجا
لاضعف ضعفائكم أن تتبنوا دعوته أن كان الها ولا الى تلاوة انجيله وما
جاء الانجيل الا للارشاد الى الطريق التي لا ينبغي للعقلاء أن يسلكوا سواها
ولقد جاء القرآن بعده بعصور ووضح منه بيانا وأقوم تبيانا وجاء محمد صلى
الله عليه وسلم متمما في كتابه الحكيم من الاخلاق ومرشدا الى اقوم
طريق فاني داع يدعو العقلاء الى مخالفته معه . [illegible] نبيون
من الآداب الكريمة التي هي منجاة كل هالك [illegible] على أن تتخلقوا
بها [illegible] في [illegible] وتأثروها في [illegible] التي حتمها الله عليكم
فهل ذلك من مكارم الاخلاق التي جاء بها عيسى أم رهبانية ابتدعتموها
ثم تقول قد حضر المسيح بين أيديكم حتى تأتيه وهو على يمين ابيه كما
تزعمون يوم [illegible] تركتم وصاياه [illegible] لا [illegible] في شغل
[illegible] رجال [illegible] يدعو الناس الى عبادة أبيك الذي انت عن يمينه
ويقول انه هو [illegible] لست [illegible] ولا بابن الله . ولو أن عيسى

سأ لكم اذ ذاك بقوله هل دعاذلك الرجل الى عبادة الاصنام هل دعا الى ارتكاب منكر هل انكر أني رسول من عند أبي هذا هل أمر الناس أن يكفروا باله السموات والارض الى غير ذلك من كل سؤال مفحم فماذا يكون جوابكم اظنكم والله لا تجدون جوابا

أليس عملكم مع محمد صلى الله عليه وسلم هو عمل اليهود مع عيسى بعينه اذ رفضوا دينه وانكروا رسالته وكفروا بانجيله مع أنه طالما ناداهم بأني ما جئتكم الا لارشدكم الى الاخلاق التي ترضي فاطر السموات والارض ومع ما شاهدوه من الآيات الكبرى لم يزدادوا الا كفرا وطغيانا . ألم يكن حال اليهود مع موسى قبل الايمان به وحال فرعون وملائه كحال اشقياء الامم مع الرسل . هكذا والله هو حالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم فقد أوضح الدين . وقوم قواعد اليقين . واسس بنيان دعوته تأسيسا حسنا قويما وشيد اركان شريعته بما يشاهده العقلاء ولكنكم ممن استحبوا العمى على الهدى واشتروا العذاب بالمغفرة فما اصبركم على النار . وانها لبئس القرار

ثم صرف عن القوم وجهه الى قومه الاول قائلا والله ان الحق لبين وان الدين القويم لواضح الانوار . متكامل الآداب والاسرار . وان هول القيامة لهائل وان الرقيب لحاضر وان الخطب والله لعظيم ولا نجاة الا لمتيقظ ومتحفظ متمسك بعروة الدين الوثقى . وماذا يضر أي مسيحي أو أي يهودي لو انه اتخذ طرق الاحتياط والتحفظ من خبال الاصرار ومهلكات التعصب فأصبح مصدقا برسالة هذا النبي الكريم الذي ما ترك فضيلة الا أرشد اليها ولا رذيلة الا نهى عنها ولو مجرد تصديق قلبي وان لم يعمل بشريعته لانه اذ ذاك يكون قد اتخذ لنفسه بالايمان به وقاية من وهدة الاثام ومن عذاب

الشديد اذا جيء به يوم القيامة وقيل له أليس هذا برسول وقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم يقدم أمته وهو كالعروس وما في القيامة من هو رافع لواء الحمد غيره . ثم ان لم يكن رسولا لم يصله أدنى ضرر من الايمان به لانه ما آمن الا برجل بلغت شهرة رسالته عنان السماء وتواتر نبأه بأصدق نبأ واحسن تواتر وانه لمن المعلوم انه ماوجبت متابعة أمة لرسولها مع طول المدة وفوات زمن رسالته بكثير الا لتأييد دعوته بصدق التواتر والشهرة فماذا على العقلاء من الامم لو آمنوا به وصدقوا برسالته حتى لا يكونوا كفارا مكذبين لله ورسوله مستحقين الخلود في النار بل يكونوا عصاة ليس الا لترك اتباع شريعته والعمل بها بل ربما نفعهم التمسك بدينهم الذي هم عليه ان احسنوا متابعة رسولهم أليس اذا كفرهم به ضربا من ضروب الجنون وتعصبا كتعصب العامة المتوحشين الذين اذا سمعوا صياحا هرولوا اليه بأسلحتهم حيث لم يخشوا عاقبة ذلك التعصب وما علموا سببا لذلك الصياح ان هذا لهو الضلال البعيد

ثم قال تالله ان التعصب والعناد والاصرار الذي منع هؤلاء الضلال عن الايمان بهذا النبي الكريم ولو بالقلب ان ظنوا في طلب النجاة عارا ما هو الا عمل كعمل البغال التي تتعاصى عن السير الى منافعها وقد سبقت لذلك وما كان ذلك التعصب والتعاصي من القوم الا بحكم سابقة القضاء الازلي موافقة لقوابليهم واستعداداتهم ونفوذ الاقدار فيهم كما يساق الشقي الى عمل من الاعمال الممقوتة فيوقعه شقاؤه في مخاليب القضاء فيقضي عمره مسجونا نادما على عمله الذى لم يفده أدنى فائدة وكان الله [illegible]

[illegible]

واذا بالقوم قد تسللوا وراء رئيسهم وقد اسودت منهم الوجوه وتنكست الرؤس وظهرت عليهم علامة الندم وما اختفوا بالجدران الا وقد رفع ذلك الخطيب يده الى السماء مبتهلا ضارعا الى ربه قائلا بعد ما قلب كفيه متعجباً (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) اللهم احفظ عقولنا من الشبهات . ونفوسنا من الشهوات . وأرواحنا من الكدورات . وقلوبنا من الغفلات . واسرارنا من الظلمات . وقونا بمدد الملكوت على اعباء العباد والسلوك والرقي الى حضرات قدسك وأنسك انك على كل شيء قدير

اللهم ربنا آتنا من عندك رحمة وعلمنا من لدنك علما نكشف به ظلم الشبهات الملتبسة على الافكار بأفهام العقول المحجوبة عنك حتى نستبين به طريق الرشد والهداية وارزقنا الحفظ والعصمة من كل رذيلة تصد عن طلب حقك وحقيقتك في الحال والمآل وامنحنا منح القرب والتقريب والكمال والتكميل والارشاد والارشاد والهدي والهداية وهب لنا ودادك وارفادك انك لطيف خبير اللهم اني اسألك شوقا يوصلني اليك ونورا يدلني عليك . وروحا قدسياً ينفث في روعي كل امر انعجم علي فهمه أو عزب عني علمه . وايدني بروح منك واكنفني بنور من نورك أوضح به طرق الرشاد للسالكين . وأبين به رتب الوصلة للقاصدين . وافتح باباً من الافق الاعلى والافق المبين . وارفع رقيمي في عليين . وردني برداء اللطف بعلم اليقين . فانك الطف اللطفا . وارحم الرحما . يارب الارباب . ويامجري السحاب ومنور الالباب . انك على ماتشاء قدير وكان ذلك على الله يسيرا

ثم قال ياأيها الاخوان . ان أجل نعمة أنعم الله بها على الانسان . هي

نعمة العقل الذي هو بمعنى النور الذي يجعله الله له يمشي به في الناس وما أوتي الانسان ذلك النور الا ليهتدي به الى طريق النجاة لانه محتاط بظلمات بعضها فوق بعض لا يتخلص من ورطتها الا بذلك النور وان اشد ظلمة من الظلمات البشرية لظلمة الغرور والطغيان على علم لان ظلمة الجهل ربما أزالها العلم وظلمة الشهوات ربما أزالتها أضدادها مثل العفة والزهد وغير ذلك من الادوية التي يعالج بها الاطباء الروحانيون مرضاء الذنوب اذا تابوا واما ظلمة الغرور وطيش الطغيان فلا يزيلها الا عناية ربانية وهداية توفيقية بعد طويل تأديب وزجر عنيف وهذه الظلمة الحالكة هي التي أهلكت كثيرا من أهل الاطلاع من أبناء هذا الزمن الذين ظنوا ان للعقل سلطة على الدين حيث جهلوا كيف كانت منزلة العقل من الدين لانهم لو علموها لما اتبعوا أهواءهم وذلك لان الدين أمر سماوي سماه مؤسسه ميزانا في موضع وصراطا مستقيما في موضع آخر من القرآن وما كان ميزانا الا لانه هو الذي به توزن مقادير العبد عند ربه فمن اراد أن يعلم منزلته عند ربه فلينظر منزلة ربه عنده ولا تستبين منزلة الرب عند العبد الا بالدين فمن كان شديد الخوف والحياء مستنظرا مقام ربه الطريق التي أشار الله اليها بقوله (فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فذلك هو صاحب الميزان الذي تكون له عند الله منزلة بقدر ما له عنده من المنزلة واما فاقد الحياء والخوف فلا منزلة له لانه ضيع ربه فأضاعه وقد قال الله تبارك وتعالى في بعض كتبه ، [illegible] كما تكون أكون [illegible] فلذلك سمي [illegible] في مثل قوله تعالى (ووضع الميزان) في سورة الرحمن وما

كان صراطاً مستقيما "لا لانه موصل الى معالم القرب ومغانم الفوز والنجاة وما كان العقل بين الانسان و بين تلك التعليمات الدينية الا كجارحة يتناول بها المتناول حاجته فان كانت الجارحة قوية أحسنت التناول وتوصل بها المتناول الى مراده وان كانت غير قوية بددت ما تناولته وباء المتناول بها بالخيبة والحرمان هـذه هي منزلة العقل من الدين والله على ما أقول وكيل

ولكن سفهاء هذا الزمن الذين كان من حكمتهم أن لا ينزلوا الاشياء منازلها توهموا ان للعقل سيطرة على الدين لجهلهم الفارق بين العقل والهوى فأطلقوا ألسنتهم بما تهوى افئدتهم وضوها وصايا اصلاح وما كانت الا مجالب فساد وافساد زينها لهم الشيطان فأهلكوا بها كثيرا من الناس وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

أيها الاخوان ان الدين والله لقويم لا اعوجاج فيه فانه هو هو من عهد ما أنزله الله على عباده الذين اصطفى غير انه يربو وينمو في القلوب كلما ربا ونما الايمان وحسن اليقين فيها وتزدد اغصانه وتحلو ثمره سقي بهداية وحراسة التوفيق والعناية وما ربا في زمن من الازمان ونما كنموه في قلوب هذه الامة العظمى وفي اخلاقهم لعناية الله سبحانه وتعالى بهم وبرسولهم فأصبحوا به نبراسا عند ال قويم ولذلك قال قائلهم شعرا

عندي حدائق ود غرس نعمتكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا

تداركوها وفي اغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا

ان الكريم اذا أرتا حدائقه * كانت أحق بأن تسقى وتحترس

ليس الاعوجاج الا في احوال المرجفين واخلاقهم وذلك لان الاشقياء

لا يطلبون العلم الا للعمل به في نفوسهم حتى اذا قوموها سعوا في اصلاح العامة . واما السفهاء لا يطلبون العلم الا لزخرفة القول وطلاقة اللسان فلذلك احاطت بكثير من فلاسفة هذا الزمن خطاياهم فضلوا وأضلوا من حيث لا يشعرون لانهم طلبوا العلم ليعلموا لا ليعلموا فكان علمهم كشجرة بلا ثمر والشجرة الغير المثمرة لا بركة فيها فقاموا مع اعوجاج احوالهم يدعون الناس الى ما علموا وما علموا الا زخرفا من القول وزورا وما كان لهم من دين الا اتباع الظن وما تهوى الانفس فما كانت وصاياهم الا بالباطل الذي لم ينزل الله به عليهم من سلطان

وما مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الا بأنهم تواصوا بالحق في مثل قوله (بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ومن كان ذا عقل وتمييز يعرف به الفارق بين الدين الذي جاءت به الرسل وبين التمدن والحضارة التي تنادي بها سفهاء الخطباء الآن اذا امعن النظر قليلا علم الفرق البين بين مزايا الدين ورزايا التمدن التي اهلكت الامم وتركتهم في طغيانهم يعمهون

وذلك لان اهل النظر والاستدلال الآن الذين زعموا انهم هم المصلحون ما كانت دعوتهم اذا قاموا خطباء او نشروا على السنة الصحف مقالاتهم الا الى مسابقة الامم في اتقان الحرف والصنائع وزخرفة الاشياء التي يحتاج اليها الانسان ويا ليتهم دعوا الناس الى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة بان كانوا يوجهون الخطاب الى كل ذي حرفة باتقان عمله او تامه قائلين ان اوربا واهلها اقوم منكم احوالا واعمالا وما زالوا يستشهدون

على صدق زخارف اقوالهم وصحة خزعبلاتهم بشواهد منها ما هو معقول ومنها ما هو منقول حتى قلقلوا قلوب العامة عن مراكز اليقين الديني فأصبحوا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكانت تلك الدعوة من أكبر النزغات الشيطانية التي أخرجت التقوى من قلوب المتدينين فأصبحوا خاسرين

وهذا هو التمدن الذي تنادوا به وقد بينا معائبه ومصائبه من قبل وما أرسل الله الرسل ولا شرع الشرائع الا لينقذ أحبابه من وحلات الحضارة والتمدن ويسلك بهم طريق الاعتدال . وذلك لان الانسان اذا لم يكن غويا مغرورا طاغيا مملوكا لنفسه وشيطانه لا يحتاج في حياته القصيرة الا الى ثلاثة اشياء يحتاج اليها كل حيوان الى شيء يقيه الحر والبرد . وشيء يأويه . وشيء يطفئ حرارة شهواته التي منها تناول الماء والطعام وما من داء عضال يصيب الانسان من حيث لا يشعر الا وسببه التفريط أو الافراط في هذه الثلاث أو في طلبها فجاءت الكتب السماوية والتعليمات الالهية والوصايا النبوية ببيان طريق الاعتدال في ذلك فمن أن الانسان أقام تلك الوصايا لما تطرق اليه الهلاك بحال من الاحوال لا في دنياه ولا في آخرته كما يعلم ذلك علم اليقين من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . لان الانسان اذا لم يتغال في ملبسه وفي مطعمه وفي مسكنه كما تتغالى الاغنياء لا تطرق ساحته الهموم ولا يستفزه الاحتياج ولو أنه قنع بالقليل من الرزق ورضي بما قسم الله له من كل شيء لكان محبا لجيرانه راضيا عن اخوانه فارغ البال غير حاسد ولا محسود خاليا من الشح والحرص والطمع وجميع المهلكات الهوائية قادرا على علاج

دنياه وآخرته ولو أن القوم تعهدوا قواعد الدين وآدابه وألقوها الى العامة في مقالاتهم ومواعظهم لما أهلكتهم الملاهي ولما ترامو على الكبائر التي صيرتهم كالانعام لايخجلون ولا يخافون

وقد كانت أحوال الامة المحمدية على أحسن حال حتى جاء الوقت الذي غير القوم فيه معالم الدين فجعل الله عاليهم سافلهم وألهاهم بملاهي الحضارة والتمدن التي كانت سببا في اراقة الدماء بين الامم وغرس شجر الشح والطمع في قلوب العامة واثارة نيران الحقد والحسد والبغضاء بين الاصدقاء والاشقاء الى غير ذلك مما جاءت المناهي الشرعية لاجل انقاذ المتدينين من شروره فأصبح سفهاؤكم وهم داعون اليه فكانت دعوتهم ودعوة الانبياء على طرفي نقيض وهذه هي المحاربة التي أشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) لو وجدوا من يقيم حدود الله ويعمل بأوامره (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

ثم قال ألا هل سمعتم بفيلسوف دعا في خطبته الى اقامة الصلاة التي هي وجهة المواجهة بين العبد وربه وميدان التقرب ومهبط الاسرار ومنبع الانوار في قلوب الخاشعين الذين هم على صلواتهم يحافظون وما كانت الصلاة الاعملا ذا حال يتميز به المصلي من باقي الحيوانات اذ لولاها لكان الانسان هو وباقي الحيوانات سواء لانه مامن حيوان الا وله علم بضرورياته وبالتحايل على جلب النافع ودفع الضار وما كان من الحيوانات من هو ذو قابلية للقرب واستعداد للتلقي الا الانسان وماجعل الله له من

وسيلة لهما الا الصلاة فمن تركها كان هو والانعام سواء وان تمندق . أو تزندق . أو تذبذب (انهم الا كالانعام بل هم أضل)

ألا هل سمعتم بفيلسوف يأمر في خطابته بالصوم وما كان الا جنة يتقي بها الصائم حرارة شهواته القولية والفعلية التي تقوده الى عذاب جهنم طائعا مختارا لانه ما من قول قبيح ولا عمل سيء الا وله في النار درك كما انه لا يكون عمل صالح ولا قول حسن الا وله درجة في الجنة ليجازى به عامله جزاء وفاقا كما هي قوانين العقوبات فيما بين الامم الآن

فعلم الله سبحانه وتعالى عبده كيف يستعين على نفسه وشيطانه وشهواته فكلفه أن يصوم لا كصوم العوام ولكن كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن السفهاء من خطباء فلاسفتكم أنه لا حاجة لمن لم يكن كثير الشهوات شديد اباء النفس الى الصوم لظنهم أن الصوم ما كان الا لردع النفوس عن ارتكاب الشهوات كما كان علم العوام وما ذلك الا لجهل مزايا الصوم الذي أشار الى بعضها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور وعمله مضاعف فما كان نومه عبادة الا لانه تخلص من جميع الشواغل الا شغله بنفسه كيف حالها مع ربه فاذ نام على ذكر فكأنه ما نام بل كان نومه خيرا له من يقظته لان النائم اذ نام على ذكر نصغو له المناجاة فاذا تيقظ وجد سرها وبركتها في حاله كما هو معلوم عند أرباب هذه المشاهد القدسية . وما كان صمته تسبيحا الا لانه على فكر حسن والمتفكر مسبح لامحالة واما استجابة دعائه فما هي الا من صفاء قلبه وحسن توجهه . ولما كانت مزية الصائم سرعة الاقلاع عن الذنب والتبري منه بقوله اني صائم كانت المغفرة أسبق اليه من الذنب

لأن معنى المغفرة الستر فيستر الله عنه الذنوب بالصوم فلا يرتكبها . واما مضاعفة العمل فلأن الصائم الحق لابد أن يكون مستصحباً في جميع اعماله الاخلاص والمحبة فيكون له أجر الاداء وأجر الاخلاص وليس المصلي المفطر كالمصلي الصائم ولا المتصدق الممتلئ طعاما كالمؤثر على نفسه فما أجمل وما ألطف وما أبدع تعليمات النبيين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ألا هل سمعتم فيلسوف أمر عباد الله بأن يذكروا ربهم ذكرا كثيرا كما أمرهم الله في كتابه العزيز وما كان لمحتاج دائم الفقر والاحتياج أن ينسى من هو المسؤول في جميع حاجاته . المحسن اليه في جميع أوقاته بجميع ما يتقلب فيه من النعم ولا يكون ذلك النسيان مع دوام الاحتياج وشدة الافتقار في كل نفس الا نتيجة لؤم وطغيان وجهل وكفران . فهل لا يستدل العقلاء على لؤم المؤمنا بهجر هذه الآداب الكمالية التي لا تصح للعبد وصلة مع ربه الا بها الى غير ذلك من الوصايا التي جاء بها القرآن والاحاديث النبوية وانها لهي الحق الذي نوصي به المؤمنون وقد ذكره الله في السورة التي سبق ذكرها واما الصبر فما هو الا الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات على اختلاف انواعها ولذا كانت هذه السورة الشريفة من جوامع الكلم التي قلت حروفها وكثرت مدلولاتها وكان الله على كل شيء مقتدرا

تالله ما سمعنا [illegible] من خطباء هذا الزمن الذي طالت فيه الألسنة السفهاء الا نهيا عن زيارة الاولياء وتقبيحا لاعمال العوام الذين تقربوا الى الله بما ظنوه قربة كتعظيم مولد النبي صلى الله عليه وسلم واتخاذ

موكب يعملون فيه اعمالا مفرحة لو اننا عددناها من ضروب التعوذة لما أحدثت في الدين ضررا بل ان العقلاء الذين أوتوا نصيبا من التمييز لا يشكون في انها من اقرب الوسائل لتثبيت العامة على الدين ومحبة الصالحين من اسلافهم وتعظيم قدر نبيهم فجاء أولئك السفهاء الضالون ينزعون الدين من قلوب العامة نزعا لظنهم أن اضلال الأمة وصدهم عن دينهم يقربهم الى ولاة أمورهم من الاجانب فقاموا على قدم وساق يعيبون الأمة والائمة وكل متدين الا من سلك طريق الزيغ والزندقة وأصبح من الجاحدين

ثم قال يا أيها النبهاء الافاضل لقد طالعت كثيرا من تواريخ الفلاسفة التي سطرت في صحيفة التمدن لمحررها حضرة ابراهيم بك رمزي فما جاءت بذكر ترجمة فيلسوف الا ووجدناه ميالا لبغض الدنيا تاركا لذائذها ومؤملات مشاق همومها وكثيرا منهم من كان كثير الهم شديد النكد دائم التضجر من أحوال الناس كأنما يحاول نزع الملك من يد موجده ليقوم بتدبيره ويأبي الله الا ما أراد والله لا يهدي القوم الفاسقين

ولقد جعل الله تبارك وتعالى في أخلاق كل مخلوق وأقواله وأعماله ما يكشف للمتبصر حقيقة ما عليه قابليته واستعداده فلو أن العقلاء من الناس تبصروا في أخلاق المؤمنين وأعمالهم وأقوالهم وفي أحوال الفلاسفة وأقوالهم وأعمالهم لتبين لهم الرشد من الغي ولكن أكثر الناس لا يعلمون

ايها الاحباب ما كان اسفهاء المبشرين من ركن يركنون اليه الاتمويهات الفلاسفة التي أضلت كثيرا من الناس عن دينهم وأوقفتهم على قارعة طريق الشك والارتياب لأنهم مادرسوا الدين ومن المعلوم ان الانسان اذا دخل بيتا

ولم يحفظها فيه علما ثم جاء متحايل مخادع ليخرجه من ذلك البيت بذكر شيء من العيوب لايجد بدا من الانقياد اليه واما اذا كان لي علم بقواعد البيت وقيعانه وجدرانه وأركانه وكان على يقين من أنه صالح لسكننا لا يزحزحه عنه مزحزح كائنا ما كان وهذا هو حال العامة مع سفهاء المبشرين والفلاسفة فلا تشهدوا محافلهم ولا تدخلوا منازلهم ولا تلقوا بأبنائكم في مخالب هؤلاء الاشرار لأن قلوب الصبيان من التلامذة وغيرهم خالية من القواعد الشرعية والآداب الدينيـة وما وجد الصبي من ابنائكم تلميذا أو غير تلميذ من يرشده الى معالم الدين وسبيل الرشـاد ولا من يبين له مزايا الاخلاق المحمدية ولا الوصايا النبوية ولا من يوقفه على حقـائق الاسرار القرآنية ومن كان هـذا حاله من الصبيان متى صاحب ماكر من هؤلاء السفهاء خدعه وأمال قلبه الى أي طريق يريد سيما اذا كان معلما من معلمي المدارس التي ما أسست الا لتزيغ قلوب الصبيان عن دين الحق الى الدين الذي استوجب به أهله النار من حيث لا يشعرون

أيها الاحباب لا تلحقكم سفسطة الفلاسفة الى ازدراء الذكر وأنواع العبادات والى اعابة أعمال العامة التي ما قصدوا بها الا الخير والبر . ومن منكم وفقته نفسه موقف الانتقاد والاعتراض فليقابلها بالاعتراض عليها فيما يعلمه من أعمالها السيئة ولينتقد كل أحوالها انتقاد العارف الخبير ومن جهل نفسه فهو جهول ومن رضي عنها فهو أحمق ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم يعني أنهم افتتنوا بنفوسهم واحتجبوا بحسهم فتركهم الله في طغيانهم يعمهون فنسوا عيوب أنفسهم وأبصروا في الناس عيوبا وما هي عيوب ولكن المعيوب يظنها عيوبا ولو اننا انتقدناه لاخجلناه ولكننا

أوكلناه الى ان تمد البصير. ألا فاسألوا العائب لأعمال الأئمة الذين أسسوا قواعد الدين عن الذي جاء هو به من الأعمال الدينية هل جاء بدين غير الدين الذي أسسوه. واسألوا عائب أعمال أهل الله الذين يستجلبون قلوب العامة الى التوبة بما يعملونه عندهم من الاجتماع على مجالس الذكر وما يتخذونه فيها من المنعشات عما يأتي به بينه وبين ربه من العبادات في خلواته أو جلواته فانكم ان سألتموه عن أحواله مع الله أو تفقدتم أعماله لن تجدوا الا أعمالا حاهلية. وأخلاقا شيطانية. وأحوالا بهيمية. ان كنتم تعقلون

فيا أيها الاخوان تفقدوا مناسك دينكم واطلبوها من آثار امناء اسلافكم لتكونوا على بينة من الدين فان الدين الحق هو القرآن ولن تجدوا للقرآن أهلا الا أولياء الله الذين تبينوا الحق واتبعوه. وتجنبوا الخلط ومن ابتدعوه. ولا تستميلنكم الفلاسفة بزخارف أقوالهم الى ترك الفرائض ولا يستهوينكم الشيطان فتقتدوا بسيآت اعمالهم. فانهم الفجار. وان مصيرهم والله الى النار. ان لم يتوبوا

أيها الاخوان اتقوا الله يجعل لكم من ظلمات هذه الفتن مخرجا وحافظوا على الصلاة بآدابها تكتبوا عنده من الاوابين ولا تهجروا المراسم الدينية فان هجرانها هلاك موبد ولا تفتتنوا بما انتم فيه من الملاهي فان لذة العمر كلها لا تساوي كربة من كروب يوم القيامة الا يتبصر المتبصر منكم في مضى من عمره كيف مضى حتى يعلم أن الآتي سيفوت ولا يبقى له الا تبعات ما عمل وسيئات ما اقترف أما علمتم ان قرب المنايا يقطع طويل الآمال اما علمتم أن كل لذة استكملها المتلذذ لا تمكث معه الا قليلا من الزمن ويدركها الفوات وربما أورثه الافراط فيها داء عضالا. أو مرضا مزمنا. تالله لا يجد متلذذ لذة خيرا من لذة ذكر عن شهود. أو انتعاش

تواجد يعقبه وجدان مشهود . تالله ماحوت الدنيا شيئاً انفع من الطاعه . ولا سلك سالك طريقا اسلم من متابعة الجماعه . فتعسا لمن قطع اسباب الوصلة بينه وبين ربه بالكبر أو ارتكاب المعاصي وويل لمن ينادى له يوم القيامة تقدم للحساب يا ايها العبد العاصي . تالله ان اصلاح الدين لا يفسد شيئاً من الدنيا . ولكن فساد الدين يفسد الدنيا والآخرة . تالله ان المؤمن اذا مات ليأسف على موته كثير من اهل القلوب السليمة محبة ورحمة وان كان غريبا واما غير المؤمن فلا يموت الا حزينا مهموما كئيبا . وربما فرح بموته ذووا قرابته . وشيعه بذكر عيوبه وتعداد ذنوبه اهل مودته . وذلك لأنه اسخط الله فأسخط الله عليه الاحباب . ولو انه اختاره لألهمه قبل الموت المتاب . فلا يغرنكم الامهال على هؤلاء السفهاء في ايامهم القلائل . فان الباقي والفائت عند القادر الحسيب كالحال الحاصل فقد شكا جبريل عليه السلام لربه حال فرعون وما فعله ببني اسرائيل . وقال الى متى يارب هذا الامهال وقد ادعي هذا الظالم الالوهية وفعل ما فعل . فقال له ربه ياجبريل مثلك من يخاف الفوت . وماعلينا الا ان نذكر بعض الوصايا التي تداولتها ألسنة السلف الصالح لعلكم تذكرون

ذكر في زمن النبوة الاولى أن بعض من كان يوحى اليهم من متقدمين فكر في أمر التكليف والابتلاء الذي ذكره الله في مثل قوله (ليبلوكم ايكم احسن عملا) ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك . فأخذ يناجي ربه في خلوته بسره ولسانه فقال يارب خلقتني ولم تستأمرني ثم تميتني بغير أن تستشيرني . وامرتني ونهيتني بل امرتني بما لا اعرفه ونهيتني عما اشتهيه وسلطت علي هوى مرديا . وشيطانا مغويا . وركبت في نفسي شهوات

مركوزة فيها . وجعلت بين يدي ونصب عيني دنيا مزينة مزخرفة ثم خوفتني وحذرتني وزجرتني بوعيد وتهديد ثم قلت استقم كما امرت ولا تتبع الهوى فتكون من الضالين . واحذر الشيطان أن يغويك والدنيا أن تغرك وتجنب شهواتك فانها ترديك واحذر آمالك وأمانيك فانها تلهيك وأنت يارب الذي سلطت علي الامل وألزمتني الاماني ثم قلت اطلب معيشتك من وجه حلال فانك مسؤل عنها ان لم تطلبها ومسؤل عنها ان طلبتها من غير وجهها ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين فقد حصلت يارب بين أمور متضادة وقوي متضاربة وأحوال متقابلة فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي الى أي شيء اصنع وقد تحيرت في اموري وضلت عن حيلتي فأدركني يا ربي وخذ بيدي ودلني على سبيل النجاة والا هلكت فأوحى الله تبارك وتعالى اليه يا عبدي انك بين امرين اما أن تكون من اهل الدعوى فلا تسألني عن صلاح حالك بل استعمل تدبيرك وأسلك اي سبيل تريد وما علي الا اعانتك على ما تشتهي مما هو مقسوم لك

وان كنت من الضعفاء الذين أسلموا وجههم الي فاعلم أني ما امرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني ان فعلته بل انما أمرتك لانك جهول ان لم أعلمك وضال ان لم أرشدك ولتعلم انك عبد لرب هو مربيك ومألوه لاله هو خالقك ورازقك ومنشيك ولتعلم أني انا حافظك وصاحبك أينما كنت ومعينك على ما كلفتك به وما انت الا محتاج الي معاونتي وهدايتي وارشادي وتوبتي عليك وتيسيري لك

لاسباب أسباب التوبة والحفظ والهداية والرشاد · فهل من وقت ترى نفسك فيه غنيا عني كلا وعزتي وجلالي لاغنى لمخلوق عني طرفة عين واني لأنا العليم الخبير الذي لاتخفى عليه خافية وما أعامل كل انسان الا بما تقبله قابليته فمن جاء يدعي الربوبيـة لنفسه على نفسه أمـددته بغرور وطغيان وسلطت عليه الشيطان حتى يهلك نفسه بنفسه لأنه ماوجـد الا ليكون خصيما مبينا واما من أسلم وجهه الى أخذت بناصيته الى الخير وامسكت بزمام قلبه وجوارحه عن كل رذيلة واشغلته بذكري حتى لايشتغل عني بغيري · فقال يارب ولم لم تجعل الناس على قابلية واستعداد واحد فيكون الكل مستسلمين فقال ياعبد ان من الادب أن لا يسأل الجهول حكيما عما لا يفقهه من أعمال الحكمة وليس للحكيم أن يجيب الجهول فيما سأل عنه لان الجهلاء كثيرون واعمال الحكيم لاتتناهى فلو أني أعددت لكل سائل جوابا عن كل امر مسؤل عنه لما تفرغت من أسئلة السائلين ولو انني خيرت كل مخلوق قبـل خلقه في أي رتبة يريد لفسد النظام واختلت شؤن التدبير فلا تكن من الجاهلين · ياعبدي وعزتي وجلالي ماأرسلت الرسل ولا أنزلت الكتب بالاوامر والنواهي والارشاد البين الا ليعلم سليم القلب أنه لابد له مني حتى اذا ما تيقظ من رقدة الغفلة وسنة التلاهي علم أنه مفتقر ومحتاج الي في جميـع شؤنه وتصرفاته فعنـد ذلك لاينساني ولا يعرض عني ولا يتشاغل بغيري بل يكون ذاكرا لي في جميع احواله ثم اعلم أني انا المرشد لكل سبيل والملهم لكل عمل والمالك لحواس كل حيوان وانا بنفسي على أزمة القلوب فلا يتحرك ساكن الا اذا حركتـه ولا يسكن متحرك الا اذا سكنته ولي ماسكن في الليل والنهـار فاذا

تيقنت ذلك وتحققت بحقيقة ذلك اليقين تركت كل شيء وراءك واقبلت الي وحدك كما يقبل المحب على حبيبه في غفلة الرقباء وتكون قد سبقت لك سعادة العناية الازلية فاقربك مني واوصلك الى وارفع الحجب فيما بيني وبينك وأجعل نعيمك ولذتك في ذكري فاستفزك لتناجيني والناس نيام وافتح لك ابواب التذكار فتذكر سالف انعامي عليك وقديم احساني اليك . وجميل آلائي لديك . اذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً خلقا سويا في أحسن تقويم وجعلت لك سمعا يسمع آياتي وبصرا يرى آثار قدرتي وفؤادا يعرف جليل عظمتي وجعلت لك حواسا دراكة وقلباً زكياً وفهما ثاقباً وذهناً صافياً وفكرا لطيفا ولسانا فصيحاً وعقلا رصينا وبنية قائمة صحيحة وصورة حسنة وجوارح طائعة وأدوات كاملة لو نقصك منها شيء ماقدر مخلوق على تكميله ثم ألهمتك الكلام والمقال وجعلتك تفهم ماتسمع وتحسن التعبير بالنطق عما في ضميرك ولولا ذلك لتعطلت أحوالك ثم عرفتك المنافع والمضار . وعلمتك كيفية التصرف في الافعال - وألهمتك الصنائع والاعمال . وكشفت عنك الحجب لتنظر الى ملكوتي وترى مجاري الليل والنهار والافلاك الدوارة . والكواكب السيارة وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام بسير الشمس والقمر كل ذلك بتقديري ولطف تدبيري وكم أجريت لك الارزاق وانت غافل لاتعلمها الا عند ما تكون بين يديك وقد سخرت لك كثيرا من مخلوقاتي تتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم وانت لولاي لاتملك منها شيئاً وتتحكم فيها تحكم الارباب فلما رأيتك متعديا جائرا باغياً خائناً ظلوما متجاوزا الحدود مائلا عن طريق الاعتدال عرفتك الحدود

والاحكام والمقياس والمقدار والعدل والانصاف والحق والصواب والخير والمعروف ونهيتك عن متابعة هواك وعرفتك أني اعلم بك منك وما ذلك الا لأصرف عنك اليم العذاب وشديد النقم وما عرضتك الا لما هو خير لك وأشرف وأفضل وأعز وأكرم . وانت مع ذلك تظن بي الظن السوء وربما غلبك هواك فجحدت جميع هذه النعم وتكبرت علي وتخيلت انك علي ماتشاء قدير وما كان ذلك الا لشدة لؤمك وخسة طبعك لانك مخلوق من الماء والطين

فقال يارب وكيف اهتدي الى سبيل الرشاد الذي تكون فيه نجاتي من متابعة الهوى والشيطان فقال ياعبدي . اذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فالتجأ الى التجاء المضطرين وقل بقلبك ولسانك لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . واذا أصابتك مصيبة فاعلم انها مانزلت بك الا باذني ولا يهونها عليك الا أنا وان كانت كبيرة وانا ان شئت عظمتها عليك وان كانت صغيرة فقل انا لله وانا اليه راجعون فتكون قد ألقيت زمامك الي فعند ذلك اهونها عليك واجزيك على الصبر خيرا كثيرا . واذا زلت بك القدم في معصية فقل كما قال آدم وزوجته (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) واذا دهمك أمر لاطاقة لك به وخفت شماتة الشامتين فقل كما قال عبدي يعقوب . انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون . واذا أخطأت خطيئة فقل كما قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واذا رأيت العصاة من عبادي فقل كما قال عيسى ابن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم . واذا خفت عواقب الامور وشممت من

نفسك رائحة الميل للشهوات فقل كما يقول الاخيار (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

فيا ايها الاخوان كونوا لمن سبقوكم بالايمان اخوانا ولا تكونوا لهم خوانا واعلموا ان الله سبحانه وتعالى ماجاءكم في القرآن بأنباء الرسل الا لتعلموا كيف كان حالهم مع الله فتأدبوا بآدابهم لتسلكوا آداب المتأدبين فلذلك وصف الله السابقين من هذه الامة بأنهم خير أمة اخرجت للناس فمن احب منكم ان يكون من الخيار فليسلك مسالك الابرار ولن يسلك ذلك المسلك الا من صح ايمانه وثبت يقينه ولا يكون ثبات اليقين والايمان الا بترك الغرور والطغيان ومتي صفت اخلاق المرء من هاتين الخصلتين كان الى النجاة اقرب منه الى العطب لانه اذا لم يكن طاغيا مغرورا كان محسنا للمتابعة ومتى احسن متابعة السلف الصالح سلم من غوائل الشكوك والشبهات وتيقن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الا بوحي سماوي وما كان الا على اشرف حال كان عليه النبيون من قبله وعلم انه ما اجهد نفسه هو واصحابه ومن تابعوهم في حفظ القواعد الدينية الا ليسلكها من وراءهم وما تركوا شيئا يفتتن به المفتون الا بينوه وما ترك القرآن سبيلا للمجادلين وأهل الجحود الا سده في وجوههم فليعلم كل منكم انه هو المخاطب بكل مافي القرآن وانه هو المأمور بجميع اوامر الله وانه هو الموجه اليه الخطاب فى النهي عن كل منهي عنه وانه هو المقصود باشارة قوله تعالى يا ايها الناس ويا ايها الذين آمنوا وانه هو المخاطب بكل توبيخ أو تهديد او زجر في القرآن على أي رذيلة يعلم من نفسه أنه مرتكبها لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل والأمير والحقير . فلو ان

العالم الذي علم مالم يعلمه غيره من أهل عصره زنى أو سرق او اغتاب او اضمر للناس سوأ او اصبح نماما أو مرتكبا أي رذيلة لكان عند الله هو والجاهل الفاسق سواء لا فارق بينهما ومتى خالط الشك في الله أو في رسله وكتبه واليوم الآخر قلبا كان كقلب أي كافر من الكفار الذين لعنهم الله واصمهم وأعمى أبصارهم . ومتي تشاغل الانسان عند ذكر ربه وتغافل عن التخلق بآداب العبودية كان لاهيا وكان من اسوأ العبيد حالا حتى وان كان شغله بطلب علم او اصلاح أحوال قوم او أي مصلحة دنيوية لان كل شاغل للقلب عن ذكر الله يعد لاهيا من الملاهي لان طالب العلم مثلا اذا لم يكن عابدا كان كمن يجمع المال ولا ينتفع به وكمن يهيء الغذاء للآكلين ثم لا يأكل وكان طلبه العلم مجرد حرفة لا تتميز عن باقي الحرف فكيف اذا حال من تلهيه دنياه أو شهواته أو شقشقته او زندقته عن ربه ان هذا هو الخسران المبين

أيها الاخوان لقد قال الله تبارك وتعالي (فاتقوا الله ما استطعتم) فظن السفهاء انه أمر تخفيف وليس كذلك اذ المقصود ان الانسان يبذل مجهوده في تقوى الله حتى لا يكون في قوته فوق ماجاء به فلو اننا ائتمرنا بهذا الامر لكان فيه الكفاية لطالب الفوز والنجاة ولكنكم لا تأتون شيئا من اعمال التقوى الا على سبيل المجاملة كمن دعاه جاره لامر لا رغبة له فيه ولا فائدة فيأتي به خوف العتاب علي عجل وربما أخره لحين الفراغ من جميع اعماله وما كان ذلك منكم الا لتمكن الجهل من قلوبكم فلو انكم على يقين من ان الله سبحانه وتعالى ما امركم بالعبادات ولا علمكم ما تعملونه فيها من آداب الدعاء والخشوع والتذكر باستحضار القلب وصرفه عن

كل الشواغل الا لتغنموا جزيل عطائه وتكونوا اهلا لقبول ما ياتيه اليكم من الأسرار العرفانيــة وانه لاحظ له في ذلك ولا فائدة ولكن الفوائد في جميع اعمال البر عائدة عليكم اذا أديتموها بأ كمل حال على محبــة وشوق ولكنكم عن فهم ذلك كله في شغل شغيل . أصبحتم به في حال وبيل . والله على كل شيء شهيد

ياقوم لقد أزف الوقت . وقرب المقت . وصحال بينكم وبين ما تشتهون وقد اصبحتم في طغيانكم تعمهون . واصبحنا لا نرى منكم حالا من الاحوال الشريفة ولا خلقا من الاخلاق الكريمة نميزكم به عن الذين لا دين لهــم فالي متى هذا الجهل المهلك وحتى متى هذا الفتون المقتل والى اين تذهبون وما بقي بينكم وبين جهنم الاخطوات يسيرة . وايام قصيره . تمضي على عجل كمضي الطيف في احلام المنام . وما انتم والله الا كما قال رسول الله نيام

ألا فاتركوا الدنيا لاهلها ومعانقيها وذروا الملاهي لمضاجعها ومصطفيها والتمسوا لانفسكم مما انتم فيه من الفتون مخرجا تدركوا به نجاتكم . ولا تضيعوا فيما انتم عليه من التلاهي وغفلة الغرور حياتكم . فان الموت والله قريب لا يدفعه دافع . ولا يمنعه عن كل حي سوى الله مانع . وما بعد الموت الا شدة واهوال . واحمال والله على اهل الاوزار ثقال . وان احوالكم والله في الدنيا بالنسبة لاحوالكم في الآخرة لعلى طرفي نقيض فمن كان كثير الخوف من ربه في الدنيا كان كثير الامن في الآخرة ومن كان آمنــا في دنياه كان في الآخرة من الخائفين ومن كان كثير البكاء من خشية الله في دنياه كان يوم القيامة بين اوليائه ضاحكا مستبشرا ومن كان مشتغلا بلذاته في الدنيا كان شديد الندم يوم القيامة وهكذا جميع الاحوال . على هــذا المنوال

وما الله بغافل عما تعملون

أيها الاخوان مامن كبيرة مقتها الله ومقت فاعليها من الامم المضية لا ارتكبتموها ومامن قبيحة الا استحسنتموها ولقد سبقت فواحش القول السنتكم وألسنة شبانكم بل واطفالكم ومابقي بينكم من قبيح يستقبح ولا من حسن يستحسن بل استحسنتم كل قبيح من الاقوال والاعمال والاحوال واستقبحتم منها كل حسن ولقد آثرتم مايرضي الشيطان علي مايرضي الرحمن وما حالكم الآن الا كحال الانعام التي لا تستقبح القبيح ولا تستحسن الحسن فلا نسمع منكم ولا من ابنائكم الا قولا فظيعاً . ولا نرى الا عملا قبيحا مزعجاً مريعاً . فكنتم كالذين وصف الله حالهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فأصبحوا خاسرين)

ايها الاخوان تالله انكم لمسؤلون بين يدي الله عن ابنائكم الذين تسوقونهم الى الكفر زمرا اذ اسلمتموهم الى معلمين لا يعلمون ماهو الدين وربما كانوا من عباد الصليب الذين تطاولت آمالهم الى اضلال ابنائكم وقاموا يزينون لهم السجود للصلبان وللمسيح ويعلمونهم مبادئ دينهم الذي هتميز به حالهم من حال عبدة الاصنام فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله في نفسه وولده وليتدبر قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ألا قاتل الله محرري الجرائد الذين لا يمدحون الا من كان ماهرا في امر دنياه قاصرا عن اصلاح آخرته حتى اذا رثوا ميتا لا يذكرون له من المحاسن الا ما توصل اليه بالسعي الدنيوي من المال والجاه والرياسة التي

ما افادته الاوحشة الطرد وسوء الحساب وما ربك بظلام للعبيد

ان من كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لقوله ان لكل سفر زادا لا محالة ولا يلاقي الانسان سفرا أطول من سفره من دنياه الى مقره الابدي ولا زاد لذلك السفر الا التقوى فكونوا كمن عاين ما أعده الله لعباده من الثواب والعقاب بروءيا العين فلقد أقسم الله سبحانه وتعالى على صدق وعده ووعيده بكثير من الاقسام في مثل قوله (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع . انه لقول فصل وماهو بالهزل) وقوله (والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق) وقوله (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) الي كثير مما جاء به القرآن الحكيم (ومن اصدق من الله حديثا) فلا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم فوالله ما أقصر أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه فلربما كانت بين الصباح والمساء خطفات المنايا فكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغرورا بالامس فأصبح تحت مواطئ النعال . أيها الناس انما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله . وانما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة . وانما انا فيكم كمن يداوي من كلما برئ من جرح جرح من ناحية اخري تالله لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما علمتم انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احديهما ألستم كل يوم تشيعون الى القبور غاديا ورائحا ثم تتركونه في ظلمات القبر غير موسد ولا ممهد وقد خلع الاسباب . وأحزن الاحباب . وسكن التراب . وواجه الحساب . مرتهنا بعمله فقيرا الى ما قدمه بين يديه قانطا مما تركه خلف ظهره وطالما اجهد نفسه

في تحصيله . وكثيرا ما فرح بكثيره بعد قليله . فاتقوا الله قبل نزول الموت . وقدموا لأنفسكم قبل حصول الفوت . ثم بكى وبكى الناس خوفا من الله وخجلا

ونحن كنوا والله ابرارا مطهرين مما تدنست به قلوبكم . وتنجست بقذورته ثيابكم . وما عنيت بالثياب الا الاحوال . ومتى خبث الحال ساء المآل . وخابت الآمال . وتراكمت الاهوال . واشتد الخوف في اليوم الذي تشيب فيه الاطفال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ثم رفع يده الى السماء قائلا

الهي وانت الله والملك الذي ... له الملك والآلاء والمنن الكبرى

ومن هو فوق الفوق لاتحت تحته ... ومن لمقام الانس بالمصطفى أسرى

ويا من اذا ما قلت يا رب قال لي ... أنا الله فاعبدني أضاعف لك الأجرا

وسلني وأجمل أعطك السؤال كله ... وصلني فاني لا أود لك الهجرا

ويامن اذا أعرضت عنه جهالة ... يريني من الاقبال مايشرح الصدرا

ويا منزل الالطاف حذو قضائه ... اذا ما ابتلى عبدا اتاح له الصبرا

ويامن وسعت الكل عفوا ورحمة ... فترحم اهل الصد والود والأسرا

ويامن اذا العاصي يخاف فضيحة ... يناديه يا ستار لا تكشف السترا

فتخفيه عن عين الرقيب تلطفا ... وتنجيه حتى ان عصى مرة اخرى

ويا من يرى الخفي بكل سريرة ... وكان خفي السر في علمه جهرا

اليك الهي اليوم ارفع قصتي ... وأنت برفع النازلات بنا أحرى

عليك بأقوام تطاول بغيهم ... أردنا بهم خيرا فراموا بنا الشرا

تزاحمنا رذالهم في ديارنا ... وما أضمروا الا الخديعة والمكرا

تنادمر بالفيهم يوسف مبشر ... فكانوا كمسرج يخترم اليسر

وقد فوتوا الدين سهم بغيهم ... وما استطعموا في الزيغ ذنب ولا وزرا

فكانوا كنطاح تطاول قرنه ... بما عنه رعيه فما أهمل الغدرا

وما خجلوا والشرك شوه حسنهم ... وبدوا من الاشراك تيئاً غدا نكرا

وهموا بتضليل العواء زيغهم ... وما حاذروا منهم ملاما ولا زجرا

فجاسوا خلال القطر من كل قرية ... وما تركوا صغري البلاد ولا مصرا

وما دابهم الا الضلال وهدمهم ... قواعد دين نوره يخجل البدرا

فيارب تابهم بتارع سطوة ... و بنشة قهر تكشف السوء والضرا

ويسود منها وجه كل معارض ... لدين الذي أوليته الفتح والنصرا

فقد طال تذ كيري لهم ونصيحتي ... وأنى لمن أضللته تنفع الذكرى

اقول لهم كفوا عن الزيغ واسلكوا ... سبيل الهدى لا تفتنكم العذرا

ولا تخجلوا عيسى بقبح افتتانكم ... فكم أرسل الرحمن من رسل تترى

وما كان الا واحدا من كثيرهم ... أتي بهدى يسنا في لزجر و لبشرى

توهمتموه انه جاء برجنه ... ليفديكم با صب يه فتنة الغبر

وهذا هو الشرك العظيم وربما ... حرمتم به الرضوان والجنة الخضرا

فيجاء سفيه القوم يا رب قائلا ... رويدك لا تلق لسمعنا السحرا

فنحن اناس لا نعادي صليبنا ... عبدناه في الدنيا ونرجوه للاخرى

فيارب لا تمهل على القوم انهم ... تمادوا على الطغيان واستعذبوا الكفرا

ويا بطشة الجبار حلي بجيهم ... ولا تتركي منهم ذراعا ولا شبرا

ويا غارة الرب الغيور تسلطي ... على كل زنديق عصي ربه جهرا

ولا تبق فينا فيلسوفا مبشرا ... فاني نذرت اليوم ان أهلكوا نذرا

قوم بابواب الكنائس داعيا | على هيكل الصلبان أن يكسب الكسرا
لعل اذ ما غرهم جهل قومهم | يقولون هذا يا أبانا بنا أدرى
فذرنا نسوم الرتد من سر هديه | فسحقا لدين ما علمنا له سرا
سوى اكلكم تلك الخميرة بيننا | وتعميد أطفال وشربكم الخمرا
وتلك امور لا تنير بصائرا | ولا تنقذ الجاني ان اكتسب الوزرا
وعار علينا ان نعيش بهائما | على غير دين نجهل الصوم والفطرا
الا هل يفيد الصوم من ظل آكلا | من العدس والبيصار ما لوث القدرا
ولم يتحاش الأكل في اليوم ساعة | ولا ترك الكنياك صبحا ولا ظهرا
فيا ايها الآباء والقمص الذي | بنا كل شيطان نحاذره اغري
تبصر ترى ان الديانة لم تكن | على عهد عيسى كالتي بيننا تقرا
فما كان ذاك الصوم الا رياضة | تهذب اخلاق الذي يحسن السيرا
وما دين عيسى غير دين محمد | ولكنكم يا قوم حملتموا اصرا
فتوبوا الى الرحمن من شر زيغكم | فما اهنأ الهدي القويم وما أمرا

ثم قال ايها الاخوان اني والله لحايف العزلة بغيض الاختلاط وما حملني على التردد الى ناديكم الا حب النصائح ولقد جئنا بافي وسمعنا من النصائح وهاهو أوان التخلق قد آن فمن اعترضه امر مريب في دينه فليوافنا في ديارنا ونسأل الله ان يجمعنا في الجنة ثم قام وقام القوم بالكين فوعدهم التلاقي بعد ايام قلائل والله يحب المحسنين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ وهذا السؤال العجيب . في الرد على اهل الصليب ﴾

(ناظمه حضرة الفاضل النحرير . الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)

أعباد عيسى انا عندكم سؤال عجيب فهل من جواب
اذا كان عيسى على زعمكم الهاً قديراً عزيزاً مهاب
فكيف اعتقدتم بأن اليهود أذاقوه بالصلب مر العذاب
وكيف اعتقدتم بأن الآله يموت ويدفن تحت التراب
ويطلب من خلقه شربة ليطفئ عن قلبه الالتهاب
فجاء له واحد منهمو بمر وخل وبئس الشراب
فألقاه في الارض بغضا له ومات حليف الظما ذا اكتئاب
ويوضع ذلا على رأسه من الشوك تاج يشيب الغراب
أسال دماه على خده وصارت على وجهه كالخضاب
وقد كان يبصق في وجهه ويطعن في جنبه بالحراب
وذلك بعض الذي قد جرى عليه من القوم شيخ وشاب
ويركب جحشا به يتقي عناء مسير له قد أصاب
وتدعون فارص جدا له ونطفته من زنى وارتكاب
ولا يدخل الرب من جاء من زنى في جماعته للتواب
ومن بعد هذا تعدونه الهاً ولم تستحوا من عتاب
وما هو الا كأمثاله عبيد لخالقه ذو اقتراب
كما قال ذلك عن نفسه بنص صريح أتى في الكتاب
ولو كان رباً كما تزعمون فمن كان يرجو لكشف العذاب
ومن ذا الذي رد روحاً له وقد فارقت جسمه بالذهاب
ومن كان من بعده حافظاً نظام الوجود لوقت الاياب
أرب سواه بتدبيره تكفل أم فاته للخراب

وهل صلبه كان عن زلة ... والا علام استحق العقاب
وهل أحسن القوم في صلبه ... لتخليص أشياخكم والشباب
والا أساؤا بجلب الخلاص ... لكم ان هذا لشيء عجاب
فان قلتمو انهم أحسنوا ... ولم يفعلوا غير عين الصواب
أقل فعلام تعادونهم ... ومن يصنع الخير يجز الثواب
وان قلتموا انهم أجرموا ... بصلب الاله وبئس المصاب
أقل كيف هذا ولولاه ما ... تخلصتمو من وخيم المآب
وهل رضي الصلب أم مكره ... عليه فما هو فصل الخطاب
فان قلتمو صلبه عن رضى ... لتكفير ذنب امرىء منه تاب
وأعني به آدم الفضل من ... لمولاه مما جنى قد أناب
وسامحه الله من فضله ... وذا بعد توفيقه للمتاب
فأنتم كذبتم على ربكم ... لما صح من فعله في الكتاب
فقد كان يهرب من صلبه ... ويبكي على نفسه بانتحاب
ويدعو أجرني إله السما ... بفضلك من ذي الامور الصعاب
وإيلي إيلي نادى بها ... لم اليوم تتركني للعذاب
اذا كان يمكن ياخالقي ... خلاصي فافعله يا خير آب
فهذا دليل على أنه ... لمولاه عبد بغير ارتياب
وهذا دليل علي أنكم ... كذبتم وقلتم خلاف الصواب
وان قلتمو الصلب قهراً جرى ... فيا عجز رب قوي الجناب
بتعليقه فوق عود الصليب ... لقد جاءه الامن من كل باب
كما هو نص أناجيلكم ... وتوراتكم فلتكفوا العتاب

ولا تجعلوني عدواً لكم اذا أنا قلت بغير اكتئاب
فيا أسفاه على ما به أصيب وما زلة قد أصاب
ويا خجلتاه لمن باعه وكان له من أعز الصحاب
ويا حسرتاه على صلبه بصحبة لصين كل معاب
ويا حزناه على موته مهاناً وفي حاجة للشراب
ويا عجباه لهذا الاله علام رضاه بهذا المصاب
وفيه انحطاط لمقداره وذل عظيم له قد أعاب
أما كان يمكنه دفعه أم الذل كان له يستطاب
والا فهذا من المضحكا ت التي سطرت عندكم في الكتاب
كقصة ابليس مع ربكم على الجبل المرتقي للحساب
فقد كان يأمره فوقه له بالسجود وبالاقتراب
وكان يرغبه بالعطاء بالك أراه اذا ما أجاب
أرب ويأمره عبده بطاعته ن هذا عجاب
ويذهب من جوعه قاصداً شجيرة تين وبئس الذهاب
ولما بها لم يجد ما اشتهى عليها دعا اذ بها الظن خاب
وبغيا لها قال لا تثمري وأحرمها طرحها المستطاب
كما أحرم الناس أثمارها ومنها لهم كان خير اكتساب
ورب يقول أنا لم أجي لألقي سلاماً يزيل اضطراب
ولكنني جئت من أجل أن أفرق بين أولي الانتساب
ورب يبيح بأفعاله عقوق الدراري لأم وآب
كما عق أماً له عند ما دعته وكان بجمع الصحاب

فأعرض عنها ولم يلتفت اليها ودعوتها ما أجاب
فبالله بالله يا قومه بملتكم ثم ما في الكتاب
أهذا يليق خصوصاً ومن اله وهذا لشر ارتكاب
وهذا يكون الما كما زعمتم والا فكيف الجواب
وان قيل قوم بهذا أتوا أما يستحقون قطع الرقاب
فان قلتمو هكذا ينبغي وهذا قليل لهم في العقاب
أقل ما تقولون في ربكم أراضون عن فعله أم غضاب
أجيبوا سوالي ولا تهملوا فان السكوت عليكم يعاب
وها قد نصحت وما أرتجي بنصحي لكم غير حسن الثواب
وموتي على دين خير الورى وأن لا أرى هول يوم الحساب
فان تقبلوه فذا مقصدي وفيه سروري ولي يستطاب
والا فانتم على دينكم وقد بان ما كان خلف الحجاب

ولتمام النفع قد ذيلنا هذا السوال. بهذه الابيات التي تزدري بنظم اللآل . وهي لحضرة الشيخ احمد علي المليجي المشار اليه . أدام الله سوابغ نعمه هامية عليه . وها هي تهدى لأولي العرفان . معنونة بهذا العنوان

﴿ الجنون فنون ﴾

قوم عيسى قد تغالوا فيه جهلا وضلالا
حيث قالوا مذ أتاهم أنت رب قال لالا
ما أنا الا عبيد أعبد الله تعالى
فأجابوه عنادا لم نصدق ذا المقالا
ان يكن ما قلت حقاً وصحيحاً لا محالا

كيف من غير نكاح جئت يا نورا تلالا
قال ما هـذا عجيب يورث الفكر اشتغالا
ما أنا الا كجدي آدم في الخلق حالا
فعصوه ثم قالوا أنت رب لا جدالا
فاقصر القول ودعنا يا الهًا لن يزالا
فاعجبوا يا قوم منهم زادهم ربي خبـالا

﴿ ولتمـام النفع أيضا قد الحقنا هذه الايات ﴾
(بهذه القصيدة الجديرة بالتدبر والالتفات)
المسماة بـ (السهم المصيب . لأفئدة أهل الصليب)
نظم ذي الفضائل والعرفان . حضرة الشيخ حسن بن بكر فتيان
خطيب جامع النصر . بنابلس في هذا العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المبسمل في القصيدة أولا حسن بن فتيان يريد بها الولا
من يدعي التثليث أمسى كافرا وغدًا يساق الى الجحيم مكبلا
مثل النصارى الجاعلين الههم ابنًا وآبًا ثم روحًا في المـلا
وتمسكوا من بعد هذا الكم في جعل الثـلاثة واحدا متأصلا
قالوا المسيح الههم وهو الذي قامت به الاشيا فكان الموئلا
كذبوا وضلوا وافتروا وأتوا بما كاد البهائم منـه أن تتخجلا
قد شبهوا الله العظيم بعبـده ويل لهم يوم القيامة مـنزلا
لو أن عيسى بينهم لأذاقهم سوء العذاب بما افتروه ونـكلا

لو كان ما اعتقدوه حقا فيه ما   كانوا رأوه مغوطًا ومبـولا
ولمـا غـدا لله من ألم ومن   جوع ومن أتعـابه متثقلا
لم يستطع نفعاً ولا ضرّاً سوى   ماقـدر المولى له أن يحصلا
يكفي فما عيسى النبي هو الذي   صلبته أيدي القوم بل هو بدلا
تباً لهم ولجهلهم وضلالهـم   لم يعرفوا من يعبدون لدى الملا
حتى لهـذا الآن لم يتنزلوا   عمـا ادعوه وخالفوه تجهـلا
لو أنه ذاك الاله لمـا رضي   أن يطرحوه ويصلبوه ويقتـلا
وأتوه بالمسمار والحبـل الذي   كتفت يداه به فأدمى المفصلا
ومن البـلايا والاراجيف التي   عقل الفتى منها غـدا متزلزلا
قالوا افتدانا ثم صار لأجلنا   ذاك الاله لعنـة ومـذللا
يا آل ودي هل سمعتم بينكم   أن الاله بذا يريد تسربلا
حاشا وكلا فالاله مـنزه   عن أن يكون بمثل هـذا مبتلى
ومن الجهالة والضلالة والغوا   ية والشقاوة والسفاهة والبـلا
قالوا اتحاد يسوعهم متحقق   بالله من غير انفصال قـد علا
فعلى مقالتهم لقد قتلا معاً   لمـا به فتك اليهود وحندلا
لو كان حقاً ما ادعوا فالكون من   فيـه أقام مـدبرًا ومكملا
ومن الذي يحيي يميت به ومن   يعطى ويمنـع مكثرا ومقللا
فكفاهمو عارا وبهتـاناً بذا   لو يعقلون لمـا جنوا هذا البلا
فكأنما سلبت عقول كبارهم   ورضوا الاهانة فيهم وتبهدلا
وأراهم اشتروا الضلالة بالهدى   حرصاً على جمع الحطام وما حلا
أسـفاً عليهم لو أطاعونا بمـا   نملي لهم من نصحنا لرقوا العـلى

وأتوا الى الاسلام منقادين لا يتعلقون بدرهم وبما غلا
فزخارف الدنيا كلمح العين لا تبقى الي الانسان مهما حصلا
ويكون في الاخرى بلاشك على ما قد جناه محاسباً ومنكلا
فأقول ياقوم الضلال أما كفى هذا تعالوا للنجاة من البلا
فالى متى لم تنتهوا عن غيكم فكأنكم لا تقبلون توصلا
ربي وربكم الله واحد سبحانه لم يتخذ ولدا ولا
متفرد في ذاته وصفاته متنزه عن أن يكون محولا
قد جل عن عجز وعن جسم وعن مثل فذات الله لن تتمثلا
وعن التكلف بالأوامر والمنا هي والتأثر بالعوارض قد علا
وعن الجهات الست والكيف وعن كم وعن شيء عليه أشكلا
فهو الاله الواحد المتصرف الـقهار يفعل ما يشا لن يسئلا
هذا محصل الاعتقاد به فمن عنه تحول منه لن يتقبلا
فليسألوا التوراة والانجيل والـقرآن كيف عن التقانص قد خلا
وعن الأقانيم الثلاثة مثلما زعموا وعن ذاك الحلول تبجلا
فهناك ان تركوا التعصب ينظروا نور الحقيقة ساطعاً متهللا
ويحققوا أن الاله لواحد رب الاراضي والسموات العلى
وجميع من في الكائنات عبيده ومحمد أعلي الجميع مفضلا
فهو الذي ختم الاله به النبوة والرسالة منة وتفضلا
وبشرعه نسخ الشرائع حينما نباه رب العالمين وأرسلا
فأتى بأعظم آية وأجل ما يأبي لدى العقلاء أن يتأولا
واذا بدالى أن أحاول مدحه لا كون عند جنابه متقبلا

ماذا أقول بمدحه والله قد ... أثنى عليه في الكتاب وبجلا
فهو الذي جمع الملاحة والسما ... حة والوضاحة والفصاحة والولا
وهو الذي شهدت ببعثه ضرو ... ب الوحش من ظبي ومن ضب الفلا
والجذع حن له وسبحت الحصي ... في كفه وغدا السحاب مظللا
وأقال من ظماء قلوب الجيش اذ ... من عشره الماء الزلال تسلسلا
وأشار للقمر المنير بخمسه ... فانشق نصفين وعاد موصلا
وبليلة المعراج خاطب ربه ... لما سرى فوق السموات العلى
فهناك خصصه بكل فضيلة ... لم يعطها أحد سواه من الملا
وكفى الشفاعة في القيامة حينما الا ... نسان ينظر حاله متوحلا
فيقول بشرى للعصاة أنالها ... فيقيهم الله الجحيم المشعلا
فهناك تبقى النار للكفار لا ... يجدون مأوى غير تلك ومنزلا
وهم النصارى واليهود ومن غدا ... عن ربه ومحمد متحولا
ما ضرهم لو آمنوا بهما وبالذ ... كر الحكيم وكل شيء أنزلا
لكن اذا المولى أضل بحكمة ... قوماً فلاتك فيهم متأملا
فالله نسأله بخاتم رسله ... وبمن يكون به الدعا متقبلا
أن يجمل الايمان قوت قلوبنا ... ويذيقنا كأس التقرب والولا
ويغيثنا عند الممات برحمة ... منه ويدخلنا بجنات العلى
ويميتنا جمعاً على توحيده ... وعلى محبة أحمد خير الملا
فصلاة ربي والسلام عليه والا ... أصحاب والآل الكرام ومن تلا
ما قام يطوي القول ناشر برده ... وشدا على غصن النقا طير الفلا

تم السهم المصيب بحمد القريب المجيب والصلاة والسلام على من هو للمرسلين خ